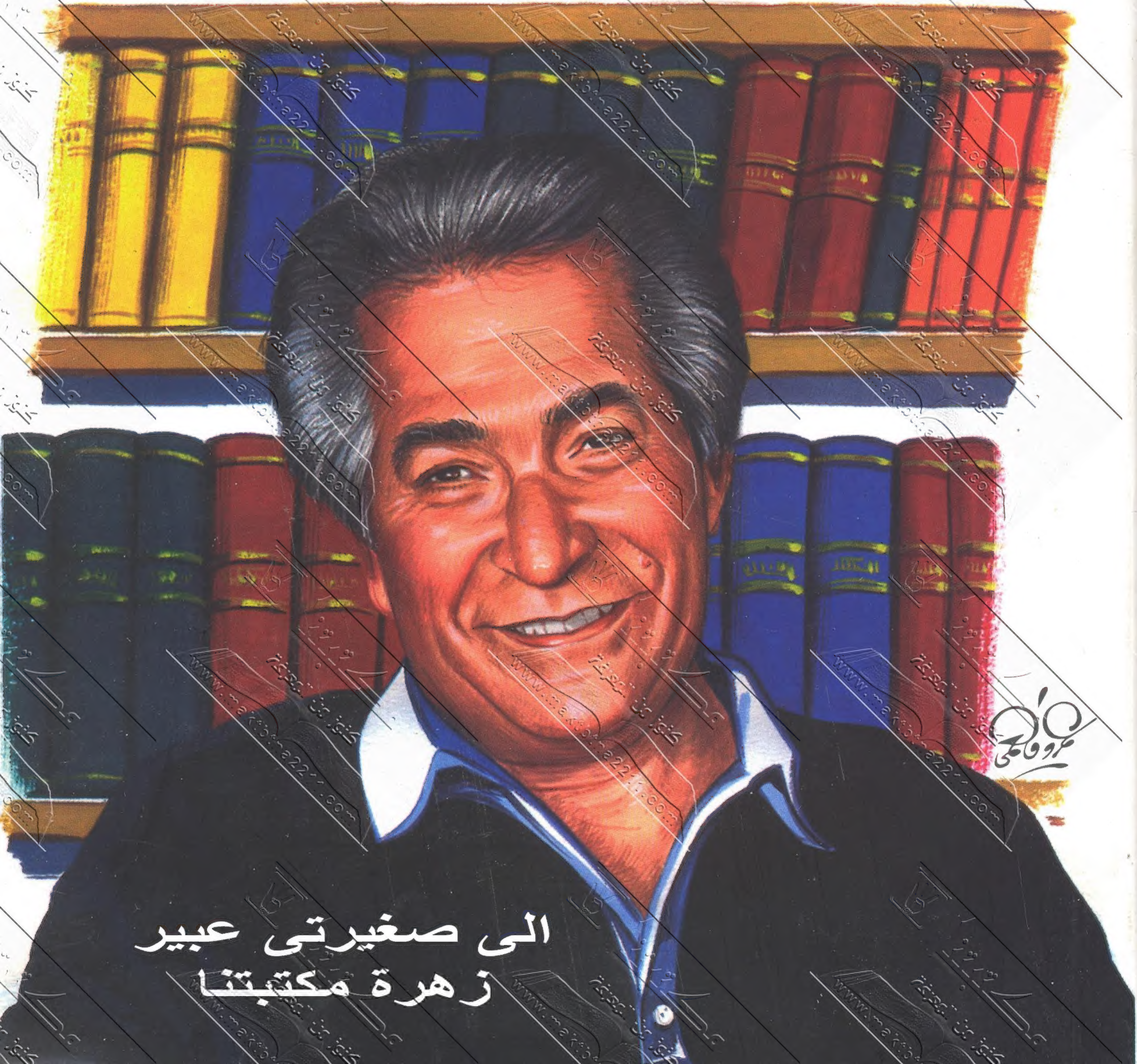
395

A.M.

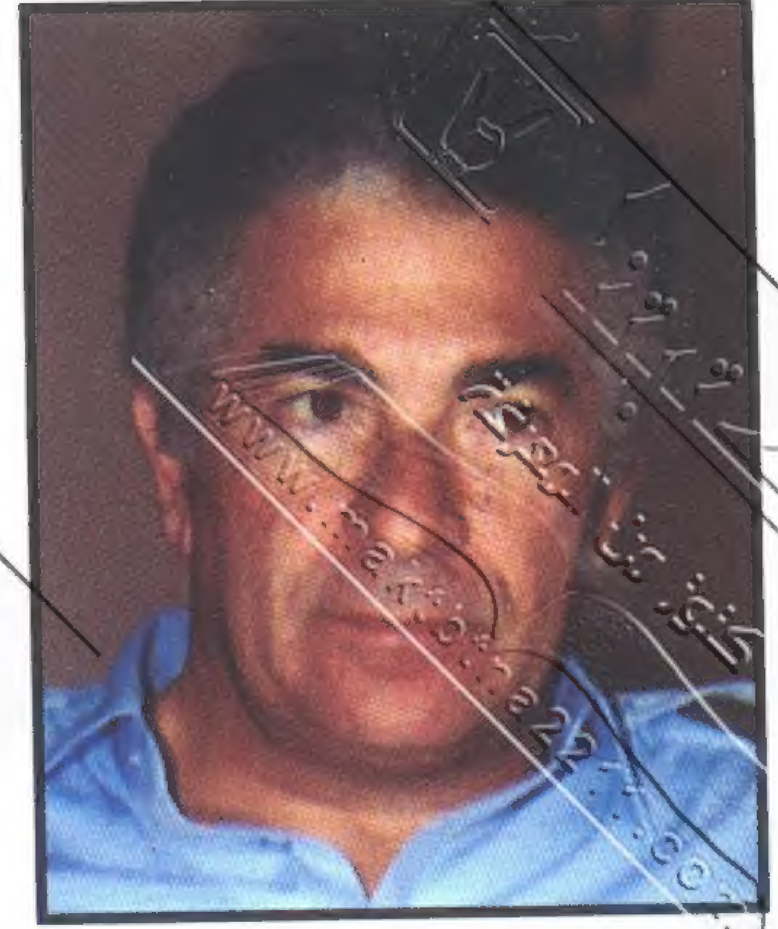
الطبعة الثانية

أنيس منصور

وأنا اخترت القراءة



الى صغيرتى عبير
زهرة مكتبتنا



وأنا اخترت القراءة

والله العظيم غلطان وندمان وتعبان وقرفان. لماذا؟ لأنني وأنه وأننا اخترنا صناعة الكتابة. فهل كان في الإمكان احتراف حرفة أخرى؟ نحن الآن نقول: كان من الممكن. ولكن انتهى كل شيء ولا مجال للاختيار. اخترنا الكتابة أو اختارتنا الكتابة. واللي كان كان.

فليس أمام التلميذ إلا أن يلعب أو أن يقرأ.. وأنا اخترت القراءة الطويلة. وأعطتني القراءة ما أستحق. والذي أستحقه هو أن أمضي في القراءة لمن هم أقدر وأحسن، أملًا في أن أقترب منهم لأكون مثلهم.. وهذا ما فعلت.

Tuseday
5/11/2013





www.nahdetmisr.com

اجاثا كريستي

كتابنا القادم





R4BIA

أنيس منصور

وأنا اخترت القراءة



أهــــلًا
فـــي بيتنـــا

أهلًا وسهلًا ومرحبًا بالسيدة سوزان مبارك في بلدنا المنصورة. البلد الذي عرف القراءة والكُتّاب أكثر من أي بلد آخر في مصر..

أحييك نيابة عن علي باشا مبارك ولطفي السيد وهيكل باشا وأحمد حسن الزيات وعبد الرحمن بدوي ونعمان عاشور وعبد القادر القط وزكريا الحجاوي ورجاء النقاش وكامل زهيري، ونيابة عن الشعراء إبراهيم ناجي وعلي محمود طه وصالح جودت والهمشري وكامل الشناوي ومأمون الشناوي والغمراوي وعميد مؤرخي مصر الفرعونية سليم حسن والفنان محمود مختار والموسيقار رياض السنباطي وأم كلثوم وفاتن حمامة وشجرة الدر والشيخ الشعراوي وفاروق الباز وفاروق العقدة..

أهلًا وسهلًا بك في عاصمة الطب والعلاج، فليس لبلدنا نظير في عدد المستشفيات وعدد المرضى من مصر والبلاد العربية ومعاهد البحث ولا هذا العدد من كبار الأطباء: محمد غنيم الجراح العالمي وحسن أبو السعود ومحمد حافظ وفاروق عزت وعمر فتحي وجمال شيحا وفتحي البطوطي. وبناة المصانع والقرى السياحية والأكاديميات: د. محمد ربيع وآل حويدق وأحمد المسري والعيوطي وأبو المعاطي.. ولقد عايشت الخطوات الأولى للسيدة سوزان مبارك

من مدرسة إلى مدرسة في الأحياء المجهولة الفقيرة.. وهنأتها على اختيارها لهذا المجال في الخدمة الوطنية.. وأشهد أنها لاعرفت الملل ولا الكلل.. وإنما استطاعت أن تجعل الكتاب طعامًا يوميًا واختارت أول كلمة في القرآن الكريم شعارها وشعارنا: اقرأ.. وقد قرأنا وقرأت لنا، فلا سبيل للتقدم إلا بالعلم الذي هو النور، وإلا بالتسامح الذي هو السلام..

شكرًا لك أن جعلت العيد عيدين: فاليوم يتصادف عيد ميلادي مع عيد في بلدي.

لابــــد
مـن الوضـوح

أصبحت أسماء البرامج مثل أسماء الشوارع هي الأخرى تبعث على الدهشة والضحك وعن المعنى أيضًا. مثلًا: برنامج اسمه (الرأي الآخر) يعني الرأي الذي يختلف مع رأي الدولة، التي تتحدث الإذاعة باسمها. يعني أن هناك رأيًا معروفًا للدولة. ومعروفًا عند كل الناس. فإذا أتينا برأي المعارضة كان ذلك هو الرأي الآخر. والذي يدل على أنه الرأي الآخر، هو أن الإذاعة أخذته من صحيفة معارضة. وبس.

مع أن هذا الرأي الآخر من الممكن أن يكون هو رأي الدولة.. أي أنه يتفق مع رأي الدولة. ولكن البرنامج لا يقول لنا ما هو رأي الدولة وما هو الذي يخالفه ولماذا يخالفه؟ فالبرنامج لا يذكر. نفرض مثلًا أن الرأي الآخر هو 2+2=4 فهل من الممكن أن يكون رأي الدولة مخالفًا أو من الممكن أن يكون رأي الدولة هو 2+2 فهل من الممكن أن يكون هناك مخالف لهذا الرأي.

فمثلًا في التطبيع مع إسرائيل. والدولة تقوم بالتطبيع فعلًا في الدبلوماسية والسياسة والتجارة والصناعة – بالمعاهدات والاتفاقيات، ولكن هناك أعضاء في الحكومة لا يوافقون على التطبيع مع إسرائيل. فهل الرأي الآخر ضد التطبيع كله؟ أو بعضه؟ وإذا كان بعض التطبيع فهل هو معارض؟

فالوزير الفنان فاروق حسني أقدم الوزراء مقعدًا وله تحفظات رسمية في التطبيع، فهو مع التطبيع إلا قليلًا. أو ضد التطبيع إلا قليلًا. فهل يمكن اعتباره معارضًا. أي هل تكون الدولة معارضة للدولة؟ هل يمكن أن نقول إن الرأي الآخر هو رأي الدولة؟ وإذا كانت الدولة هي الآخر فمن هو صاحب الرأي الأول؟

كل ذلك يجب أن يقال بوضوح.

يجب
أن نقول

تصدق بالله أن كبار مسئولينا قد تحدثوا صادقين عن الاجتياح الذي أصاب أمريكا.. وأننا بعيدون تمامًا عن هذه الكارثة.. ولكن أحدًا من عامة الشعب لم يفهم تمامًا ما يقولون.. ورغم أنهم صادقون، لكن تصديق الناس لهم بعيد جدًّا.. فما قاله رشيد محمد رشيد كان واضحًا إلا قليلًا.. وما قاله د. محمود محيي الدين كان أكثر وضوحًا.. وما قاله د. فاروق العقدة محافظ البنك المركزي كان كالسيف قاطعًا، وهو وحده القادر على ذلك.

المطلوب أن يجيء واحد من الناس يقول للناس إن ما حدث في أمريكا شيء مختلف، ملايين الناس أرادوا أن يشتروا بيوتًا، فكان لا بد أن تقرضهم البنوك، والبنوك تقترض من البنوك التي تقترض من البنوك.. قدمت البنوك مليارات الدولارات ولكن الناس لم يسددوا ما عليهم، والبنوك لم تسدد ما عليها لبنوك أخرى لم تسدد ما عليها.. وكان من عادة البنوك أن تستولي على البيوت التي لم يدفع أصحابها أملًا في بيعها بسعر أعلى وتكسب..

ولكن هذا لم يحدث.. وأمريكا لا تتدخل في إدارة البنوك، فالاقتصاد والبنوك حرة، وعجزت البنوك، والدولة عاجزة، وقد ارتبكت كل البنوك الكبرى في أمريكا وأوروبا، وتدخلت الحكومات ودفعت ألوف المليارات.

وهذا ما لم يحدث في مصر.. وتحاول أمريكا بكل ما أوتيت من مطابع للدولار أن تساعد البنوك على المعاملات وتسديد ديونها للبنوك الأخرى.

ولا بد من نظرية جديدة ونظام جديد لتقويم فشل الرأسمالية الأمريكية الحرة زيادة عن اللزوم.. ولأننا مختلفون تمامًا وفي حضن الدولة وعلى حجرها.. فلا خوف علينا.. والله أعلم!!

كلامنـــا
كثيـــــر

واضح جدًّا أن جانبًا من الشعب الفلسطيني في مخيمات سوريا ليس سعيدًا بما يحدث في الضفة والقطاع. وأنهم معترضون تمامًا على المفاوضات مع إسرائيل ولا يتوقعون خيرًا من تسيبي ليفني إذا صارت رئيسة للوزراء. لماذا؟ لأنها اتفقت مع الحزب الديني (شاس) في الائتلاف الوزاري. والثمن: مزيد من الفلوس للمدارس الدينية ورعاية الأطفال. وأهم من ذلك: عدم إثارة قضية القدس. وعدم ذكر هذا الاسم في أية مفاوضات. وقد وافقت!

وإلا ما كانت الانفجارات المتكررة في دمشق وغيرها. وربما في لبنان وأماكن أخرى حيث يوجد أطراف المفاوضات. وليس بعيدًا أن يتجهوا إلى مصر على حدودنا وفي داخلها وإلى تركيا. وقد حدث كثيرًا أيام أن كان السادات يفاوض ويصالح من أجل استرداد أرضنا المحتلة. طريقًا إلى التفاوض على الأرض الفلسطينية والسورية – والآن سوريا تحاول أن تتفاوض عن طريق تركيا وأطراف أخرى سرية. ولكن لا إسرائيل تستطيع الآن ولا أمريكا ولا تركيا. يعني لابد من التأجيل. وإلى متى؟ حتى تستقر الحكومات الجديدة وترتيب الأوليات والأولويات(سنة وراها سنة) – كما تقول أم كلثوم!

ويتكلمون عن ضرورة أن تتعانق مصر والسعودية وسوريا. ومن غير العناق والقبلات لن تكون جبهة قوية تقف لإسرائيل من أجل

فلسطين. كم فلسطينيًّا حيًّا حتى الآن؟ اثنـان. والحوار بينهما لا يختلف كثيرًا عن الحوار مع إسرائيل. فكل نصف يرفض النصف الثاني. وهنا تعلن إسرائيل – ونحن أيضًا – لا حل ولا أمل إذا تحللت فلسطين طريقًا إلى أي حل ؟!

ويغضب منا الفلسطينيون إذا قلنا لهم ذلك. ولكنهم لم يتفقوا على اللحن الذي يحبون أن يستمعوا إليه!

رد اعتبـــار لفرنســا

الأديب الفرنسي الفائز بجائزة نوبل واسمه لوكلوزيو «68 سنة»، تركيبته البشرية غريبة.. فأبوه طبيب إنجليزي وأمه فرنسية، وقد هاجر مع الأسرة إلى نيجيريا، ثم إلى جزر موريس، وأخذ جنسيتها، وأدى خدمته العسكرية في تايلاند ولما هاجم الدعارة، دعارة الأطفال نقلوه إلى المكسيك ليكمل خدمته العسكرية، ثم إلى إفريقيا وتزوج فتاة مغربية اسمها جميعة.. واشتغل بتدريس اللغة الفرنسية في كثير من المدارس وفي جامعة كوريا الجنوبية.

وجاء فوزه بجائزة نوبل رد اعتبار لفرنسا التي لم يفز بها أحد من أدبائها الكبار الذين يستحقون الفوز بها من ربع قرن.. واندهش الفرنسيون هل مات الأدب الفرنسي أمام الطوفان الإنجليزي والأمريكي على ألسنة الناس، وتساءلوا: كيف يفوز الأمريكان وهم جهلة ولا يعرفون من الدنيا إلا بلادهم، وليست آفاقهم واسعة مثل لوكلوزيو وغيره؟! ورأت أكاديمية نوبل أن الأديب الفرنسي يستحق الجائزة لتفوقه وروحه المتمردة وأسلوبه الدافئ المتدفق القوي.. وأنه بالغ الحساسية لآلام الناس وعذابهم في إفريقيا وآسيا، واهتمامه البالغ بجماعات إنسانية عزلها الجهل والفقر وإهمال البيض لهم وتعاليهم أيضًا!

ولكن شيئًا غريبًا قد ضايق أكاديمية نوبل: أن الناشرين قد عرفوا بفوزه بالجائزة قبل إعلانها، فنشروا كتبه وبسرعة أعادوا طبعها.. لقد تسرب الخبر.. كيف؟ هذه قصة أخرى.. المهم أنه فاز بالجائزة الكبرى التي يستحقها!

المبشـــرون بالجنـــة

ما وقع في أمريكا كارثة حقيقية. وكان يستحيل تفاديها. وهي مؤقتة.

وإذا كنا نرى فيها بوادر مصيبة، فإننا في الوقت نفسه نرى تباشير تغيير في الرأسمالية الأمريكية الحرة على الآخر فهناك قوى أخرى طالعة ومتعاظمة: روسيا والصين والهند والبرازيل والاتحاد الأوروبـــي. ولا بد أن يظهر نظام جديد. نظرية جديدة. تأخذ من الاشتراكية إصلاحًا للرأسمالية التي فشلت، فتكون للمواطن الفرد حرية أكثر في الصناعة والاستهلاك والشفافية والاستثمار.

إننا في مرحلة أخرى أقرب إلى الثورة الصناعية التي وقعت في القرن التاسع عشر في أوروبا، وفي ذلك الوقت لم يشعر الناس بأن تغييرًا هائلًا يولد. وأن هذا التغيير الاجتماعي والصناعي والاقتصادي والفكري قد زلزل الدنيا.. ونحن أيضًا لسنا واعين تمامًا لما نريد وسوف نعرف أردنا أو لم نرد.. أن زلزالًا بريًا وبحريًا وشعبيًا ومعلوماتيًا قد بدأ وأنه لن يهدأ قبل أن يصيب الجميع.. ويقولوا إلا مصر – ربنا كريم!

وليس علينا إلا أن نمشي وراء الأربعة المبشرين بالجنة الاقتصادية: فاروق العقدة ويوسف بطرس غالي ومحمود محيي الدين ورشيد محمد رشيد.

أما الذي اقترحته د. ليلى تكلا أثناء المناقشة الجادة المفيدة بين محمود سعد في(البيت بيتك) و د. يوسف بطرس غالي فمن المؤكد أن د. ليلى تكلا حسنة الظن.. فإنها تطالب بعودتنا لعدم الانحياز لأمريكا أو روسيا؟

وإن كانت ليلى قد نسيت ماجرى هاتوا الجرايد تنقرا!

استشـــارة العلمـــاء

هذا نداء وجهه عدد من العلماء ونشرته أخيرًا مجلتا «دسكفر» و«العلماء الشبان».

يا سيادة الرئيس طبعًا تذكر أن الرئيس روزفلت استشار عالم الذرة أوبنهايمر، وتذكر أن الرئيس كيندي استشار المهندس الألماني للصواريخ فون براون، وتذكر أننا أسرنا فون براون، وكل من معه من المهندسين والمخترعين في قاعدة بينموندة، وهم الذين ضربوا لندن بالصواريخ، وطلب منه الرئيس كيندي أن يلحق بالروس الذين سبقونا بالدوران حول الأرض، وكان الألمان قد أعدوا كل شيء، ولكن الكونجرس اعترض على النفقات فسبقنا الروس.

يجب أن تستشير العلماء يا سيادة الرئيس، وأن تكون سياستنا التوسع في تدريب العلماء والمهندسين.

فالبحث العلمي هو أخطر وأهم قضايانا، وهو الأساس لكل أمل في تطوير أدواتنا الصحية والحيوية.

ويجب أن تكون هناك لجنة على أعلى مستوى من العلماء والمهندسين ورجال الأعمال.

وأن تتخذ قراراتك العلمية بموافقة الحزبين في الكونجرس، فالعلم فوق السياسة، لأن الحياة هي الهدف والحياة الكريمة التي اعتاد

عليها شعبنا، وقد حدث خلل ما، يجب أن نعثر عليه، وأن نكشفه وأن نقنع به الناس، وأن نمضي، وليس العلاج لنا، اليوم وغدًا إلا البحث العلمي، وإلا التوسع في جميع الآفاق.

وتذكر يا سيادة الرئيس أن العالم أوبنهايمر بعد أن قابل الرئيس روزفلت قال: يبدو أن لدينا رئيسًا عاقلًا، وهذه هي البداية!

سيادة الرئيس الأمريكي الجديد.. يجب أن نضرب مثلًا أعلى للعالم كله، كيف أننا لا نزال قادرين على السيادة، سيادة العالم كما استطعنا في القرن العشرين، ويجب أن نكون قادرين على السيادة والتفوق في القرن الحادي والعشرين، فنقدم للإنسانية حلولًا لمشاكلها في السياسة والطاقة الشاملة لكل سكان الأرض. وفي استطاعة الدولة أن تستخدم وسائل الإعلام الجبارة التي نملكها في توضيح المشاكل والإقناع بها.

ويجب أن نعترف يا سيادة الرئيس بأننا لا ندرب العلماء والمهندسين بدرجة كافية لنبلغ الدرجة الرفيعة التي بلغناها في القرن العشرين. وفي استطاعتنا أن نذهب إلى أبعد من ذلك في القرن الحادي والعشرين. وأن نتوسع في أبحاث الطاقة المتجددة. ولا خوف في أن نبحث ونتعمق في أبحاث الخلايا الجذعية، فكثير من المخاوف من هذه الأبحاث قد أثارها أناس ليسوا من العلماء. ويجب أن يعلو صوت العلم على صوت الأوهام والخرافات.

ولو خاف العلماء ما تقدمت الإنسانية.. ولو نظر كولمبوس إلى البحر وراءه وأمامه والأمواج تعلو وتهبط تهدده وسفنه الشراعية ما اكتشف أمريكا ولا أحد من المكتشفين الآخرين. ولا نزلوا إلى البحر ولا طاروا فوق الأرض ونزلوا على القمر وغدًا على المريخ.

إننا لا نعرف الخوف ويجب ألا يعرفه العلماء المهندسون وأن يتدربوا على ذلك.

يا سيادة الرئيس تذكر ونحن صغار كان يقال لنا إذا سرت في الظلام فأشعل شمعة.. إن شمعة واحدة تضيء مساحة هائلة أمامنا. فما بالك إذا كان في يد مئات الملايين من شعبنا شموع في أيديهم ونور في عقولهم وشجاعة في قلوبهم!

كأننا لا نريد استمرار السلام. ولذلك نتجاهل السادات، أو نغمز ونلمز لدرجة أن نصف انتصار أكتوبر بأنه هزيمة بكل المقاييس!

يعني الذين حاربوا وماتوا واستعدوا للحرب كانوا يلعبون الاستغماية وضحكوا على الشعب المصري، أما الشيء المؤكد والذي لا خلاف عليه فهو النكسة العسكرية التي كانت انتصارًا بكل المقاييس - إذا كان هذا رأي المصريين فلسنا في حاجة إلى حشاشين وإلى مرضى عقول ونفوس!

ولذلك فنحن نعيد ونزيد في الكلام عن الحرب، بل يجب أن نتكلم عن السلام وما استفدنا من السلام. وما يمكن أن نستفيد أكثر، ولكن أن ننتهز فرصة أعيادنا ونشد أعصاب الناس وننفخ فيهم ونشعل النار في أعصابهم، كأننا ندعوهم إلى تقويض السلام، مع أننا قررنا ألا نحارب منذ 35 عامًا، ولا يزال هذا القرار ساريًا..

وأذكر أن الرئيس السادات قد طلب من الموسيقار محمد عبد الوهاب تأليف موسيقى النشيد الوطني. ومن ذكاء محمد عبد الوهاب أن ألف النشيد الوطني وجعله على ثلاث سرعات، وجاء به إلى القناطر الخيرية، وسألنا الرئيس: ما رأيكم؟

عبد الوهاب قال: أنا جعلته من ثلاث سرعات: بطيء، وأقل بطئًا، وسريع، وأنت صاحب القرار..

وسألني: فقلت: أختار الأقل بطئًا.. ولكن السادات قال: لا.. بل البطيء؛ لأننا لا نريد إثارة ولا عبثًا بأعصاب الناس، فنحن نريد السلام!

فإن كنا لا نزال نريد السلام، فلنتكلم عن السلام اليوم وغدًا، وكفانا إثارة وتهييجًا وتهيئة الناس لحرب لا نريدها فعلًا ولا نقدر عليها.. فقد أهلكتنا الحروب وخربت بيوتنا ولم يسعد أشقاءنا العرب إلا الحرب حتى آخر جندي مصري!

قالت له:

لا

البنت التي قالت لتشرشل: لا!

إنها سكرتيرة في العشرين في مقر قيادة تشرشل للحرب العالمية الثانية تحت الأرض. هي التي كتبت كل الخطابات والأوامر التي بعث بها تشرشل لكل زعماء العالم. وهي التي سمعت كل شيء حتى منتصف الليل لسنوات طويلة. إنها السيدة روث إيفا (96 عامًا) ومذكراتها عنوانها: المرأة التي فرضت الرقابة على تشرشل!

وكانت التعليمات صارمة: لا أحد يقول أين يعمل ولا كم ساعة ولا مع من. ولا كلمة عن الحرب والصواريخ والضحايا ولا رد فعل ذلك على تشرشل ومساعديه. ولا ماذا يأكل ولا ماذا يشرب وكم مرة.

وكان تشرشل رجلًا قويًا. ينام بعمق ساعة أو ساعتين ثم يصحو وحده وكأنه نام ليلة كاملة.. ويبدأ عمله بعد أن يشرب كمية لا بأس بها من الشمبانيا والقهوة. ويستطيع أن يكمل جملة قطعها النوم، فإذا صحا من نومه أكملها كأنه لم ينم.

وكثير من أوامره كان يمليها وهو في دورة المياه. ويترك الباب مفتوحًا. ولا يهم من رأى ومن سمع.

وكانت تعليماته قاطعة. ولغته الإنجليزية بديعة. وكان يصف الدواء للمرضى الذين يتحدث إليهم، وكان من بينهم أيزنهاور الذي

وصف له دواء كاد يقضي عليه.. وكان يناقش الأطباء طويلًا رغم الرسائل التي تنهال عليه من أركان الأرض ومن جبهات القتال..

وفي إحدى المكالمات مع أنطوني إيدن استطرد في الكلام فحدثه عن الصواريخ الألمانية، وكاد يقول عن عدد الصواريخ والضحايا عندما اعترضت السكرتيرة وقالت: ممنوع!

وأقفلت التليفون. وسكت تشرشل وأحس أنه أسرف في الشراب، وبعد لحظات قال لها: معك حق. شكرًا!

أن يكـون
لنــا دور

يمكن جدًا أن يختار الشعب الأمريكي ماكين، برغم أن استفتاءات الرأي جعلت أوباما أكثر حظًا. وبذلك يكون الشعب الأمريكي قد أثبت حسن نيته ورغبته في التغيير وأنه ليس عنصريًا. ولكن تعودنا من الانتخابات الأمريكية المفاجأة ولو بصوت واحد. وتختار أمريكا ماكين. ولأنه مريض سوف تكون السيدة سارة بالين محافظ أصغر ولاية أمريكية رئيسة لأمريكا. وهي بذلك أول سيدة وأضعف سيدة ومن يدري! لم يكن أحد يتصور أن الممثل الفاشل ريجان سوف يصبح من أعظم رؤساء أمريكا..

والسؤال أيهما أصلح لمصر؟ وترى د. منار الشوربجي في الصفحات الأخيرة من كتابها الذي صدر أخيرًا (كيف ينتخب الرئيس الأمريكي) من مطبوعات دار الشروق الدولية أن هذا السؤال خطأ، لأن أي رئيس أمريكي سوف يرعى مصالح بلاده في جميع الأحوال. ولن تقدمها مجانًا، فكل المعونات مشروطة.

وترى د. منار أنه: يجب أن يكون لنا دور والدور ليس ردود أفعال هزيلة. وإنما أن نواجه أمريكا بقوتنا السياسية والوطنية. وكلما كانت جبهتنا قوية ودورنا فاعلًا في المنطقة كنا أقدر على الاختيار..

مثلًا تركيا رفضت أن تمر الطائرات الأمريكية في أجوائها لضرب العراق. وكان هذا الرفض برلمانيًا وكان صفعة عنيفة على وجه أمريكا حليفتها استراتيجيًا وعسكريًا..

وترى د. منار الشوربجي أننا وضعنا السؤال الخطأ، وهو لا يليق بحجم مصر ووزنها وتاريخها على أن يكون لها دور قوي، فالذي بيننا هو صراع مصالح.. مصالحهم ومصالحنا. والمثل الشعبي يقول: لا صداقة دائمة ولا عداوة دائمة.. وإنما مصالح دائمة!

لا شـــيء يتـــم!

نحن في حالة سلام مع إسرائيل وليس في نيتنا أن نحارب لأي سبب. وإن لدينا من المشاكل والهموم المتزايدة الكثير جدًّا 80 مليون نسمة على أرض زراعية لم تزد على الأرض أيام الخديو إسماعيل.. الرغيف الذي يأكله اثنان أيام محمد علي يأكله عشرون أو أربعون الآن!

وكل شيء في مصر ناقص.. وكل شيء لا يتم – إن تم – فلا يعجبنا العامل المصري ولا الفلاح ولا المدرس ولا التلميذ أيضًا.

ونريد أن نتقدم.. ولن نتقدم إلا إذا وضعنا سياسة أفضل للتعليم. ولا أرى أننا جادون في ذلك، فمن المستحيل أن نصلح التعليم في جلسة أو بقرار. ولن يتمكن أي وزير مهما أوتي من عبقرية – ولم يحدث أن جاءنا وزير عبقري من أيام طه حسين – أن يتفرغ لتطوير التعليم.. وأن يأخذ وقته على مهله..

أما هذا الذي يحدث عندنا فهو تهريج مهما يكن الوزير جادًّا. لأنه لا يصلح مدرسة ولا يشق طريقًا وإنما هو يصلح البشر وأسلوب البشر من المدرسين والطلبة والآباء ويحاول الاستفادة من تجارب الشعوب الأخرى.

ولكن المأساة أن الوزير – أي وزير – راكبه عفريت. ولا يعرف كم من الوقت سيبقى على مقعده أو تحته أو أمامه... وأهم أهداف الوزير

الجديد أن يؤكد لنا أن سلفه كان غبيًا لا يفهم، وأنه وحده الذي يفهم. وقبل أن يستقر لدينا هذا المعنى يجيء وزير آخر وسياسة أخرى ولعب وألاعيب وإعلانات وخطب وتوزيع الملايين على كل الصحف – لأنها تطبع الكتب المدرسية، وهي لذلك لن تهاجم الوزير حتى لو قال: رياني يا فجل.. وهو عادة يقول رياني. والصحف كلها تقول: يا فجل...!!

إلـــى
اللـــــه..

هذه القصة القصيرة أعجبتني، رجل فلاح أرهقته الديون، فلم يعد قادرًا على أن ينفق على زوجته وأولاده.. تكاثر الدائنون، فباع الأبقار والطيور، ونظر إلى ما في يدي زوجته، وأعطته أساورها فباعها، تلفت إلى جيرانه فوجد وجوههم قد تبدلت، حتى تحيات الصباح والمساء اختصروها، فكانوا يقولون له: سالخير. أي صباح الخير أو مساء الخير.

وفهم الرجل أنهم لا يريدون حوارًا معه، حتى لا يطلب إليهم أن يقرضوه.. أمسك الرجل ورقة وقلمًا وكتب خطابًا إلى الله: يا رب أنت ترى حالي.. وأنت أعلم بما أصابني وكل ما أحتاجه منك وأنت الغني هو مائة جنيه فقط..

وأقفل الخطاب ووضع عليه طابع بريد وكتب على المظروف: إلى الله..

وكان هذا الخطاب نكتة مصلحة البريد. وأخذوا يتساءلون: إن كان لا يزال في الدنيا أحد بهذه السذاجة.. ولكن واحدًا تأثر بهذا الخطاب. وأيقن أن صاحبه قد ضاقت به الدنيا، وفتح الخطاب ووجد أن المبلغ المطلوب أكثر من قدرته، فحاول أن يجمع له من الزملاء.. وبعث إليه بالخطاب على العنوان الذي جاء فيه. وذهب ساعي البريد إلى الرجل

الطيب، وفتح الرجل الخطاب وفوجئ بأن المبلغ خمسون جنيهًا. فغضب لذلك تمامًا.

وأمسك قلمًا وورقة وكتب خطابًا آخر إلى الله يقول فيه: شكرًا لك يا رب.. فقد كنت على يقين من أنك لن تنساني.. هذا ما قالته زوجتي وابنتي.. ولكن أرجوك يا رب أن تبعث عن طريق آخر غير مصلحة البريد لأنهم لصوص، قلوبهم لا تعرف الرحمة، شكرًا يا رب!

القصة للأديب المكسيكي لويز آي فونتيس.

ثلاثـــة
أنـــواع

هناك ثلاثة أنواع من المذيعين: واحد تلعنه شخصيًا، وواحد تلعن معه من اخترع الراديو، وواحد يجعلك تحب الإذاعة والميكروفون.

من بين هؤلاء مذيع لا تدري به إلا إذا سافرت إلى باريس وهو بلدياتي فتحي النجار في إذاعة الشرق التي يملكها رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري.

وفتحي النجار صديق كل الناس، وتربطهم علاقة كأنها عائلة، فصوته هادئ وترحيبه دافئ، وكان من الممكن أن يكون مطربًا ففي صوته مودة وشجى..

وكنت أداعبه وأقول له: إن باريس تعاني نقصًا في عسل النحل فقد حولته إلى كلمات.. وكان النحل قديمًا يمتص الرحيق من شفتي الشاعر هيرودت، فالنحل يمتص رحيقه من شفتي شاعر الإغريق، ويجيء مذيع مصري فيستولي على ما تبقى من العسل.

وكان يتخلل أغاني إذاعة الشرق عبارات لفقيد لبنان والعرب رفيق الحريري، ويجيء صوته بين الأغاني ونشرات الأخبار كأنه صوت الضمير، وليس في صوته مرارة ولا رغبة في الانتقام ممن اغتالوه بعد ذلك، وإنما هو يشكر الله على ما أعطاه ويعد لبنان بمزيد من الخدمات.

يرحمه الله فقد كان مثلًا رفيعًا للإنسان اللبناني، بنى نفسه مليونًا بعد مليون، واللبنانيون فيهم صلابة الجبال وشموخها، ويكفي أن ترى ما حدث فيها بعد حروب استمرت عشرين عامًا، فما تهدمه القنابل نهارًا يعيدونه ليلًا، كأنهم البطل الإغريقي سيزيف الذي حكمت عليه الآلهة أن يدفع حجرًا إلى قمة جبل، فإذا بلغ القمة انحدر هابطًا إلى السفح ليعيده سيزيف إلى القمة، وكذلك فعل اللبنانيون.

وبكى الطفل!

الفيلسوف الوجودي سارتر هو الذي كشف لنا عن مصاعب الحرية: افرض أن ابنك يريد شيئًا لكنه لا يفصح عنه فتقول له: ماذا تريد؟ فلا يرد.. وتعود تسأله: شيكولاتة؟ فيقول: لا. آيس كريم؟ لا. تخرج.. تنزل.. تلعب.. هل أشتري لك لعبة؟ هل تأخذ أنت فلوس اللعبة وتشتري ما يعجبك؟ فيقول لك: لا.. لا.

وعندما يغلب حمارك تقول: خلاص يا أخي أنت حر.. فيبكي الطفل.. فما الذي أبكاه؟ أبكاه أنك أعطيته حرية الاختيار وحرية القرار.. وأن يكون مسئولًا وحده عن الذي سوف يشتريه!

وكذلك يسألني بعض الناس: ما الذي تقترح أن أقرأه في الإجازة؟ فاقرأ أي حاجة تبسطك.

مثل ماذا؟

يا أخي أي شيء.. أي نوع من أنواع الكتب.

مثل ماذا؟

ياسيدي أي شيء.

ويكون الرد: يا أخي أنت تغيظ.. أنت لا تعطي جوابًا مريحًا. فما الذي أغاظهم ولم يرحهم.. أغاظهم أنني قلت لكل واحد: أنت حر، اختر

لنفسك ما تشاء.. ما يمتعك.. ما يبسطك.. ما يجعلك تستغرق في لذة القراءة.

لكن هذا هو الذي لا يريح، لأن الذي يسألك لا يريد أن يبذل جهدًا عقليًا في الاختيار.. يريد أن يعتمد عليك أنت.. فأنت الذي تمد يدك.. وأنت الذي تختار ويكون له هو الحق بعد ذلك في أن يقول: يا أخي الكتاب الذي اقترحته أنت كان «بايخ» وسخيفًا وأنت أفسدت إجازتي.. لكنه لو كان هو الذي اختار الكتاب فإنه لا يلوم إلا نفسه.. وهو لا يريد أن يلومها.. لذلك كانت الحرية عبئًا عليه!

الذيـــن
نصحونـــا..

مرة أخرى: في قناة الجزيرة حديثان أحدهما عن كيف أن الرئيس عبد الناصر لا ينطق عن الهوى.. وأنه إن لم يكن إلهًا، فهو نصف إله. وأنه ما أخطأ قط وما أصاب قط.. وأن القلم الذي في يده ينقل ما كتبه أحد الدراويش له.. والذي وصفه العرافون بكل صفات العبقرية.. وكل تبعاتها أيضًا.. وأن الدنيا كلها تتآمر عليه.. وأنه برغم ذلك قد انتصر عليها: ضد العدوان الثلاثي وانتصر عليها في اليمن وفي الوحدة مع سوريا وفي سنة 1967 وفي سنة 1973، وفي كل السنوات التالية. ويؤكد أن الدنيا لو كانت سمعت نصائح الرئيس عبد الناصر ما انهزمت أمريكا في العراق. ولا انكسرت إسرائيل في غزة – ليس هذا رأيي ولكنه رأيه هو!

أمـا المتحدث الثاني وهـو اللـواء جمال حماد في حديثه مع بلدياتي أحمد منصور فهو يفضحنا أمام الدنيا حيث يتحدثون عن كيف كانوا يحكمون – عبد الناصر وزملاؤه وأتباعه.

أما زملاؤه ولا نقول أصدقاءه.. فعبد الناصر ليس له صديق. ولذلك اغتالهم جميعًا..

ويشرح لنا المؤرخ العسكري جمال حماد كيف كنا في ظل الاستعباد والقهر. وقد حدث أن سافر مصطفى أمين مع عبد الناصر

إلى أمريكا. وتحدث إلى الرئيس عن مشكلة الصحافة في مصر: الرقابة والمطابع القديمة والورق والحبر والتوزيع وسلطان الصحافة، التي هي أحد أسلحته. وكيف أن الصحافة اللبنانية قد تقدمتنا بالمطابع الحديثة والورق الناعم. وبعد أن فرغ مصطفى من شرح حالنا على الرئيس قال: أنا عندي 30 مشكلة عاجلة، والصحافة رقم 27..

وسكت مصطفى أمين كأن الرئيس وضع في فمه وأذنيه 27 حجرًا من الأسمنت المسلح!

فاطمة عبد الله

ماتت السيدة فاطمة عبد الله محمود، أنت لا تعرفها وأكثر المثقفين لا يعرفونها، فقد اختارت فاطمة عبد الله محمود لنفسها ميدانًا لا يهم إلا القليلين من خاصة المثقفين.

فقد أمضت حياتها في ترجمة أحدث ما كتبه الفرنسيون عن مصر الفرعونية، وكان أسلوبها سهلًا واضحًا، فموضوعاتها وحكاياتها من غراميات الفراعنة وعن فلسفتهم وحكمتهم وأمراضهم وعلاجاتهم الطبية لا تهم إلا القليلين.. وقد مضت فاطمة عبد الله محمود في إصدارها كتابًا بعد كتاب.

وقد كتبت عنها كثيرًا، وكررت دهشتي لصبرها، الذي هو صبر أيوب، فكثير من الكتب صعبة جدًّا وشاقة على النفس، وقد عرفت منها أنها كانت تمضي الساعات تترجم العبارات الصعبة.

وتعبت كثيرًا في تيسير عباراتها، فكانت تكتب بالقلم الرصاص على أوراق مسطرة، وهي صورة قريبة جدًّا مما كان يفعله الكاتب الأمريكي هيمنجواي، فلم يكن يستريح إلا إلى عشرات الأقلام الرصاص!

ومضت فاطمة عبد الله محمود في تخطي العقبات الصعبة في مجاهل المعابد الفرعونية عبر الملوك والكهنة والسحرة، مضت

وحدها في عملها وفي حياتها وماتت كما عاشت، في هدوء ودون أن يدري بها أحد – وجاء تعبها في عشرين سطرًا!

وقد نشف ريقي مع د.زاهي حواس لعله يحتفي بها وأن يعطيها أي نيشان أو يقيم لها حفلة.

ونسيت أن زاهي حواس لا يهمه إلا الموتى، وقد ماتت فاطمة عبد الله محمود؛ فلعله يقدم لأهلها واحدًا من النياشين الصفيح التي يقدمها للعلماء!

وإذا كان أحد يستحق التكريم من الهيئات النسائية في كل المناسبات ففاطمة عبد الله محمود!

النـــاس نوعـــــان..

الناس نوعان: فاروق حسني ويوسف بطرس غالي.

فإذا أنت أعطيت وردة لكل منهما، فسوف يكون السلوك مختلفًا.

يوسف بطرس غالي يبادر بنزع أوراق الوردة ليعرف عددها، ويسعده أن يقول إن عدد أوراقها ثلاثون أو ما بين ثلاثين وأربعين، ولا يهمه أنه عندما نزع أوراقها فقد قضى عليها.

أما فاروق حسني فهو يرى الوردة من بعيد تكوينًا فنيًّا جميلًا، لون الغصن الذي يحطها وأوراقها الناعمة وعطرها البديع، وأنها جميلة وجليلة أيضًا، لأنها إحدى معجزات الخلق، ويفكر في وضعها في حوض من الماء لكي يطيل عمرها.

وإذا كان يوسف بطرس غالي يسأل عن سعرها، فإن فاروق حسني ينشغل بما لها من قيمة.

وكل منهما يجد سعادته في لحظة من النظر إلى الوردة، وإذا ذبلت أوراق الوردة فإن يوسف بطرس يلقي بها في الزبالة، ولكن فاروق حسني يرسمها، أي يطيل عمرها على الورق.

وإذا كان هناك أي حديث عن الورد، فيوسف بطرس يسأل: كم يكسب تجار الورد؟ وفاروق حسني يقول: إن في اليابان مدارس لتعليم تنسيق الزهور، وإننا يجب أن نتعلم منهم.

ولو أقـام فـاروق حسني وليمـة فخمة ضخمـة ليوسف بطرس غالي، فإن د. يوسف بطرس غالي بـدلًا مـن أن يصافحـه شاكـرًا فإنه يضـع مخالبـه في جيـوب فـاروق حسنـي يسألـه من أين له هذا؟!

مسألـــة

ذوق

يقال إن السيدة تسيبي ليفني تزحلقت ولولا أن الوزير أبوالغيط أدركها لكان ما لا نعرف. وقد اعترض كثيرون على هذا الموقف، قالوا لماذا لم يتركها؟ إنها أعدى أعداء مصر. وقال آخرون بل الذوق والإنسانية هي التي حتمت عليه أن يتخذ هذا الموقف..

وأنا معه، وقد فعلت مثله عندما كنا في الهند، وكان لقاء لنا مع أنديرا غاندي. وقد انتظرناها حتى تفرغ من جلسة طويلة مع الوزراء ولم تكد أنديرا غاندي تقوم من مقعدها حتى تزحلقت على الأرض اللامعة.. فأدركتها قائلًا: أنا قد ساندت 700 مليون هندي. فقالت بصوتها الخفيض الناعم: إذن أنت رجل قوي!

ولا فكر الوزير أبو الغيط ولا أنا في شيء آخر غير إنقاذها من السقوط..

ومرة كنت أتمشى مع الرئيس السادات في حديقة بيته، وهي صغيرة وضيقة، ولكن السادات اعتاد أن يتمشى ساعتين فأكثر وكان يتحدث طول الوقت. وأمتع أحاديث السادات كانت عندما يتمشى فيكون مرحًا لطيفًا.. ويكون أقرب إلى نفسه، وينتقل من السياسة إلى الأدب إلى الناس إلى الوزراء والمعارضة وإسرائيل. كأنه بلبل يغرد. وعندما انحرف الرئيس السادات مع الطريق كاد يقع. فساندته وقلت: أنقذت مستقبل مصر.

فضحك السادات وقال: شكرًا. لقد أتعبتك اليوم في الممرات الضيقة، ويجب أن تكون «ثعلب» لتعتاد عليها.. هاها!

ولم يقل الرئيس ما الذي يقصده بثعلب، وهل هو ثعلب لأنه قد اعتاد عليها. لم يقل؛ لأنني لم أسأل!

تكريـــم

فاطمة عبد الله

صديقي العزيز جدًّا.. أصابني خبر وفاة السيدة الفاضلة فاطمة عبد الله محمود بالحزن العميق، ولم أعرف بوفاتها إلا من خلال مواقف، وقد تقابلت مع المرحومة فاطمة محمود بناء على طلبكم وأعجبت بمجهودها في ترجمة كتب التاريخ والحضارة إلى العربية بكل دقة واقتدار حتى جعلت من قراءة ترجماتها متعة للقارئ.

وأتفق مع ما قلته في مقالكم بأنني لا أتعامل إلا مع الأموات وأعترف بأنني أخطأت بعدم قيامي بتكريم هذه السيدة التي وهبت حياتها لترجمة كتب مهمة عن الآثار المصرية؛ اعترافًا بفضلها وإخلاصها في العمل، والتكريم لن يكون أبدًا هو الذي سيخلد لنا اسمها، بل أعمالها ومجهودها في خدمة التاريخ والحضارة المصرية، وهذا أقل تكريم للمرحومة الفاضلة فاطمة عبد الله.

الأمين العام للآثار

د. زاهي حواس

وغلطتي هي أنني توهمت أن تهتم بها، فأنت لا تهتم إلا بالموتى – وقد ماتت!

وكان في نيتي أن أدلك على صديق كشف لي عن حياة عرابي باشا في المنفى هو ورفاقه... وكيف قلب في الملفات البريطانية،

يعرف كيف عاش في جزيرة سري لانكا... وكيف كانت الفيلا التي يسكنها في مدينة شاندي بالقرب من قمة الجبل – المسماة (قدم آدم)... وكيف اكتشف الأغاني التي كان يستقبله بها الأطفال في المدارس، وكيف ينظرون باحترام عندما يرونه فوق حصانه، وكان عرابي باشا ضخم الجسم والشارب، وهو الذي أدخل الأطعمة المصرية: الكعك والغريبة والكنافة، وأدخل الطربوش أيضًا، ولولا صديقنا لبقي عرابي باشا مجهولًا قرنًا آخر من الزمان!

لابـــد
أن نســأل

فضح نفسه طاهر أبـو زيـد المذيع القديم وصاحب برنامج (أسبوعيات).. فقال إنه هو أيضًا كان يبحث عن (فرجيني) بطلة الرواية التي عربها المنفلوطي في حي توريل وهو حي أرستقراطي على أيامنا، فكنا ونحن طلبة نرى أن حديقة (فريال) هي أجمل حدائق الدنيا، ونرى حي (توريل) هو قمة الأرستقراطية وشارع السكة الجديدة أوسع شارع في الدنيا. والمكتبة الفاروقية التي أعطتني شهادة أنني قرأت كل ما فيها من كتب. هذه المكتبة أصغر كثيرًا من مكتبتي في البيت.. وقد أهديت ألوفًا من كتبي لمكتبات المنصورة وجامعة المنصورة..

ولما انتقلنا إلى الدراسة في جامعـة القاهـرة. وتشـاء الصدفـة أن أعيش في حي الزمالك.. هنا تضاءلت المنصورة ومصداقيتها وتوريل وشارع السكة الجديدة الذي وجدته ضيقًـا خانقًـا وكنـت أراه واسعًا.. ولما رأيت شارع الشانزلزيه ضحكت من المقارنة بينه وبين أي شارع في مصر – إلا شارع (تحت أشجار الزيزفون) في برلين..

ولست على يقين من أن طاهر أبـو زيد قد وجد الفتاة الجميلة الطاهرة التي يبحث عنها؟!

وكلنا كانت لنا أحلام. ولكن طاهر أبو زيد أجرأ – وإن كان قد تدحرج في الكلام فكشف ما لم نكن نعرف، وعلى طريقة أستاذنا سقراط لا بد أن نسأله: ومن هي؟ ولماذا كان يحلم بها؟ وما هي الحالة النفسية التي يكون عليها الشاب ليذهب بخياله بعيدًا هكذا؟ وإن كان قد وجدها، أو شبيهة بها؟ وإن كانت هي الصورة المثالية لمن يحب!

إنهــم
يكرهونـــا

زمان كنا نسأل: من هو اليهودي؟

وتركنا هذا السؤال لأنه لا يعنينا، وأن اليهود أحرار في اختيار هوياتهم ومذاهبهم الدينية.. واليوم نتساءل: من هو الفلسطيني؟ هل ابن الضفة وابن القطاع أو العميل الذي يتجسس على الجميع لصالح إسرائيل؟ وليس هذا اكتشافًا، وإنما حقيقة مؤلمة لنا، ويجب ألا نغضب من الشعب الفلسطيني الذي يمقت كل العرب - كل العرب، لا نستثني منهم دولة واحدة.. فهم يرون أن العرب لم يفعلوا ما يكفي.. ولكن العرب عندهم أسباب لكراهية الشعب الفلسطيني.. ماذا فعلوا بالكويت عند عدوان صدام عليها؟ وماذا فعلوا في المظاهرات ضد مصر؟ وكيف ضربوا وزير خارجية مصر وكيف اجتاحوا الحدود المصرية؟ وكيف أنهم يكرهون مصر التي لا تعطيهم منطقة من سيناء! وكذلك السعودية الواسعة الشاسعة.. لماذا تضيق من الشعب الفلسطيني؟ وإسرائيل تشجعهم على ذلك، وفي الوقت نفسه تغذي فكرة أن تنضم الضفة إلى الأردن، وغزة إلى مصر.. وهكذا تتم تصفية القضية الفلسطينية وبعد ذلك تتفرغ إسرائيل للخلاص من العرب في داخلها.. لأن حلم الشعوب اليهودية أن تكون لهم دولة يهودية مائة في المائة.. فقد عاشوا تاريخهم كله أقلية في كل بلد.. وهذه هي المرة الأولى التي يكونون فيها أغلبية مطلقة.. وهم يريدون أيضًا أن يتخلصوا

من الفلسطينيين في إسرائيل بتشجيعهم على الخروج بأي شكل.. فالفلسطينيون يتكاثرون بسرعة، ولا يمكن أن تجاريهم إسرائيل.

فمن هو إذن الفلسطيني؟ هل هذا الذي يريد أن يبقى على أرضه أو على أرض غيره.. أو هو الذي يحمل جنسية إسرائيل ويريد أن يبقى؟..

إننا لا نعرف أو لم نعد نعرف من هو الفلسطيني.. ولكن نعرف يقينًا أنهم يكرهون كل العرب.. وبعضهم لا يكره إسرائيل!!

خلافات
في خلافات

تسمع وتشاهد القنوات العربية، تشعر بأن هناك حربًا. وأن كل القنوات قد احتشدت بكل أسلحتها للحرب. ولكن ضد من ؟ ضد العرب. فكل تليفزيون يشتم دولة أو دولًا.. دون أن يذكر اسمها ولكن المشاهد يعرف من المقصود. وكل الدول العربية على خلاف مع الدول العربية. ويكفي أن تنظر إلى الوجوه في قمة الكويت. كلها نظرات غضب وتحفز وشماته.. ولا داعي لأن توجع دماغك وتسأل: ولكن لماذا؟ والجواب: لهذا.. أي لهذا الذي تراه على وجوه القادة.. إنهم قرفانون زهقانون وكانوا يتمنون ألا يحضروا. ولكنهم أدوا ما وعدوا شعوبهم به. وبس!

وكما ترى كأنه ما حدث.. وكأن الزعماء لا راحوا ولا جاءوا. ولا قالوا ولا سمعوا ولا أسمعوا. فلا حل للخلافات العربية.

ولا حل للخلافات الفلسطينية، وسوف نحاول ونحاول مع جورج ميتشيل.. والنتيجة: صفر.. ولكننا سنحاول حتى لا يقال إننا استسلمنا للأمر الواقع ولم نفعل شيئًا.، ولكننا نعلم قبل أن يذهب الزعماء أنه لا قدرة لهم ولا طاقة على كل هذه القضايا التي عجز الزمن والتاريخ عن حلها.. فأصحاب القضية لايريدون الحل. والعرب لا يريدون الحل.. لا لفلسطين ولا للقدس. يعني إيه؟

سواء كان مؤتمرًا للقمة أو للقمامة فالمعنى واحد.. والنتيجة: لا حل!

أفــراح
أوبامـــا

لن يذهب صوت وصدى أفـراح البيت الأبيض.. فسوف يتردد صداها في كل الدنيا.. في حقول أمريكا ومصانعها وفي غابات إفريقيا. فالذي حدث هو حلم الأحلام وخرافة الخرافات: إن زنجيًا لم يغير لونه.. وإنما قفز فوق حاجز اللون بذكائه وموهبته.

لقد كان الرجل الأسود متفوقًا في الألعاب الرياضية.. فقفز فوق حاجز اللون، ثم يتساوى مع الرجل الأبيض ويتفوق عليه. ولقد كان المتفوقون أفرادًا. أما اليوم فالذي تفوق على الأبيض والأسود: فرد. موهبة. علم. ذكاء. خطابة، له كل صفات الأسياد التي كان يحلم بها المقهورون والمعذبون في الأرض والبحر ألوف السنين..

ولن تموت أضواء زفة الرئيس أوباما.. ولا الموسيقى الإفريقية التي جعلت خدًا أسود ينام على خد أبيض.. وذراعًا بيضاء تلف خصرًا أسود.

وكان الزنوج ينظمون دموعهم موسيقى راقصة. وأغنيات حزينة. وكانت موسيقاهم بكائيات الذين يحنون إلى أوطانهم.. إلى الجوع مع الحرية، لا الرغيف الملوث بالهوان.

وسوف يرقص تمثال الحرية وتحته أبيات للشاعر إيما لازاروس تنادي المساكين والمعذبين والمشردين في كل أرض.. وقد استجاب لها أوباما نيابة عن الجميع..

وفي مسرحية (القرد كثيف الشعر) للأديب الأمريكي أويل عندما وصل العمال الزنوج إلى ميناء نيويورك راحوا يدقون جدرانها الأسفلتية. فأوجعتهم أيديهم ولم تسقط الجدران كما سقطت قبل ذلك جدران أريحا من النفخ في الأبواق ودق الأجراس.

واليوم سقطت جدران نيويورك سعيدة بذلك، فقد جاءها ابن من أبناء المعذبين المحتقرين في الأرض: أوباما!

زلـــــزال
دارون

يوم 12 فبراير عيد ميلاد العالم الكبير تشارلز دارون الذي زلزل الفكر والأديان، وهو مؤلف كتاب (أصل الأنواع).. وهو الذي قال إن الإنسان ابن عم القرد.

ولم يقل إن الإنسان أصله قرد.. وهو الذي قال إن (الطبيعة) هي التي غيرت أشكالها وألوانها وإنها من تلقاء نفسها قد تطورت، فانقسم الفكر العالمي إلى نصفين: أناس يؤمنون بالله وهو الذي خلق الإنسان، وأناس يقولون إن الإنسان تطور وازدهر أي خلق نفسه وطورها.

وقد نسبوا إلى هذا العالم العظيم آراء وأفكارًا لم يقلها وإنما هم الذين تقوّلوا وتأولوا، وتشارلز دارون كانت أمه طبيبة ماتت وهو في الثامنة من عمره.. أما أبوه فإنسان طاغية، وكان يرى أن ابنه هذا لا يصلح لشيء، وقرر أن يدخله الكنيسة ليكون قسًّا، ولكن ابنه هرب بجلده، فقد لاحظوا أن لديه اهتمامًا غير عادي بالأصداف والمحار والحشرات والفراشات.

ولم يكد الشاب تشارلز يسمع أن سفينة متجهة إلى أمريكا اللاتينية للبحث العلمي حتى تطوع للعمل على هذه السفينة، واتجهت السفينة إلى جزر جلاباجوس، وهنا ولدت عبقرية تشارلز دارون، فقد رأى الزواحف من كل الأشكال والألوان، وراح يجمع ويسجل ويقارن

سنوات، حتى كان كتابه العظيم (أصل الأنـواع) وفي هذا الكتاب نظرية كيف أن الحيوان الذي يبقى هو الأقـوى، فالبقاء للأقوى والأقدر على التكيف.

وذهب بعض العلماء إلى أن داروين قد أيقظ العقل الإنساني من سبات عميق، وكان من الطبيعي أن يتهموه بالإلحاد، وكذلك كل من يدرس نظريته أو يدعو لها.

الأفوكـــادو

في البرنامج العام قالت المذيعة (1/12) وهي تنصح المستمعين ألا يستخدموا الدواء مع ثمرة الأفوكادو. وأنا أشك إن كانت تعرف الأفوكادو. وفي هذه الحالة تكون غلطانة لأنها كيف تقرأ ما لا تفهم.

وكان من الواجب أن تسأل وأن تشرح للناس هذه الثمرة الأمريكية التي يسمونها (التمساح) لأنها خشنة الملمس. ويسمونها (الكمثرى) لأنها لها شكل الكمثرى ويسمونها الزبدة لأن جوفها مثل الزبدة. وشجرة الأفوكادو يبلغ طولها 12 مترًا..

وأحكي لك حكاية، فقبل سفر الرئيس السادات للمرة الثانية إلى إسرائيل، نشرت الصحف أن حرم الرئيس إسحاق نافون - وكانت طريحة الفراش - قالت إنها هي التي سوف تشرف على الطعام المقدم للرئيس السادات، وإنها لن تضع له الأفوكادو في طعامه!

وسألت الرئيس السادات: ما هو الأفوكادو؟

فقال: أنا لا أعرف. ما انت عارف إني فلاح يا أنيس..

وسألت السيدة جيهان السادات، فقالت إنها تضعه في السلطة. ولما قابلت السيدة أوفيرا نافون سألتها كيف عرفت أن السادات لا يأكل الأفوكادو؟

قالت: رجال المخابرات هم الذين قالوا لها إن السادات في حفلة عشاء في ألمانيا أخرج الأفوكادو من السلطة. وانتقلت هذه المعلومة إلى مخابرات إسرائيل.. إلى زوجة رئيس إسرائيل!

وأنا أيضًا لم أكن أعرف ما هو الأفوكادو رغم أنني أكلته كثيرًا وقد وضعوا فيه المايونيز وهو لذيذ.. ولكني لم أسأل!!

مستشـارك
العلمــي

سيادة الرئيس، ليس هذا تدخلًا في عملك، وإنما هو حماية لنا من أي مغامرات تضطرك الظروف إلى ارتكابها. يجب أن يكون لك (مستشار) علمي. مستشار بقصد أن يكون (مشيرًا) علميًا، يجلس في مكتب على مقربة منك، وأن يلقى ما يلقاه الوزراء من احترام.

هذا المستشار سوف يكون عقلك المفكر، يحدثك عن الحاضر والمستقبل، وهذا المستشار ليس له لون سياسي، وأغلب العلماء لا شأن لهم بالسياسة، فسياستهم أن يتقدموا، وأن ينصحوا وأن تحترم نصائحهم؛ فليس لهم هوى شخصي.

ويجب أن تعرف دور المستشار العلمي يا سيادة الرئيس.. يجب أن يلقى احترامًا من الجميع، وأن تساعده على أن يعرف، وأن يكون على اتصال بالحكومة والشعب، وأن ترفع القيود من أمامه ومن حوله، فهو يريد أن يكون نورك الذي يضيء لك، وإن لم يكن عقلك فهو خادم لعقلك وللعقول حولك، ولا خوف منه ولا خوف عليه.

ولا تصدق يا سيادة الرئيس من يقول لك إنه يعرف ويفهم وليس في حاجة إلى من يشير عليه! هذا غرور فارغ!! وموقف خطير وضار بمصالح الشعب ومستقبل أمريكا. تمامًا كما تلجأ إلى الطبيب عند الزكام والمغص، كذلك يجب أن تلجأ إلى المستشار إذا احتدم الخلاف في مجلس الوزراء، أو بينك وبين الكونجرس.

هنا يجيء دور المستشار عظيم الاحترام، وقد استدعى الرئيس روزفلت العلماء واستشارهم، وقالوا وكان قراره النهائي مخالفًا لما قاله العلماء، ولكنه كان يقرر في النور، فدائرة همومه أوسع، فكما أن هناك علماء باهرين، هناك عقول سياسية مبدعة أيضًا!

سيادة الرئيس إن ما جاء في خطاب الرئيس بوش في أغسطس سنة2001 كان أكبر دليل على أن الرئيس ليس له مستشار علمي، فقد أخاف الناس من استمرار البحث في الخلايا الجذعية ورأى في ذلك كفرًا نهايته جهنم.

أبدًا لو كانت جهنم قريبة هكذا ما نجا منها عالم واحد.. ولا تقدمت البشرية. لا تخف يا سيادة الرئيس من المضي في أبحاثنا عن الخلايا الجذعية، وليس من الضروري أن نبحث عنها في الأجنة فقط؛ فالموجود فيها قليل. ولكن يؤكد العلماء أن هناك مصادر غنية جدًّا بالخلايا الجذعية في خدمة الإنسان وتطوره.

فلا تخش شيئًا. ويجب أن تسأل مستشارك العلمي.. إن أي رئيس يحترم نفسه لا يجروً أن يقول إنه ليس له مستشار.. يجب أن يكون هناك مستشارون، فلست قادرًا على ملاحقة العلم وتطوره، فلست مؤهلًا لذلك. كما أننا مثلك لسنا مؤهلين لحكم أمريكا في الاقتصاد والسياسة والصحة والطاقة..

وأن تتوسع بقدر ما تستطيع في تشجيع البحث عن الطاقة، وارتفاع حرارة الأرض التي تهدد الأرض بأن تكون حارة كالمريخ.. ولا حياة فيها. ولم تكن أمريكا في مكانها اللائق بها عندما اتهمها العالم بأنها المسئولة عن ارتفاع جو الأرض والأمطار الحمضية

التي تفسد الحقول في قارات أخرى. يجب أن تختزل أمريكا الكميات الهائلة التي تطلقها مصانعها فتلوث كل شيء عندنا وعند غيرنا..

سيادة الرئيس يجب أن تتخذ من مؤسسة (بيل جيتس) مثلًا أعلى في البحث والتدريب، مما جعلها أعظم وأرقى مؤسسة علمية في الكرة الأرضية!

واستجاب الرئيس

شكرًا للرئيس أوباما. فقد استجاب إلى طلب مئات العلماء. وقد نشرت رسائلهم في هذا المكان. إنهم قد طلبوا إليه أن يعين مستشارًا علميًا. وقد أصدر قرارًا بذلك. ثم اختار أستاذًا حاصلًا على جائزة نوبل في الفيزياء ليكون وزيرًا للطاقة.. واختار وزيرين آخرين من أساتذة الجامعة. كل في تخصصه.

وقد نقلت رغبة العلماء جميعًا. ولماذا تمنوا أن يختار الرئيس مستشارًا علميًا. وأن يكون المستشار في درجة الوزراء، أي يسهل عليه أن يتصل بالرئيس وأن يحصل منه على القرار المناسب. ولكن لماذا؟ لأن الكثير من أحلام وآمال هيئة الفضاء الأمريكية قد تحطمت على أبواب البيت الأبيض لانشغال الرئيس وضيق الوقت وضيق النفس وضيق العقل، فهو لم يفهم بعض المشاكل..

وقد أرسلت أكثر من 500 هيئة علمية برسالة إلى الرئيس يطلبون إليه أن يختار مستشارًا علميًا – أي من العلماء، وليكون مسئولًا عن قضايا العلماء في أمريكا. وليكون سندًا لهم على المنافسة الشرسة مع أوروبا وآسيا، فأمريكا لم تعد وحدها في الفضاء بل تكاثرت أقمار أوروبا والصين والهند. ولكن يجب أن تبقى أمريكا وحدها في التفوق والريادة الفضائية..

وبرغم أن صوتي لم يسمعه الرئيس فإنني شعرت بالسعادة في استجابته لعلماء بلاده الذين هم مصابيح البداية لنا. ولن ينسى العلماء أن الكونجرس الأمريكي قد ناقش مشاريعهم الفضائية ووضعها على الرف، وفجأة ظهر القمر الروسي مع أن العلماء الأمريكان كانوا قد سبقوا الروس!

عريـــس
هـذا القـــرن..

ستة آلاف مليون زغرودة لعريس القرن الحادي والعشرين: أوباما حسين.. الذي هو كوكتيل غريب من البيض والسود والمسيحية والإسلام. وهو أمل كل الأقليات وكل الملونين.. فقد كانوا يؤمنون بأن مجيء هذا اليوم مستحيل. كيف يسود أسود على كل البيض؟ كيف بواحد من عبيد إفريقيا أن يصير سيدًا على الأبيض والأسود.. دون أن تراق قطرة دم؟ إنه الأسود الذي تعلم في أرقى جامعة في الدنيا. ثم انتخبوه عضوًا في مجلس الشيوخ.. وماهي إلا سنوات قليلة حتى صار رئيسًا لأمريكا.

وهو لم ينجح بهذه السهولة. وإنما خاض معارك عرقية وثقافية، ثم اختاروه ليقوم بأخطر مهمة في التاريخ، وذلك بأن يكون سيد الكرة الأرضية ليصلح ما أفسده بوش. وليؤكد للبيض أن اللون لا يهم: فقد يفشل أبيض وينجح أسود. قد يفشل ابن الأكابر وينجح ابن الأصاغر.. وأمامنا التجربة: بوش وأوباما..

إن أوباما هو الأسود الذي أضاء البيت الأبيض.. إن أوباما يحمل منذ الأمس أثقل مسئولية في التاريخ. إنها مثل أعباء الأنبياء. وليس نبيًّا ولكن أحلام الشعوب الملونة ودموع الشعوب السوداء كلها تجمعت على شكل زهرة أو وردة أو حمامة سلام تتوسل إلى أوباما

أن يصحح ما وقع فيه الرجل الأبيض منذ كان يحشر العبيد عبر الأطلسي إلى حقول البيض في أمريكا.

ولا أجد أفضل من بيت للشاعر الكبير على الجارم قاله للملك فاروق أهديه لك:

يوم كـأنَّ ضيـاءه من أعيـن　　　من طول ما اتجهت له الأنظار

البرلمـــان الصغيـــر

أعجبني كلام د.صفوت نجيب البياضي في البرلمان الصغير – أي في البرلمان المكون من الأطفال والذي يتناول قضاياهم ومحاولاتهم أن يكونوا كبارًا – ومن النادر أن يستوقفك البرلمان الصغير لأنه صغير ولأنه يقلد البرلمان الكبير الذي لا نتابعه أيضًا.

إلا هذه المرة فقد استوقفني اسم رئيس الطائفة الإنجيلية ماذا عساه أن يقول للأطفال. وهو رجل دين. وقد أدهشني أنه لم يتعرض للدين.. أي دين.. فشجعني على أن أستمع إلى ما يقول.. وما قاله كان عن التربية وعن أن التلميذ يجب أن يكون إيجابيًا.

أهم من ذلك أنه قال للطلبة وللشباب إنهم يجب أن يعملوا.. فبلادنا كلها كنوز تحت الأرض.. كنوز أثرية ومعدنية.. ويجب أن نعمل، أن نبحث، أن نتعب.. إننا كالذي له ملايين الجنيهات ولا يعرف مكانها.. أو لا يعرف كيف يهتدي إليها.. ومفتاح كنوز مصر هو أن نعمل.. أن نغرز أظافرنا في أرض مصر.. أن نعمل.. إن كنوز مصر لا يمكن أن تنتقل وحدها إلى جيوبنا.. وإنما يجب أن نبحث عنها وهي ليست بعيدة عنا.. لا الآثار ولا المناجم.. كل ذلك قريب، فنحن أصحاب ملايين.

ويبقى أن نبحث عنها ودون بحث عنها، سوف تكون حياتنا خيالية وخرافية.

لقد أعجبني الدكتور البياضي، وأعجبني اختيار الأطفال له. وقد أحسنوا الاختيار!

وهـذا يذكرني بأسطورة صينية للبحث عن كنز. وكل الناس يبحثون عن هذا الكنز فلم يجدوه.. ثم وجدوا هذه العبارة: شكرًا. لقد كانت هذه الأرض تحتاج إلى حرث وتقليب وتعرضها لأشعة الشمس!

المطلب الشعبي الوحيد

علماء أمريكا وجهوا خطابات للرئيس الأمريكي الجديد.

إنهم لم يطلبوا تعديلًا في مرتباتهم ولا علاوة ولا درجة علمية. وإنما يطلبون فقط أن يكون له مستشار علمي يفهم احتياجات العلماء وحرية البحث العلمي، يعني عدم تدخل الدولة في إنقاص ميزانية البحث العلمي أو أي توجيه للبحث العلمي، ولم يفتهم أن يشيروا إلى تدخل الدولة في البحث العلمي أحيانًا، وهي غلطة يجب أن تعتذر عنها الدولة، وألا يقع فيها الرئيس الجديد.. وهم يذكرونه بما قاله كيندي عن أمله في أن يهبط الأمريكان على سطح القمر ويعودوا سالمين.. وكذلك عن أمل كلينتون في الانطلاق من القمر إلى الكواكب الأخرى والعودة سالمين..

وقد اختار الرئيس أوباما عددًا من أساتذة الجامعات لأهم المناصب والوزارات. فاختار البروفسور أسطفان شو الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء ليكون وزيرًا للطاقة.. واختار البروفسيرة جين لويشنكا الخبيرة في شئون الاحتباس الحراري أول مديرة للإدارة القومية لشئون البيئة المحلية والعالمية..

أما مستشاره العلمي فهو البروفسور جون هولدرن أستاذ الفيزياء بجامعة هارفارد.. وهو يعرف تمامًا كل احتياجات الباحثين في

المجالات العلمية.. وجاء تعيينه استجابة لمطالب العلماء. وأكبر دليل على أن الرئيس الأمريكي قد سمع واستجاب، فاستحق الاحترام هو أيضًا!

وهذا دليل على أن الرئيس الأمريكي الجديد يسمع ويرى ويحترم أحلام العلماء؛ لأنه كان أكبر الحالمين!

قـــوة خفيـــة

أنت لا تعرف بالضبط ما الذي يمكن أن يخرج منك إذا تدربت على نوع معين من الرياضة.. إن التدريب يخلق منك إنسانا آخر.. هذا الإنسان الآخر موجود في داخلك.. أنت لا تعرفه.

مثلا.. إذا طاردك كلب فإنك تهرب منه وتقفز من فوق قناة عريضة.. هذه القناة لا تستطيع أن تجتازها في أية ظروف عادية.. فما الذي حدث؟ إن إثارة عصبية قد منحتك هذه المقدرة المفاجئة!

إن بعض الناس عندما تشتعل النار في بيوتهم تكون لديهم شجاعة خارقة.. إن رجلًا استطاع أن يقتحم النيران وأن ينقذ إحدى بناته.. وقد نجت ابنته لأنه قفز من عشرة أمتار. فمن أين جاءته هذه القوة؟! إنها قوة كامنة في جسمه!

إن الذين رأوا المصابين بمرض (الأموك) المعروف في آسيا يلاحظون أنهم يجرون بسرعة تفوق سرعة الخيول في بعض الأحيان.. إن هذا المرض قد وهبهم طاقات نادرة..

كما أن الذين ينامون مغناطيسيًا يتصلبون كأنهم ألواح خشبية.. وفي استطاعتهم أن يناموا على كرسيين متباعدين ولفترة طويلة يعجز عنها أكثر الرياضيين قوة.

لقد أثبت التحليل الطبي أن عظام بعض الرياضيين في صلابة الأسمنت المسلح.. وهؤلاء الرياضيون لا يتناولون أطعمة نادرة.. وإنما ما يتناوله الناس. فمن أين جاءت هذه القوة الخرسانية؟ من أجسامهم طبعًا!!

فليس في أجسامنا قوى عضلية فقط.. وإنما فينا قدرات وطاقات نفسية لا حدود لها.. ولكننا لا نجربها.. ولكننا لا نمارسها.. لا نتيح لها الفرصة لكي تبرز، فنحن أقدر على أن نتحمل أكثر مما نتصور..

مصيبة
البنت المتعلمة

في مسلسلات التليفزيون نجد الفتاة الجامعية محتارة بين قلبها الذي أحب زميلًا لها، فقيرًا، وبين رغبات والديها في أن تتزوج عاملًا أصبح غنيًّا، وينتهي المسلسل بأن تتزوج الغني.

وليست هذه هي النهاية الحقيقية. وإنما هي بداية المشاكل والمتاعب العائلية والنفسية.. وكلها نعرفها ولا نراها على الشاشة...

والمشكلة الآن: إذا كان التعليم لا قيمة له، فلماذا يتعلم الناس؟ وإذا كان الحب لا معنى له، وإذا كانت حرية الاختيار لا قيمة لها فلماذا يتعلم الشباب؟ وإذا تعلم فلماذا نريده أن يكون راضيًا قانعًا مستقيمًا؟!

إذن فمصيبة الفتاة مصيبتان: أن تتعلم وأن تعاشر معظم سنوات حياتها زملاءها المتعلمين، وفي الوقت نفسه أن تحتقر نفسها وتحتقرهم أيضًا... لأنهم تجار كلام، غير قادرين على أن يكونوا أزواجًا لهم بيوت وأولاد..

ولا يتصور أحد ويجب ألا تظهر على الشاشة تلك المعادلة النفسية والاجتماعية والاقتصادية الجديدة من زواج بلا حب، سوف يكون حبًّا بلا زواج!!

فـإذا أرادت الطالبة والطالب معًا أن تكون لهما حياة شريفة محترمة وأن يعملا معًا على تحقيق السعادة النسبية والنجاح الضروري فإنهما لم يجدا ذلك ولا يشجعهما التليفزيون في كثير من المسلسلات.

وليس أمامها إلا الكبت وإلا الإحباط.. وإلا الشعور بالغربة في هذا المجتمع.. ومادامت مسلسلات التليفزيون والأفلام تشيع ذلك بالألوان، إذن فهذه إرادة عامة. فما الذي يفعله الشبان أمام هذه الدعوة إلى احتقار العلم والدراسة وتقديس المال، أيًا كان مصدره..؟!

هــــؤلاء
اللصـــوص

هذه القصة المفيدة والتي لها معنى اليوم وكل يوم أنقلها من كتاب ممتع حقًّا لفضيلة المرحوم الأستاذ أحمد حسن الباقوري في موضوع لا يخطر على بالك.

يقول الباقوري عن المؤرخ الكبير المقريزي إن سيدة اشترت جوال دقيق بألف دينار، واحتاجت إلى من ينقل لها الدقيق إلى البيت.. ووجدت عددًا من اللصوص يحملون دقيقها وينهبون الدقيق شيئًا فشيئًا.. عملًا بالحكمة التي تقول حاميها حراميها..

ومن الدقيق الذي تبقى صنعت كحكة، أخذت الكحكة ووقفت على باب قصر الملك المستنصر تدعو الله أن يوفق الملك الذي يباع في عهده الرغيف بألف دينار!!

وضاق الملك واستدعى الوالي وهدده بأنه إن لم يعالج مشكلة الدقيق والرغيف فسوف يأكل الناس كل شيء وسوف يهدمون الدولة على رأس الملك والوالي.

واهتدى الوالي إلى فكرة. فأخرج اللصوص والقتلة من السجون، وأمسك السيف وقطع رقاب اللصوص واحدًا واحدًا وهو يقول: سرقتم أموال الشعب، سرقتم طعام الشعب.. ولذلك فلا علاج لهذه الرقاب إلا بقطعها!

ورأى تجار الغلال مصير اللصوص. فاستعانوا بالوالي أن يكف عن قطع بقية الرقاب.

وخرج تجار الغلال، أي لصوصها أيضًا وفتحوا مخازنهم وطرحوا الغلال في الأسواق..

وكان الجوع قد دفع الناس إلى أن يأكلوا لحم الكلاب والقطط..

والشعوب كالأفاعي، تزحف على بطونها.. فإذا خلت بطونها، امتلأت أفواهها بالمرارة وقلوبها بالحقد وأيديها بالسلاح، تقتل بعضها.

ونحن لا نشكو من قلة الدقيق، وإنما شكوانا من كثرة اللصوص – فلنتعلم من التاريخ!

الألـــم ومعنـــاه

آه – أقولها كثيرًا. طويلة وقصيرة وبالرغم مني. وقررت ألا أقولها. فنجحت بعض الوقت، وفشلت معظم الوقت، فقد توهمت أن الألم يمكن احتماله، وأنه من السهل أن أروض نفسي على كتمان هذين الحرفين: آه. فإذا كنت أشكو من وجع في الضرس، فالوجع شخصي، فلا داعي إذن أن أستعطف أحدًا أو أشهد أحدًا على أحد.. وظننت أن (اليوجا) سلوك نفسي جسمي اجتماعي ويقوم على تحمل الألم. وبعد فترة قصيرة اكتشفت أن هناك ألمًا أقوى من كل ألم. وأن كلمة (آه) هي أمل وهي فعل. ولكن الألم الذي هو أقوى من كل ألم ما الاسم: ألم فادح!

وأنا لا أعرف ما معنى الألم؟ ما الذي يجعل أي إنسان يصرخ من الألم. ما هذا الذي تحول إلى أنياب وأظافر وصواعق كهربية في مكان ما من الجسم. نوع من الألم اسمه (عرق النسا) بفتح النون، فما هذه المواد الكيماوية التي يفرزها الجسم أو الأعصاب أو العضلات في مكان ما وتكون كاوية حارقة شائكة في وقت واحد؟ أو ما اسم هذه الأنياب التي لها مخالب والتي لها وخز الإبر والدبابيس والنار معًا. كيف؟ لا أعرف.

ويقال إن نبي الله أيوب قد تجمعت على كل ملليمتر من جسمه ملايين المخالب والأظافر والأنياب والدبابيس لمدة سبع

سنوات وسبعة شهور وسبعة أيام وسبع ساعات. واحتمل الألم. ويقال إن إبليس قد حسد النبي أيوب على قدرته الفائقة على احتمال العذاب الجسمي والنفسي والاجتماعي – ولذلك كان نبيًا أقوى من الألم!

أنت تستطيع

الكتب التي تقول لك: إن الحياة تبدأ بعد الخمسين أو بعد الستين، كلها تؤكد حقيقة واحدة.. أنه من الممكن أن يطيل الإنسان في عمره، فبدلًا من أن يشعر بالشيخوخة ابتداء من الخمسين أو الستين، ويبدأ في التوقف عن ممارسة الرياضات اللذيذة التي اعتاد عليها، فإنه يبدأ يحذف من حياته أشياء كثيرة لا تتناسب مع سنه.. فهو مثلًا لا ينهض من النوم مبكرًا لأنه عجوز.. ولا يسهر حتى ساعة متأخرة لأنه رجل عجوز، ويسرف في طعامه وشرابه، لأنه يا أللـه.. جسن الختام، ولا يذهب إلى السينما أو المسرح لأنه لم يعد شابًا..

وأسوأ من هذا كله أنه لا يمشي على قدميه لأنه خلاص كبر.. ورجل هنا ورجل هناك – أي رجل في الدنيا ورجل في الآخرة!!

إن كل الأطباء وخبراء التجميل يرون أن العلاج الوحيد لكل أمراض الإنسان بعد الأربعين هو: المشي.. والكثير من المشي.. وأحب أن أقول شيئًا مهمًا وهو أن الأمراض التي تظهر بعد الأربعين لا علاقة لها بالسن. فمن الممكن أن تكون هذه الأمراض قد بدأت في العشرين أو الثلاثين.. ولكنها في الأربعين ستجد الجسم مستعدًا للاستسلام لها.. فالمشي علاج للروماتيزم وعلاج لضغط الدم وعلاج للسمنة

وعلاج للنحافة، لأن المشي يؤدي إلى تنشيط عام في الدورة الدموية وإذابة الكثير من المواد الزائدة على الحاجة، لها أسماء غريبة لاتينية ويونانية أعفيك منها.. وأعفي نفسي أيضًا..

فالمشي بعد الأربعين وبعد الستين لا يجعل لك رجلًا هنا ورجلًا هناك.. وإنما يجعل الرجلين هنا عشرات السنين!

تعبيـــرات مملـــة!

هناك تعبيرات كثيرة (سيئة السمعة).. مثلًا إذا أردنا أن نسخر من الذين يتحدثون بشكل رسمي قلنا: (في الواقع) ثم قلنا بعدها أي كلام فارغ، وعندما نقول في الواقع يكون المعنى أن ماعدا هذا الكلام ليس واقعيًّا، وإنما الكلام الواقعي هو هذا الذي نقول، ثم نقول كلامًا فارغًا!

ومن أقدم التعبيرات: (في المرحلة القادمة) فهذا التعبير قديم جدًّا، وإذا عدنا إلى أول خطاب ألقاه العقيد أركان حرب جمال عبد الناصر حسين فإننا نجده يقول: المرحلة القادمة، وهذه المرحلة القادمة لم نبلغها بعد فهي دائمًا أمامنا والنكتة الشعبية تقول إن مطعمًا للفول كتب لافتة تقول «اليوم بفلوس وغدًا مجانًا».. وغدًا هذا لا يجيء، وكذلك المرحلة القادمة!

أما أسخف ما قال الأطباء ويقولون وسوف يقولون فهو أن المريض هذا (زي الفل).. ولا بد أن يكون المقصود هو أنه أبيض زي الفل أو له رائحة زي الفل، وزي الفل تعبير فصيح بشرط أن تنطق زي بكسر الزاي، وكلنا مررنا بحالة زي الفل، وأنا أصدرت كتابًا حصل على جائزة وكان عنوانه (زي الفل – عذاب هذا الكاتب).

وكان هدفي في هذا الكتاب عن مرض أبي وأمي وأخي ومرضي وكيف أننا انتقلنا جميعًا من فل إلى فل أسوأ منه!

وعندما ودعنا توفيق الحكيم قبل وفاته قال لنا: إن شاء الله سوف تجدونني مع طه حسين والعقاد زي الفل في جهنم هاها.. هاها!

الرحمـــة بالحيــوان

سؤال: ما الذي تراه الكلاب والقطط؟

لاحظ علماء الحيوان أن الكلاب تنظر إلى وجوهنا وتقلب وجهها في وجوهنا.. كأنها تقرأ سطورًا على وجوهنا، والحقيقة أنها تقرأ. فقد كنا نظن لعشرات السنين أن الكلاب والقطط والأطفال الصغار يتعرفون على وجوهنا أو علينا من الرائحة أو من العلامات غير الواضحة في وجوهنا... ولكن أثبتت التجارب المعملية أن الكلاب عندما تنظر إلى وجوهنا، مرة من الشمال إلى اليمين ومرة من اليمين إلى الشمال فإنها تقرأ سطورًا أو مفردات لا نعرفها... وأحيانًا نلاحظ أن الكلاب تصدم وجوهها في وجوهنا... وعن طريق الصوت أو صدى الصوت تعرفنا...

وهناك لوحة شهيرة للفنان بيكاسو مع قطة كبيرة.. وتحتها هذه الكلمة: أوكى.. أي تكلمنا وتفاهمنا وعرفت منها ما تريد وعرفت مني وعني ما تريد!

ربما كان القديس أوغسطين أول من اهتدى إلى هذه الحقيقة العلمية، فقد كان القديس أوغسطين يحب الحيوانات..

وكان حريصًا على أن يحيط نفسه بها... ويرى أن الرحمة ليست رحمة الإنسان بالإنسان وإنما رحمة الإنسان بالحيوان.. وفي كلمة

وجهها إلى أمه يقول فيها: لا تشغلي بالك، لقد اتفقنا على الحب والسلام – يقصد السلام مع الحيوانات... لقد قرأ وجهها وقرأت وجهه، فقد عرف القديس من أربعة عشر قرنًا ما اهتدينا له الآن!

والرضيع يعرف أمه من سطور على وجهها التي لا نراها ولكنه يراها، وكذلك صغار الطيور تتعرف على أمهاتها من رائحتها أو من صوتها أو من علامات على الوجه أو مغناطيسية عند المنقار، ويستطيع الصغير مهما كان عدد الأمهات أو عدد الصغار أن يعرف أمه بمنتهى الدقة..

هـــؤلاء
الغربـــــاء..

هؤلاء الغرباء.. ماذا فعلوا؟

فالرئيس ساركوزي فرنسي من أصل مجري.

والرئيس أوباما أمريكي من أصل إفريقي.

وهتلر نمساوي جاء ينهض بألمانيا.

ونابليون إيطالي جاء بالمجد إلى فرنسا.

وغريب جدًا أن يكون رئيس وزراء اليابان كاثوليكيًا.. لا هو بوذي ولا كونفوشي ولاشنتوي. ورئيس وزراء كندا من الأقلية البروتستانتية، وليس من كويبك.

ورئيس وزراء بريطانيا إسكتلندي.. ومستشارة ألمانيا أول مستشارة في التاريخ جاءت من ألمانيا الشرقية الفقيرة.

إحساس هؤلاء أنهم غرباء يجعلهم حريصين على أن يتفوقوا وألا يقعوا في خطأ.. فأخطاء الغرباء غير مقبولة.. وإنما المقبول هي أخطاء أبناء الأغلبية.

وجميع المعادلات الرياضية والحسابية مستحيل أن تضع على رأس أمريكا زنجيًا.. ليكون أقوى رجل في أقوى دولة في العالم.. فالرئيس أوباما تركيبته عنصرية غريبة.. وجلوس أوباما على عرش

أمريكا «شيء ليس في الكتب»، كما يقول الشاعر القديم – ولذلك فأوباما ليس حدثًا أو حادثة.. وإنما هو شيء فوق العقل.. فكل ظروف أوباما عجيبة بما في ذلك أنه تعلم في هارفارد، وأنه عضو مجلس الشيوخ.. وأنه خطيب فصيح.

ولكن هذا هو التاريخ.. فهو يدين للأفراد الأفذاذ الأبطال الذين هم على الحافة بين الخرافة والحقيقة.

والمفكر الإنجليزي كارليل في كتابه عن البطولة وعبادة البطل يقول: كل بطل غريب في وطنه بما له من صفات فائقة ومن تكوين جسدي ونفسي واجتماعي.

ويقول أيضًا: إن شعوره بالغربة هو الذي جعله يؤمن بأنه مختلف.. ولأنه مختلف فسوف يدفع ثمنًا فادحًا من جسمه ونفسه.. والتاريخ أكبر شاهد على ذلك!!

أصلهـا فصيـح

وهذه كلمات عامية، ولكنها في الأصل فصيحة:

نقول يسقع الأرض، أي يتركها حتى يرتفع ثمنها، وفي الفصحى الصقع أن ترفع صوتك، ويقال هذا رجل صقع أي بليغ عالي الصوت.. ويجيء منها رفع السعر أيضًا.

ونقول «يم» الدكان أي في اتجاه، أو بالقرب منه، وفي الفصحى نقول: يمم وأمم ويأمم المكان أي يتجه إليه.

ونقول فلان «واع» وهي واعية.. والأصل وعى الموضوع أي فهمه.

ونقول فلان «متودك» أي له تجارب وفاهم، والأصل الفصيح أن الودك هو الدسم يوضع في الطعام، ونقول ما فيه ودك، أي لا فائدة منه.

ونقول «هلبت» أي هل بت في هذا الموضوع بالموافقة أو الرفض.

ونقول فلان «هفأ» أي تافه، أو ضعيف وهي فصيحة.

ونقول «هرهر»، وفي الفصحى هرهر أي أحدث صوتًا، وهرهر أي ضحك بصوت مرتفع.

ونقول «لسا»، أو لسه أي لم يحن الوقت بعد، والأصل: للساعة أي حتى هذه اللحظة!

وفلان «نمكي» أي دقيق في عمله، والفصيح أنه «نمقي» من التنميق والحفاوة بما يفعله.

ونقول هذه فكرة «عيسة» أي فكرة يجب كتمانها لأهميتها، وهي فصيحة.

ونقول إنه «نق» وينق أي يتكلم كثيرًا ويحسد.

وفي الفصحى نقول إن الدجاجة نقت، ونقيق الضفادع أي صوتها.

ونقول فلان «ينبط» على فلان أي يستخرج المعاني التي لا يحبها، والفصحى تقول نبط الشيء أي أظهره وبالغ في ذلك.

ونقول فلان يرتدي «فالنة» ونقصد فانلة، والكلمة الأولى هي الأصح لأنها مأخوذة من الإنجليزية فلانل.

ونقول فلان «زقلط» أي قصير القامة، والفصيح أن نقول زلقط.

أم
تشرشـــل

كاتب سخيف أراد أن يشتم الرئيس السادات فقال له:

ياللي أمك سودانية! مع أن هذا لا يعيبه ولا يعيبها، كما أنه لا يعيب والده هو أنه عربجي، يكفي أنه علم ابنه حتى لا يكون مثله.

ولم يجرؤ أحد من القارات الخمس على أن يقول للرئيس كلينتون ياللي أمك ممرضة تضع الأبيض والأحمر قبل أن تنام حتى إذا استدعوها قفزت من السرير إلى الموتوسيكل إلى المستشفى.

ولا قال أحد عن هتلر إن أمه كانت خادمة في بيت أحد يهود فيينا. ولا إن أباه كان سائقًا للقطار.. ولا جرؤ أي إنسان أن يقول لأمير الشعراء الروسي بوشكن: ياللي أجدادك كانوا من عبيد الحبشة، وكان الشاعر بوشكن يشير بفخر إلى شعره المجعد وشفتيه الغليظتين.

أما الذي يحدث في بريطانيا هذه الأيام فهو العجب العجاب، فالقناة الرابعة من التليفزيون البريطاني تذيع مسلسلًا اسمه (ليدي رانـدي).. أي الليدي راندولف تشرشل أم تشرشل أعظم ساسة بريطانيا، والمسلسل يقول إن أم تشرشل الأمريكية كانت جميلة جميلات القرن التاسع عشر والعشرين أيضًا.. أما عشاقها فأكثر من مائتين.. ولذلك كان يقال عنها إن ألمانيا أحبتها أي لا يعرفون كم

عدد عشاقها الألمان.. ويقولون إن روسيا أحبتها، فلا يعرفون عدد عشاقها من الروس. فلم يستطع أحد مقاومتها، ولا استطاعت مقاومة أحد.

وكان آخر عشاقها ابن المستشار الألماني بسمارك. ومعظم عشاقها كانوا أصغر سنًّا من ابنها تشرشل! ولم يستطع أحد أن يقول لتشرشل.. ياللي أمك ش.. ولكن هذا النوع من الرذالة ممكن في بلادنا!

إذاعـــة
القـــرآن الكريـــم

الحديث الممتع هو الذي يشغلك عن أي شيء آخر.. أو هو الذي لا تشعر فيه بالمكان أو الزمان. وكذلك البرنامج الإذاعي أو التليفزيوني..

وهو برنامج واحد لا ثاني له وهو(إذاعة القرآن الكريم) – برنامج كله صدق وصفاء ونقاء: كلام الله وأحاديث الرسول ﷺ، وأجمل الأصوات في التلاوة والقراءة وأكبر المفسرين من أساتذة الجامعة والعلماء. وقد استمعت من (إذاعة القرآن الكريم) إلى الاجتهادات البديعة للشيخ الشعراوي ولشيخ الأزهر د. طنطاوي وللدكتور أحمد عمر هاشم وعدد كبير من العلماء من أساتذة التاريخ والحديث والسيرة والشريعة.

ثم هناك متعة أخرى وهي أننا أبناء الريف الذين حفظوا القرآن صغارًا، لا بد أن تكون قد غابت عنهم بعض الآيات.. فهي فرصة لكي نستكمل ونستدرك. وأحيانًا أشعر بأن هذه الآيات لم أحفظها من قبل..

بمنتهى الصراحة لقد وجدت راحة نفسية ومتعة روحية؛ فلا طبل ولا زمر ولا كذب ولا نفاق. وكان في نيتي أن أقترح وأبدي بعض الملاحظات الفنية، ولكن ترددت. فالبرنامج بهذه الصورة: تلقائي بسيط وليس في حاجة إلى أي تعديلات من أي نوع..

وهو يضم عددًا هـائلًا من المتحدثين والقراء والمفسرين وحكايات من التاريخ ومن السيرة النبوية.. ساعة وراء ساعة.. يومًا بعد يوم. ومادة متجددة. وليس له نظير!

العاملون في هذا البرنامج أناس قد نذروا أنفسهم للخير والصدق والآخرة. ولا يريدون شيئًا من أحد. فقد ارتضوا أن يكونوا بعيدين عن الأضواء – فهذا البرنامج قائم على إنكار الذات.

وتمضي الساعات وأنت تسمع وتتأمل ويسعدك ذلك.. كأنك في مسجد، والمسجد عند حافة الكون، عند باب من أبواب الجنة ونعم المصير!

اشتم مصر:
تكسب

هناك قنوات تليفزيونية عربية تساعد مصريين لشتم مصر وتدفع الملايين. هل أدلك عليهم؟ أنت تعرف وتندهش كيف لا يتوارى هؤلاء المأجورون خجلًا. الحقيقة أنهم وراء جدران من الذهب يتوارون. وأصبحت أكبر تجارة رائجة هي إهانة وتحقير مصر.

ومن مظاهر النفاق لمصر أننا غضبنا من فيلم إيراني تم تصويره في مصر وإنتاجه في مصر يهاجم السادات. إيه يعني الهجوم على السادات؟ فنحن اغتلنا السادات الذي نصرنا على عدونا وعلى أنفسنا وعلى الشامتين فيه. إيه يعني شتيمة السادات؟

إيه يعني إطلاق اسم قاتله على أحد الشوارع؟ إننا نهاجم السادات في كل المسلسلات المصرية وفي التليفزيون المصري. وجريمة السادات أنه رأى ما لم نعرف وأنه أدخل البهجة على مصر التي لا تستريح إلا للغم والهم والبكاء والعويل على الماضي والحاضر والمستقبل؛ فقد حاول السادات أن يغير المزاج العام للمصريين وأن يفتح عليهم أبواب الخير ويبني لهم المدن الجديدة فينعموا بالسلام 35 عامًا وكانوا يحاربون وينهزمون كل ست سنوات، ومع ذلك سعداء بالهزيمة؛ لأن نصف شعبنا من الندابين، والباقين من زوار القبور. تاريخنا كله هكذا وليس

مصادفــة أن تكون الأهرامات هي أكبر معالمنا – وهي أعظم مقابر في التاريخ وأن يكون لنا خميس أول وأربعون وسنوية والذكرى العاشرة كأننا نعيش لنبكي ولا نمشي في حشود منتظمة إلا في الجنازات!

الصــداع

أولًا

مرض العصر هو ضغط الدم، ولكن دراسة أمريكية أخيرة أكدت أن رقم واحد في أمريكا هو الصداع والمرض رقم 2 هو آلام الظهر وبالذات عرق النسا بفتح النون وهو يصيب الموظفين الذين يجلسون على مكاتبهم ساعات، ويقومون بحركات ضارة بالعمود الفقري دون أن يدروا، والعرض ليس هو المرض، وإنما أعراض لأشياء أخرى كثيرة في العمود الفقري: تآكل الفقرات، خشونتها، ضغط على الأعصاب، ويكون ذلك في جانب واحد من الجسم.

ويؤدي في كثير من الأحيان إلى أن يفقد المريض أو العامل وظيفته لأنه غير قادر على الوفاء بالتزاماته اليومية. والمصابون بعرق النسا كيف يعالجون، هذه هي المصيبة! اختلفت النظريات بين الأطباء وشركات الأدوية الكيماوية والأدوية العشبية والوخز بالإبر.

ويؤكد الأطباء أن علاج آلام الظهر: الرياضة والتدريب والتدليك والإبر الصينية. وكثير من العقاقير في الصيدليات تزف البشرى للمرضى بأنها هي الوحيدة؟! ولكن الهيئات الطبية تشكك في صحة هذه الادعاءات. وفي نفس الوقت ترى أن هناك زيوتًا ودهونًا عشبية تعالج آلام الظهر والساق والقدم.

وكثير من المرضى نشروا تجاربهم على الإنترنت.

وسوف تقنعك تجاربهم الباهرة الناجحة التي تغنيك عن الطبيب وعن أي تدخل جراحي. هذا الكلام ليس موجهًا للأمريكيين وإنما لكل الذين يقضون أعمارهم وقد انكفئوا على الورق فتكسرت فقرات العنق والظهر... وأجارك الله من الألم!

ولكن لا بد من التدخل الجراحي بأساليب مبتكرة..

فإذا حاولت وزهقت ويئست، فلن تكون وحدك في خيبتك.

فكلنا وراءك نهتف بسقوط عرق النسا!

شكـــر
لمكتبـــة الإسكندريـــة

الأستاذ الكبير أنيس منصور.. تحية طيبة وبعد.. كنت في زيارة للولايات المتحدة الأمريكية وقـرأت أعمدتكم القيمة عن والدي المرحوم المؤرخ يوسف فهمي الجزايرلي.. وقد سعدت بما قرأت من تكريم وتبجيل واحترام للوالد وموسوعته عن شوارع الإسكندرية.. فضلًا عن التحليل الدقيق والتقييم الرائع للموسوعة.. ولقد تمنيتم أن تتلقى إحدى الجهات العلمية بالإسكندرية هذه الهبة من السماء وتتولى إصدارها لتأخذ حقها في الإعلام.. وتحقق ما رغبتم والحمد لله.. إذ تعاقدت معنا مكتبة الإسكندرية ممثلة في رئيسها الدكتور إسماعيل سراج الدين على طباعة ونشر الموسوعة.. وقد وقعت وأخي العقد.. فكل ما كنا نريده هو ظهور الموسوعة وخروجها إلى العلم العام على النحو الذي يليق بها وبمؤرخها.. أردت أن أحيطكم علمًا بما تم ولكم خالص الشكر والامتنان.

المستشار فريد الجزايرلي

رئيس محكمة الاستئناف

شكرًا للأسرة الكريمة التي احتفظت لوالدها العالم الجليل الجاد بما ترك من أثر نحن نحتاج إلى أمثاله في كل المحافظات والمدن التي امتلأت شوارعها بالأسماء الغريبة العجيبة التي لا نعرف كيف

وجدوها.. وكيف حذفوها من الكتب وثبتوها على الجدران لإغاظة السكان.

فمثلًا: بالقرب منا شارع قرة بن شريك.. ويمكنك أن تسأل جميع السكان إن كان أحد يعرفه.. كان طاغية ضرب المصريين وأحرق زرعهم وطفشهم من بلادهم.. ثم أعادهم بالكرباج ليدفعوا الضرائب لثلاث سنوات قادمة لكي يستطيع الخليفة الوليد بن عبد الملك أن يبني المسجد الأقصى ومسجد الصخرة.

وشكرًا للدكتور إسماعيل سراج الدين الرجل المستنير العارف لقيمة الجهد الهائل الذي تركه الوالد العظيم.. يا بختكم!

سيادة
الرئيس أوباما

سيادة الرئيس الجديد إن هذه الكلمات إليك قد استغرقت منا وقتًا طويلًا. إن صحفيًا يستطيع أن يكتب ضعف هذه الكلمات في دقائق، ولكننا لا نستطيع. ولا نعيب عليه أنه استطاع. إننا نحسبها لأننا نعرف قيمة ما نقول وإلى من نقول. ونخاف أن يساء فهمنا، فكل كلمة قد استغرقت مجهودًا كبيرًا. وهذا عيب فينا، ولا حيلة لنا فيه، فقد علمتنا الأرقام والمعادلات الرياضية أن يكون كلامنا في مثل هذه الدقة. هل هناك أبسط وأخطر من معادلة أينشتين التي بمقتضاها عرفنا ما الذي تفعله القنبلة الذرية؟ إن أينشتين يقول لنا إن أصغر مادة تستطيع أن تطلق طاقة خرافية. والمعادلة تقول: ط= ك× مربع ث.. أي الطاقة = الكتلة مضروبة في مربع الثابت وهو سرعة الضوء 186 ألف ميل في الثانية. وتفسير هذه العبارة أنه لو كان عندنا مصباح بقوة 100 وات فإن الطاقة المنبعثة من جرام واحد من مادة تجعله يضيء 30 ألف سنة!

وكل ما نطلبه بمنتهى الوضوح يا سيادة الرئيس هو الاهتمام الأكبر بالبحث العلمي والتدريب الطويل والصبر علينا، فليست كل الطرق العلمية تؤدي بالضرورة إلى أحلامنا.

اسأل مستشارك العلمي كيف اكتشف العلماء حقائق مذهلة بالمصادفة؟

استمع إليه ولا تنظر إلـى لحيته الطويلة وبنطلونه ومنظاره الغليظ.. إنه أعظم من ذلك كثيرًا.

وليس عندنا ما نقوله لك يا سيادة الرئيس إلا أن يوفقك الله من أجل أمريكا والإنسانية!

هذا خطاب بعث به علماء أمريكا إلى الرئيس أوباما..

عظيـــم

يـا ريـــس!

أعجبني الرئيس ساركوزي، لا لتوقعه السريع وتصديه للكارثة الكونية التي أوقعت فيها أمريكا الدنيا كلها، ولا لأنه لم يهتم بالكلام الفارغ الذي نشره مدير مخابراته المفصول عن غرامياته وعلاقته بزوجة أحد الوزراء، ولا بأن رئيس وزرائه شاذ جنسيًا، ولا بأنه لم يرد ولم يصد على ما جاء في مذكرات زوجتيه الأولى والثانية، فهي حرية شخصية، والذي حدث هو عدوى انتقلت إلى الصحف الفرنسية من الصحف البريطانية السخيفة!

ومن مئات السنين قال الفيلسوف الفرنسي روسو في اعترافاته عندما سألوه عن الزواج قال: لا زواج وإنما أرسلت أولادي إلى بيوت اللقطاء!

إنه فرنسي صميم..

ولكن أعجبني جدًا عندما استدعى رئيس اتحاد الكرة وعنفه بشدة، إذ كيف يقبل وللمرة الثالثة أن يرى إهانة للنشيد الوطني الفرنسي الذي يعزفونه في بداية المباريات المشتركة حين يقابله التوانسة والمغاربة والجزائريون بالصفير..

فكيف لا يخرج جميع الفرنسيين من الملعب مع إلغاء المباراة ولا بد من عقوبة رادعة!

وحاول رئيس الاتحاد أن يجد أعذارًا، كأن يقول إن جمهور الكرة لا يمكن التحكم فيه، وإنهم يفعلون ذلك في بلادهم، وكان صمت الرئيس ووقوفه استعجالًا لنهاية اللقاء قرارًا نهائيًّا حتى لو أدى إلى ألا تلعب فرنسا كرة القدم!

عظيم يا ريس!

ولم نتخذ نحن ولا مرة مثل هذا القرار عندما تتردد في الملاعب ألفاظ نابية: شتيمة اللاعبين والحكم الذي يراه الجمهور مرتشيًا، ويطالبون بإخراجه فورًا مع كلمات أكثر بذاءة، ولا واحد من هؤلاء قد ألقي القبض عليه أو طرده أو حرم نهائيًّا من مشاهدة المباريات!

نــداء
إلــى أوبامــا

سيادة الرئيس لا تمسك يدك عن توفير المال اللازم للبحث في الطاقة بما يخدم الاقتصاد، ويجب أن تشجع العقول المهاجرة إلينا، وألا تبخل عليهم بالتدريب المستمر، ويجب أن يفخروا بما تقدمه لهم وبما تدفعهم إليه من البحث الجاد والمبتكر من أجل آفاق جديدة، فهذا أهم ما يميز العقل الأمريكي.. فلا يوجد سقف للثراء ولا يوجد حدود للتقدم.. وقد نشرنا العلم من حولنا، انظر يا سيادة الرئيس إلى عدد الطلبة الأجانب الذين يدرسون في بلادنا، ثم يعودون إلى بلادهم، يمضون في أبحاثهم من أجل أوطانهم، فالبداية كانت هنا.

لا بأس فنحن نعمل من أجلنا وأجل البشرية كلها، هذا قدرنا يا سيادة الرئيس نرجوك يا سيادة الرئيس أن تقرأ كتاب (أصل الأنواع) للعالم البريطاني العبقري داروين، إنه كتاب ممتع، تستطيع أن تقرأه ملخصًا وأن تأتي بعدد من العلماء يقرأون ويوضحون لك ما الذي نقصده عندما ندعوك إلى كتاب في التطور كيف يتم، وكيف اكتشف داروين قواعد وخطوات التطور... إنها نفس الخطوات إلى أعلى وأعمق وأشمل.

إننا لا نريد أن نضيع وقتك.. وإننا لا نمزح ونريد أن نسري عنك.. وإنما نؤكد لك أن من لا يقرأ مثل هذا الكتاب فلن يتقدم، لأن أساس

التقدم هو الإيمان بإمكان التطور الخلاق والإبداع في كل المجالات وإذا لم تفعل ذلك يا سيادة الرئيس فسوف نجد أنفسنا إحدى دول العالم الثالث بعد أن كنا في المقام الأول في كل شيء!

وهذا نداء وجهه العلماء إلى الرئيس الأمريكي أوباما..

بــــدلًا
مـن الخبــز

كنت قد أشرت أكثر من مرة إلى أفكار د.عبد الغني وشاحي من دعوته إلى أن نتعلم أكل البطاطس بدلًا من الخبز مثل دول أوروبية كثيرة وبذلك نحل أزمة القمح والذرة. وكانت له أفكار أخرى كثيرة عرفها تلامذته ولا يزالون يذكرونه.

وهذه الرسالة: «كان لي الحظ في أن يشرف الدكتور وشاحي على رسالتي للدكتوراه في أوائل السبعينيات والخاصة بإدخال البكتريا المفيدة والخمائر في ألبان الأطفال لكي تقوم بتصنيع بعض الفيتامينات في أمعاء الأطفال والدعوة إلى إنتاج بدائل الأغذية من المصادر النباتية الأكثر توافرًا والأرخص سعرًا كإنتاج الجبن النباتي وبدائل اللحوم والألبان والأسماك، بإضافة بعض مستخلصات الطعم والرائحة مع استخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة في التصنيع.. أما عن موضوع بروتين الذباب فهو يعتمد على الاستفادة من ظاهرة التكاثر السريع للذباب لإنتاج اليرقات منه بطريقة صحية محكمة حيث تجفف هذه اليرقات وتعقم ثم تضاف إلى علائق الدواجن كمصدر للبروتين الحيواني في علائق الدواجن، وليس للإنسان؟!».

دكتور/ واصل محمد أبو العلا

كلية الزراعة - جامعة الزقازيق

ومن د.جلوريا باسيلي ود.عبد الواحد قنديل ود.سلوى أحمد الشربيني من كندا. وكانوا تلامذة د.وشاحي يؤكدون أن الرجل كان سابقًا لعصره ولذلك حقد عليه زملاء كثيرون!

وليست هذه أول مرة في التاريخ، فالحقد يطارد الناجحين وأصحاب البصيرة العلمية!

إلى الرئيس أوباما

سيادة الرئيس ونحن في عصر العلم والبحث العلمي والتطبيق والقرارات المدروسة التي تخدم العلم إننا ندعو إلى أن يكون لكل عضو في الكونجرس مستشار علمي يمده بالمادة العلمية والأفكار الجديدة؛ حتى لا نفاجأ بما نراه ونسمعه من أعضاء الكونجرس عند مناقشة الكثير من القضايا العلمية، ونحن نأسف كثيرًا لما يقال ولا ندري كيف يقال، وعندما اختار أحد الصحفيين كتابًا عن النكت والمواقف الهزلية لأعضاء الكونجرس لم نصدق، والذي جعلنا لا نصدق أن أحدًا من الأعضاء لم يعترض على ما جاء في الكتاب. هل نضرب مثلًا لكي تضحك إن كان عندك وقت؟ لن تفعل فعندك مستشار يستطيع أن يختار الوقت المناسب لذلك.. إننا ضحكنا كثيرًا للنكت التي أطلقناها على جاجارين، نحن الذين أطلقناها وقلنا إن أحد الفلاحين الروس عندما نظر إلى جاجارين قال: يا بخته، إنه يسكن وحده في غرفة جميلة!

هذا كل ما رآه الفلاح الروسي الذي يشكو سوء الطعام والنوم والأكل والشرب، ولكنه لم يدرك عظمة العلماء والمهندسين الروس الذين فضحوا علماءنا وعلماء الدنيا. هل ننقل لك نكتًا أخرى موجعة، هناك الكثير إذا أردت وأراد مستشارك العلمي الذي سوف يحدثكم عن أعظم الاكتشافات العلمية، قد اهتدينا إليها بالمصادفة.. أي أن العلماء كانوا مشغولين ويمشون في طريق وفجأة وجدوا أحلامهم

في مكان آخر.. أي بالاستغراق في العلم والبحث والتدريب! وأرفع مثال لذلك العالم الإنجليزي الذي اكتشف البنسلين بالمصادفة!

سيادة الرئيس يجب أن تشجع وبلا حدود المعاهد العلمية والتطبيقية. وأن تعطي بلا خوف. لا خوف. فهذه المعاهد، لا تلقى ما تستحقه من اهتمام الدولة ومن معوناتها التي تصرفها بغير فهم في مجالات كثيرة. والبحث العلمي أحق بكل شيء. هذا مذهبنا في الحياة والعلم.

ويجب على الدولة أن ترفع أيديها عن العلماء. لا تتدخل في عملهم وأفكارهم.. فهم يعرفون ماذا يريدون.. وهم أناس أفذاذ نذروا أنفسهم للعمل الشاق ليلًا ونهارًا. إن أكثر العلماء ليست لهم حياة عائلية. والسبب ليس عداءهم للزوجة والأولاد والاستقرار وإنما تقديسهم للعلم والبحث.

ولا بد أنك تعرف يا سيادة الرئيس أن التدخل في جهود العلماء بحثًا عن الطاقة البديلة والطاقة المجددة ومواد أخرى نكتشفها وتمنحنا الاستقلال عن أن تلعب بنا الدول التي تنتج البترول، هذا التدخل قد أفسد الكثير من أحلامنا. وهناك حوادث معروفة ومسجلة ومخجلة أيضًا.

وإذا كان أحد يحتاج إلى تشجيع اليوم وغدًا فذلك هو المهندس الذي أعلن أن له هدفًا وهو أن يخترع موتورًا يستهلك الجالون الواحد من البنزين كل 300 كيلومتر.

هذا هو البحث وهذا هو الأمل. وتشجيع مثل هذا العالم هدف عظيم وأمل شعب. ففي تاريخ العلم شخصيات من هذا الطراز. ليسوا

مجانين، وإنما هم متحمسون. ولن يكلفنا حماسهم إلا الكثير من التطبيق والكثير من المال. وعندنا الشيء الكثير من كل شيء!

سيادة الرئيس.. يجب أن تسارع ببناء تجهيزات ومعامل تسريع الاصطدام النووي كما فعلت فرنسا وسويسرا ودول أوروبية أخرى في مؤسسة «سرن» تحت الأرض الفرنسية والسويسرية.. والهدف معرفة كيف حدث الانفجار العظيم أو بداية تخليق هذا الكون: ما المادة الأولى لهذا الكون الذي نعرفه والأكوان التي لا نعرفها.. ليس هذا عبثًا ولا لهوًا من العلماء، ولا إضاعة الوقت وتبديد المال العام.

ويجب أن تطالب الكونجرس بأن يرفع سعر الوقود وألا يهبط السعر أبدًا.. وترفعه إلى 20 ٪ أو 30٪ حتى لا تذهب كل أموالنا إلى الدول المنتجة للبترول!

ونطالب وعلى استعداد للتدليل على صحة ما نقول: وقف الرحلات الفضائية التي تكلفنا المليارات.. فما أحوج الشعب إليها من أجل تأمين حياته، في الصحة والتربية والاقتصاد والسياسة، والبحث العلمي، والتطبيقات الجديدة لكل ما اكتشف العلماء.. إن كثيرين سوف يعترضون على ذلك، فليكن!! فعندهم أسباب وعندنا أيضًا! فلنعرض أفكارنا على الشعب والكونجرس، ولا نقول إلغاء الرحلات الفضائية وإنما الاقتصاد فيها.. وذلك بابتكار مادة جديدة لصناعة الصواريخ وسفن الفضاء واستخدام أوزان أخف لكي نستخدم طاقة أقل.

طبعًا نحن لا يسعدنا أن تسبقنا روسيا إلى الفضاء.. ولكن روسيا ضربت لنا مثلًا واضحًا.. عندهم سفن فضاء ولكن العلماء عندهم لا يمتلكون لا سيارة ولا ثلاجة ولا تكييفًا في بيوتهم!

هذا جانب من حوار بين مستشارة أوباما للشئون العلمية وبين رئيس مؤسسة الفضاء الأمريكية.

هي: تريد تخفيض ميزانية هيئة الفضاء الأمريكية.

رئيس الهيئة: من أنت؟ أنت عملت هنا في هيئة الفضاء، ولكنك لست مهندسة قادرة على استيعاب مشروعنا عن رحلاتنا إلى المريخ وإلى كواكب أخرى.

هذه تعليمات الرئيس..

رئيس هيئة الفضاء الأمريكية: كنا نظن الرئيس أكثر فهمًا!

وانتهى هذا الحوار الخشن ولم نعرف إن كان الرئيس أوباما قد خفض ميزانية الرحلات الفضائية، فقد كان سلفه الرئيس كيندي أكبر الحالمين عندما أعلن أن هيئة الفضاء سوف ترسل إنسانًا إلى القمر وتعيده سالمًا إلى الأرض، وهذا ما حدث!

ولكن الظروف مختلفة، فالرئيس أوباما قد وقع وسط أزمة مالية ليس لها نظير في تاريخ أمريكا، وهي تحتاج إلى قرارات وحلول ليس لها نظير!

والمهم أن كل الهيئات العلمية في أمريكا قد طلبت من الرئيس الجديد أن يكون له مستشار علمي ليعرف مشاكل العلماء والباحثين وخاصة المؤسسات العلمية..وأهم من كل ذلك ألا تتدخل الحكومة في مشاريعها، وقد ظهر أن للرئيس الجديد عددًا من المستشارين في كل الميادين العلمية الحديثة، ثم إن العلماء ينتظرون من الرئيس الجديد فكرًا جديدًا وقرارات حاسمة، فالتنافس شديد بين أمريكا وأوروبا والصين، والخوف على أمريكا ألا تحتفظ بالقيادة والريادة والزعامة.

بلد
أساتذتنا العظام..

طبيعي أن يتظاهر الشباب في بلاد اليونان، ما دامت لديهم الأسباب القوية لذلك.

ولكن نحن – دارسي الفلسفة اليونانية – نندهش.. فقد تعلمنا أن بلاد اليونان هي بلاد الحضارة العظمى والفلسفات التي ولدت كل النظريات الفلسفية في أكثر من 26 قرنًا، فبلاد اليونان بالنسبة لنا هي بلاد أساتذتنا العظام: سقراط وأفلاطون وأرسطو وعشرات غيرهم، الذين فجروا النور في كل شيء.. أسعدونا وأشقونا وأبكونا وأضحكونا وسرقوا منا نومنا وأعمارنا، ونحن سعداء بذلك، ولا يخطر على البال أبدًا أن نجد مظاهرات ونجد حجارة ورصاصًا ودمًا، فنحن في ظلال الفلسفة الإغريقية لا نعرف إلا حادثًا واحدًا عندما قرر أستاذنا سقراط أن يشرب السم، وأن يموت راضيًا ومن حوله تلامذته يبكون، ولكن بكاء التلامذة العشاق للرجل وعظمته وفلسفته.

وتخيل رجلًا يقوده تلميذه لأنه أعمى، وقد جلس وراح يحكي بطولات الإغريق في ملحمتي الإلياذة والأوديسة، ورجلاً آخر هو هيرودوت أبو التاريخ، وقد التف حوله الناس وهو يحكي لهم ماذا رأى في مصر، وكيف أن الفراعنة قد سحروه.. فهو يقول أشياء غريبة عنهم، لقد استطاعوا أن يجعلوا كتلًا من الحديد تقف في الهواء، أي

يخلقوا منطقة انعدام الوزن على الأرض.. وهي المنطقة التي تذهب إليها سفن الفضاء حول الأرض.. فكيف استطاع الفراعنة أن يحققوا هذه المعجزة العلمية؟

ولذلك نحن – دارسي الفلسفة اليونانية – في ذهول مما فعله هؤلاء الصغار برموزهم العظيمة.

إذاعة القرآن ولكن

أحب (إذاعة القرآن الكريم).. أصوات جميلة واجتهادات في تفسير الآيات القرآنية. وبرغم الزحام الشديد والأصوات الكثيرة.. هناك فائدة مؤكدة..

وأدهشني أن تسجيلات الشيخ محمد رفعت أصبحت مبهمة، فكثيرًا ما استمعت إليها ولاحظت أن كلمات من الآيات لم تعد واضحة.. والذين يستمعون إلى هذه الإذاعة هم ملايين الناس البسطاء.. وكلنا مسلمون نريد أن نتعلم وأن نستمتع أيضًا. وقد أسلمنا آذاننا وعقولنا إلى أناس نثق بهم..

وقد فوجئت في يوم بأن هذه الإذاعة تتحدث عن الإمام الطبري وكتابه (الأحكام).. لقد هالني الأمر، فمن الذي يستطيع أن يتحمل هذه العنعنة وهذا العدد الكبير من الناس: عن فلان عن فلان عن فلان أن فلانًا قال..

أنا مالي.. هذه الأسماء لا تهمني وأنا لا قادر ولا صابر على كل ذلك، فأنا إنسان بسيط أريد كلامًا بسيطًا.. أما هذه العنعنة فشأن الباحثين والمتخصصين. أما أنا فلا طاقة لي بأن يقال الشيء وفيه عشرة أوجه. التفسير الفلاني وفيه عشرون وجهًا. أنا مالي.. أنا أريد الطريق السهل إلى المعاني السهلة. وبذلك يساعدني البرنامج على

حب ديني والتمسك بتعاليمه.. ولكن مثل هذه القضايا في الإذاعة أو التليفزيون تصد الناس عن دينهم.. وكلنا يعرف كيف أن خطب الجمعة تجعل الناس يخرجون من ملابسهم ويلعنون ويكرهون حياتهم، ويحزنهم أن تكون هذه صورة دينهم.. الصورة كلها: جهنم لنا مهما فعلنا ومهما قدمنا.. فخطب الجمعة شيء رهيب!

ولا نريد إذاعتنا المفضلة أن تكون هكذا شاقة خشنة!

.. بالجزمــة!

جزم.. كلها جزم.. ولكن هناك فرق..

جزمة الزعيم الروسي خروشوف التي ضرب بها منصة الأمم المتحدة، وهو لم يضرب الخشب وإنما ضرب الناس، ضرب العالم الرأسمالي وكل من ليس شيوعيًا، وكان سلوك خروشوف شائنًا. فقد رأى الروس أن خروشوف فلاح جلف خشن، وأن سلوكه هذا إهانة للاتحاد السوفيتي فلم يكن متحضرًا!

والجزمة، التي ضرب بها أعظم فقيه دستوري: السنهوري باشا هذه الجزمة لم تثر أحدًا فلا نقابة المحامين ولا القضاة ولا طلبة الحقوق في مصر أو في العالم العربي ثأروا لهذه الإهانة البالغة التي لحقت بأعظم المشرعين في العالم العربي.

وأخيرًا الجزمة العراقية التي قصد بها الصحفي منتظر الزيدي العراقي إهانة الرئيس بوش وأمريكا والاحتلال الأمريكي للعراق.

ثم الجزمة فوق دماغ أحد ملوك مصر الفرعونية في تمثال في السوربون.. سألنا عن معنى الجزمة هذه قالوا لنا: معناها أن المؤرخ الفرنسي متمكن من علمه.. والجزمة دليل على أن كل شيء تحت قدميه.. والجزمة التي قدمها اشتراوس للدكتور مصطفى خليل بمناسبة عيد ميلاده في النادي الدبلوماسي ومعها فاتورة بسبعين دولارًا!

وقبل ذلك سنة 1955 ضاع حذائي في المسجد الأقصى.. فقد ذهب الوفد المصري للصلاة وخطبنا يومها الشيخ الباقوري الذي نظم قصيدة فكاهية في حذائي. وقد عدت حافيًا إلى الفندق تحت الأمطار الغزيرة. ولم يتسع الوقت لشراء حذاء جديد، فسافرت بالشبشب من عمان إلى بيروت!

رسالـــة منـــي..

سيدي الرئيس أوباما أعطني كفك أقرأها. شوف يا سيدي.. عندك مشكلات في كل مكان في الدنيا. عندك في بلادك: كل أحلام البيض والسود والسمر، أهل البلد والأجانب. كلهم في انتظار المعجزة.. والمعجزة أن تجد حلًّا سريعًا لكل ما يتمناه كل الناس. يجب أن يكون لديك عصا موسى عليه السلام وتضرب البحر فينشق اثنين وتنجو أنت ووزراؤك ومستشاروك من كل العقد التي ادخروها لك لأنك المعجزة. أنت معجزة. وجلوسك على عرش أمريكا معجزة. فلا يبقى إلا أن تكون الحلول معجزة. فهل أنت حقًّا قادر على تحقيق المعجزة؟!

الذين يحبونك يقولون: بل قادر على كل شيء. والذين يعجبون بك يشفقون عليك، ولكن المهم أنك هناك على عرش أمريكا. ومن أجل اختيارك فالناس لديها استعداد للتسامح وغفر الذنب. وأهم ذنوبك أنك سوف تحاول معالجة ما لا نهاية له من المشكلات..

وكم كنت ذكيًّا سيادة الرئيس في الساعات الأولى لانتخابك أنك قلت: إن المشكلات والهموم تحتاج إلى فترة رياسية أخرى. أي أنك غير قادر على حلها في فترة واحدة.. وسوف يعطيك الشعب الأمريكي فترة أخرى. إنه قد أعطاها للرئيس كلينتون

وهو يستحقها، وأعطاها للرئيس بوش وهو لا يستحقها، وسوف يعطيها لك، ومن الممكن أن يعطيك فترة ثالثة وأنت ومشكلاتنا تستحقونها!

إنك صارحت شعبك والذين من لونك ودينك بأنك صاحب حلم. وقد تحقق الحلم ولكن هناك أحلام أخرى!

فلسطين هي البداية

ليس لدينا حل – أقصد عند المصريين، ولو كان لأعلناه، وإن كانت جماعة في فلسطين ترى أن مصر ليس لديها إلا الحل الأمريكي الإسرائيلي، وأننا نحاول أن نفرضه عليهم!

يقول الشاعر الزنجي لويس جونس في مجلة (360): إن كانت الزهور سوداء فالنجوم أيضًا.. إن كانت الطرق سوداء فالآبار أكثر سوادًا.. ولكن ما لم نجعل الزهور بيضاء والنجوم كأسنان طفل صغير.. وما لم نجعل الهواء ابيض. ليس مستحيلًا، وإنما ممكن. وقد استطعنا وسوف نستطيع ذلك ما دامت الأيدي قوية والسواعد وشعر الرأس وأظافرنا وأنيابنا. إن البداية هنا.. هنا وليست هناك!

نفس الكلام يقال لفلسطين: فالبداية في فلسطين وليست في أي مكان آخر، وسوف نرى ما يقدمه الرئيس الأمريكي الجديد والسيدة هيلاري كلينتون. إنهما سوف يقدمان زهورًا سوداء.

وما لم يكن شعب فلسطين واحدًا، كما كان واحدًا موحدًا، فلا حل. وقد حدث في الدورة الأوليمبية أن فاز بالميداليتين الذهبية الأولى والثانية اثنان من الزنوج، وأثناء عزف النشيد الوطني رفع الفائزان ذراعيهما وقبضتيهما بما يعد اعتراضًا على النشيد وعلى أمريكا وهتافًا بحياة الزنوج الغاضبين؛ فأصدرت الحكومة الأمريكية فصلهما من الفريق.

واليوم يستطيع أي زنجي وأي ملون أن يرفع يده وقبضته، وإن كان لم يعد في حاجة إلى ذلك، لقد انتهى الاعتراض عندما أقام البيض والسود عرشًا للنبي الجديد: أوباما!

ولكن يجب أن تنتظر طويلًا وراء أوباما.. إنه مفروض بالغضب والظلم.. ولولا ذلك ما جاء!

ماذا عن القضية الفلسطينية؟ وأيدي الفلسطينيين مخضبة بدمائهم.

فما لم تغسل فلسطين يديها من دمها فلا حل!

ولكن من الممكن أن تبكي على الاحتلال، فدموعنا مثل دمائنا لا تجف. وسوف نعيد ونكرر كل أغاني البكاء والعويل من فيروز حتى آمال ماهر ومن امرئ القيس حتى محمود درويش..

وقد جربنا نحن في مصر في حركاتنا من أجل الاستقلال وسقوط الاستعمار أغنية: يا مين يرجع لي حبيبي. وتناولها الشعراء والملحنون.. وجعلوا الأغنية على لحن واحد.. حتى جاء أنور السادات، وحول أحزاننا إلى أفراح وسلام بالحق وبالقوة وبالنصر.

وما لم تفعل فلسطين نفس الشيء فلا حل. ولو سمع ياسر عرفات دعوة السادات له بأن يجلس على مائدة واحدة تحت علم فلسطين مع إسرائيل ثم يعلن قيام دولة فلسطين فسوف يعترف بها السادات فورًا. ولكنه لم يقبل. واتهم السادات بالخيانة والعمالة، واستعدنا أرضنا وما زال الفلسطينيون يفقدون من أرضهم شبرًا بعد شبر.. ثم فقدوا القطاع أيضًا.

وما زال بعض الفلسطينيين حتى هذه اللحظة يتهمون المصريين بأنهم يعملون لحساب أمريكا وإسرائيل ضد فلسطين!! أي أننا خونة!

خسارة! لم يعد للفلسطينيين صديق.. لا من شعبهم ولا من أشقائهم.. فكلنا خونة وكلنا عملاء. فما الحل؟

لا حل عند أوباما ولا حل عند وزيرة خارجيته هيلاري كلينتون.

وإنما كلام وابتسامات وصور تذكارية ثم تجويع وترويع في فلسطين.. إلى متى؟ اسألوا فلسطين!

فهل هذا كلام يقال؟ نعم هذا هو الكلام الذي يجب أن يقال ولو كره الفلسطينيون!

إنــــه أمريكــي..

لا تشغل بالك باسم أوباما: باراك حسين أوباما، فالاسم لا يهم، أن يكون مسلمًا أو يهوديًا أو بوذيًا. كل ذلك لا يهم. إنه أمريكي أولًا وأخيرًا. وقد جاءوا به إلى الحكم لينفذ سياسة أحد الأحزاب. فالحزب هو الذي اختاره وأنفق عليه وسانده، وهو بالضبط مثل بطل فيلم أو مسرحية. إنه سيد العرض المسرحي، فالذي يقوله ليس من تأليفه، وإنما من أدائـه.. تمامًا كأم كلثوم عندما تغني فنقول إنها قالت. والحقيقة أنها لم تقل، وإنما الذي قال هـو شاعر غنائي، ثم هناك ملحن، فهي تقوم بالأداء فقط وكذلك أوباما، هـو فتى أول، لا الكلام كلامه، ولا الاختيارات ولا القرارات، وإنما هو لسان حال الحزب، ولذلك لا فرق بينه وبين سلفه كلينتون الذي اختار معظم رجاله، بل واختار زوجة كلينتون التي كانت تنافسه، ليس هو الذي اختار وإنما الحزب.

وفي أمريكا هناك: الحكومة الأمريكية، وهناك الإدارة الأمريكيــة.. أما الإدارة فهي ثوابـت السياسة الأمريكية، أو ثوابت الحزب الحاكم. أما الحكومة فهي طاقم الوزراء والموظفين الذين اختارهم الرئيس. والإدارة أقوى من الحكومة؛ لأنها هي التي تقرر.

مثلًا: موقف الإدارة الأمريكية من إسرائيل واضح جدًا، أو يجب أن يكون واضحًا. إن موقف الحزب من إسرائيل ثابت لم يتغير ولن يتغير. ويستوي في ذلك الحزبان الديمقراطي والجمهوري، ولذلك يجب أن يكون معلومًا لدينا في التعامل مع القضية الفلسطينية أن نفعل شيئًا أكثر من الشجب وإلقاء الحجارة!

ولكننا لا نقرأ

ومنذ أيام صدر كتاب عن ملكة مصر كليوباترا «69 – 30 ق.م» التي حكمت مصر 19 عامًا.. تزوجت أخاها فنفاها خارج مصر.. فصارت معشوقة ليوليوس قيصر.. وأنجبت ولدًا وعاشت في روما، ثم تزوجت أخاها بطليموس 13 سنة وقتلته.. وقابلت أنطونيو وعاشت معه 12 عامًا.. وأنجبت له ثلاثة من الأولاد.. وبعد هزيمته في موقعة أكتيوم البحرية انتحر وحاولت أن تلعب على أوكتافيو ففشلت وانتحرت.. وقالوا غانية.. وقالوا سياسية طموحة.

وتناولها الشعراء والأدباء في كل الآداب العالمية.. وكل حياتها معروفة في كتب التاريخ الروماني والإغريقي ومنقولة في المؤلفات العربية.. فليس فيها جديد.. ولكن عندما تقرأ هذا الكتاب يبهرك أسلوبه والبحث الطويل المتأني والدفاع عن شخصية فذة في السياسة والحرب.. وتعدد اللغات التي عرفتها.. وكيف أنها من أجل مصر صنعت المستحيل.. وكيف إذا كانت قد عشقت فمن أجل مصر.. وإذا كانت قد أحبت وتعذبت وتآمرت فمن أجل مصر.. وقالوا: لا قلب لها.. وتقول: ولكن عندي عقل.

وكيف أن باحثًا يمضي سنوات من عمره من أجل بطلة في تاريخ مصر، وهو على يقين بأن كتابه هذا سوف يلقى ما يستحقه وزيادة من إقبال القراء عليه – إلا في مصر طبعًا!!

ومـن الغريب أنــه ليس عندنا حس تاريخي ولا ذوق أدبـي ولا احترام للعظمة والبطولة ولا انتظار لها.. فإذا جاءت فضيف غير مرغوب فيه.. لماذا؟ لأننا نفضل الذي نعرفه على الذي لا نعرفه.. والذي نعرفه هو: الهم والغم واليأس وتحقير الذات!

أيـــام
غيـرت التاريـخ

صدر أخيرًا في لندن كتاب (ألف يوم ويوم غيرت التاريخ) عن دار كاسل. أول يـوم هـو ما حدث في سبتمبر الماضي تحت الأرض السويسرية الفرنسية: أعظم تجربة علمية للمؤسسة الأوروبية للأبحاث النووية (سرن) فقد أعـادوا الانفجار العظيم الذي بدأت به الأرض تكوينها من 13 ألف مليون سنة!

اليوم الثاني عندما أكمل الملك خوفو بناء هرمه الشهير سنة 2575 ق.م.

ويوم سقط جسم فضائي على الأرض فأهلك النبات والحيوان واختفت الديناصورات من 65 مليون سنة.

ثورة الملك أخناتون حين دعا إلى عبادة الشمس سنة 1348 ق.م.

ثم خروج موسى عليه السلام وأهله من مصر سنة 1250 ق.م.

يوم تناول الفيلسوف العظيم سقراط السم 399 ق.م.

يوم بناء مدينة الإسكندرية 331 ق.م.

هزيمة أنطونيو وكليوباترا سنة 31 ق.م.

انتحار كليوباترا 30 ق.م.

يوم عرفنا سر الحرير الصيني سنة 552 ق.م.

يوم نزل الوحي على سيدنا محمد 610 م.

اغتيال الخليفة عمر بن الخطاب 644 م.

اغتيال علي بن أبي طالب وبداية انقسام المسلمين إلى سنة وشيعة 661 م.

ظهور صلاح الدين 1174 م.

الإنجليز يحرقون عذراء اللورين أو جان دارك سنة 1431 م.

نظرية نيوتن لقوانين الجاذبية 1687 م.

نابليون في مصر 1798 م.

اكتشاف حجر رشيد 1799 م.

هزيمة نابليون في معركة واترلو سنة 1815 م.

انتحار هتلر 1945 م.

اغتيال غاندي 1947 م.

جاجارين أول روسي يدور حول الأرض 1964 م.

أول أمريكي على سطح القمر سنة 1969 م.

آية الله الخوميني يعود إلى إيران سنة 1979 م.

اغتيال الأميرة ديانا سنة 1997 م.

وتتوالى الأيام...

مفتـــي
الكـــــرة..

لقد أسرفنا على أنفسنا وعلى الناس في أن يكون لكل برنامج اجتماعي أو تربوي واحد يقوم بدور الإفتاء، وكنت أظن بعد أن وجدنا شيخ الأزهر يتحدث والمفتي ورئيس جامعة الأزهر أكبر علماء بلدنا سوف نكتفي بهذا القدر من العلماء وما يقدمونه لنا من نصائح وتوجيهات، ولكن ظهر عدد كبير من الذين يتولون الإفتاء في برامج صغيرة، ومعنى ذلك أننا لم نفلح في وقف نمو (الإفتاء الملاكي) في القنوات المصرية، بالإضافة إلى قنوات عربية قامت على الإفتاء، وفي قضايا خرافية فيها إهانة للإسلام، ولا داعي لأن أعيد وأزيد في الخزعبلات التي قامت عليها هذه القنوات، وكم أساءت إلى الإسلام والمسلمين.

أما الذي حدث يوم إذاعة مباراة كأس إفريقيا بإذاعة الشباب والرياضة فشيء يبعث على الضحك، فإلى جانب مذيع البرنامج، أو الذي يقدم تحليلًا للمباراة كان يوجد اثنان من فقهاء كرة القدم: فاروق جعفر وأحمد شوبير.. كل واحد يقوم بدور المفتي، فيقوم بتصحيح آراء المذيع أو التعليق عليها، وهذه هي المرة الأولى التي نستمع فيها إلى مفتٍ للبرنامج.. ليس واحدًا، وإنما هما اثنان.. والمذيع يسألهما كأنهما يريان ما لا نرى ويسمعان ما لا نسمع..

وكأنهما ضاربا الودع أو فاتحا المندل، حتى في كرة القدم تحتاج إلى من يفتي على الهواء.. منتهى العبث!

وعرفت فيما بعد أن الإفتاء الرياضي قد استمر بعد المباراة والتعليق عليها، وسمعت من يقول إن البرنامج انقلب بعد ذلك إلى برنامج ديني إصلاحي، ولم يبق إلا أن يعلن البرنامج أن المدربين الخواجات قد شهروا إسلامهم اقتناعًا بنصائح المفتي الرياضي لكرة القدم والطاولة واليد!

د. الطيب:
طيب

لا بد أن د. أحمد الطيب رئيس الجامعة الأزهرية شديد التواضع – وهي صفة من صفات العلماء، فالعالم الكبير مثل الغصن إذا حمل ثمارًا، فإنه ينحني تواضعًا.. فالدكتور الطيب يتحدث في قناة النيل. وليس في الأولى أو الثانية. ولكن العبرة بما يقول. والذي يقوله يعجبني، فهو يحاور وكأنه سقراط الذي يسأل ويجيب.. وبلهجته الصعيدية التي احتفظ بها ويؤديها بلطف وبساطة يشرح ويناقش..

وأنا حريص على الاستماع إليه.. ويجب أن تلتفت إليه الآذان والعقول أيضًا..

والآن أمامنا ثلاثة من كبار العلماء يتحدثون مع عظيم الاحترام: شيخ الأزهر والمفتي ورئيس جامعة الأزهر. والاستماع إليهم متعة.. ولكني أجد في محاورات الدكتور الطيب طعمًا فلسفيًا وليس دينيًا صرفًا. وإنما أنت أمام أفكار تحتاج إلى تبسيط وإقناع وهو قادر على ذلك..

وقد أدهشني حديثه عن (البدعة) ومعنى البدعة ومتى تكون البدعة ضلالة، وهو يذكرني بأساتذتنا الكبار عندما كانوا يشرحون لنا القضايا الفلسفية. ومن المؤكد أن خلفية د. الطيب فلسفية. ولذلك كان حرصه الشديد على الوقوف عند المعاني وشرحها ومشتقاتها

والصبر عليها حتى يقتنع من يحاوره. وإن كان الذي يحاور يحتاج إلى من يوقظه لكي يرقى إلى مستوى عقلية د.الطيب الذي من صفاته طول البال.

وأنتهز هذه الفرصة لأدعوك إلى متابعة د.الطيب، كما أدعو إلى انتقال د.الطيب إلى القناة الأولى أو الثانية!

الشعب الفرنسي لا يمل من الكلام عن نابليون. من أين يأتون بهذه المعاني الجديدة كل سنة، حتى أن رئيس وزراء فرنسا له تحفة أدبية اسمها (حكم المائة يوم) لنابليون. أين وجد هذه المعاني وكيف استطاع كل هذا. وهو رجل أديب وشاعر وسياسي؟ وأصدر كتابه العظيم وأعدته دار النشر وهي تعلم مقدمًا أنه سوف يلقى رواجًا. وقد حدث!

والإنجليز لا يملون أبدًا الكتابة لا عن شكسبير ولا عن تشرشل.

كيف يجدون هذه المعاني. والمعطيات التاريخية كلها في متناول كل الباحثين؟ فمنذ أيام نشروا كتابًا لسكرتيرة تشرشل في أثناء الحرب في القيادة تحت أرض لندن. ماذا فعل وهو يعاني من الإمساك ومن الإسهال، وماذا قرر. وكيف يأكل ويشرب ويجدد كل يوم تحذيراته بالسرية التامة في كل شيء.. فلا ذكر عدد الصواريخ الألمانية ولا مدى الدمار، وفي إحدى المرات ضبطته السكرتيرة يوشك أن يقول لأنطوني إيدن عن عدد الصواريخ التي ضربت لندن فأغلقت التليفون وهي تقول: سيدي هذا ممنوع! وأذعن تشرشل واعتذر بأنه قد أسرف على نفسه من الشراب. والكتاب صورة لعظمة البطل.. ونشروا الخطابات التي بعث بها لزوجته في كل المعارك في آسيا وأوروبا وإفريقيا، وتحدث فيها عن ضرورة انتصار الإمبراطورية البريطانية..

وعن خطابات تقدم بها لفتاة من الطبقة الأرستقراطية ولكنها رفضته. نشروا خطابه ونشروا خطابها دليلًا على العظمة!

ضبطت نفسي متلبسًا بالنظر إلى النيل - فأنا أعمل على شاطئ النيل وأسكن أيضًا. ومن النادر أن أراه.. فقد انكفأت على الورق. أقرأ وأكتب. وإذا تعبت أغمضت عيني عن كل شيء، ولكن أمس وجدتني أنظر إلى النيل وتمنيت لو جاءت قوة وسحبتني من شعر رأسي. من رموش عيني إلى فوق.. إلى ما فوق السحاب إلى ما فوق القمر، حيث لا حياة ولا ناس ولا يوم ولا غد ولا أمل ولا يأس.. إلى حيث لا يكون شيء.

وضبطت نفسي رافضًا للقمر والنيل.. فهذا الذي أتمناه معناه ألا أرى قمرًا ولا نهرًا ولا سماء ولا مـاء.. وضبطت نفسي حائرًا لا أعرف ما الذي أريده.. وتوهمت أن هذه الحيرة بين السماء والماء، هي الفرصة الوحيدة لكي يتحرك عقلي لعله يعرف، وخيالي لعله ينطق، وحياتي في ألا تكون حياة..

ووجدت أنني لم أطلب إلا نوعًا من الهرب.. مثل هذا الذي جاء في كل الصفحات السابقة.. صفحات الذين ماتوا والذين عاشوا والذين يرفضون الحياة والموت.. والذين ينسون أن كل شيء لا يساوي العناء والعذاب.. لا يساوي السيوف والمدافع. ثم النياشين توضع بعد ذلك على قبور الشهداء.. ألا يكون هذا من مظاهر التعب النفسي والعقلي؟ من المؤكد أنه كذلك.. وأننا حائرون بين الذي نريده والذي لا نريده وبين الذي نحبه والذي نكرهه، والذي نخاف منه ونخاف عليه.. وأننا بسبب هذه الحيرة لا نختار أي شيء.. وأي أحد.. فنحن لم نعد ندري من أمرنا وغيرنا شيئًا!

إلا السمـــن البلـــدي

لا تقل كان أجدادنا يشربون السمن بالسكر.. لاتقل إن أهلنا في الريف يأكلون الفطير المشلتت الساخن المصنوع من القمح والزبدة، كل يوم، ولم تصبهم أوجـاع في الكبد، ولا عرفوا قرحة المعدة، ولا تصلب الشرايين ولا وجع القلب!

لا أعرف إن كان هذا صحيحًا.. فالجسم الإنساني واحد، والذي يرهق قلب ابن المدينة، تمامًا كالذي يصيب قلب ابن الريف، فالقلب واحد، وعناصر الصحة والمرض واحدة!

صحيح.. ولكن الدهون بكل أنواعها تؤدي إلى ترسيب الدهنيات والجلسرين والكولسترول على جدران الأوعية الدموية.. كما تترسب الأملاح في أنابيب المياه.. أو كما تتكدس السيارات على جانبي الشوارع تمامًا.. فتصبح المسافة التي تتحرك فيها السيارات ضيقة، وعلى ذلك يتوقف المرور ويتصلب.. أي لا تكون هناك سيولة في الحركة.. لأن الشارع قد ضاق. ولأن الأوعية الدموية قد ضاقت أيضًا. فالدم الذي يصل إلى المخ وإلى القلب قليل أيضًا.

فأبناء المدن نصيبهم من المؤثرات العصبية أكبر.. وقلقهم أشد وأطول. وهذه الاضطرابات العصبية تؤدي إلى زيادة الترسيب في الدم وفي الأوعية الدموية.. وفي استطاعتك أن تلاحظ نفسك في يومك

العادي وفي يوم الإجازة.. أو في يوم تذهب فيه إلى الشاطئ أو الحقول بعيدًا عن العمل والناس والمشاكل العادية. وأهل الريف إذا أكلوا السمن، فإن السمن لا يغلي في عروقهم بسبب القلق والإحباط والضغط العالي والاحتراق المستمر في عروقهم ومعداتهم وأمعائهم وقلوبهم وشعيرات المخ.. وذلك للأحداث التافهة جدًا التي تقع لهم في أي وقت!

إن أسرع طريق إلى العالم الآخر هو المدهون بالسمن البلدي!!

عليك اللعنة

الذين يطالبون بعودة آثارنا المعروضة في باريس ولندن ونيويورك وموسكو لم يروها في أماكنها.. لم يروا أبهة وفخامة اللوفر.. والاحترام العظيم الذي تلقاه آثارنا هناك.. وفي الوقت نفسه لا نستطيع أن نوفر لها هذه الأبهة.. لولا هذه الفخامة ومئات الكتب التي صدرت عنها ما جاء أحد إلى مصر.. وأكثر من ذلك ما احتمل أيضًا رذالة سائقي التاكسي والتراجمة.. فمن أجل هذه التحف الأثرية ومعانيها النبيلة قد تحمل السياح الكثير من المتاعب.. وناموا في الشارع انتظارًا لأن يجدوا غرفة في فنادق مصر!

وأمامنا متاحفنا، لا هي في روعة اللوفر.. ولا أي متحف آخر في أوروبا.. ثم اسأل الناس.. واسأل نفسك: كم ساعة قد أمضيتها في متاحف مصر تتفرج على ما أبدعه أجدادنا؟ لقد شاهدت برنامجًا في التليفزيون يسأل عددًا من الطلبة، من الذين يسكنون الجيزة إن كانوا قد رأوا الهرم؟ فكان الجواب بمنتهى اللامبالاة: ليس عندي وقت.

ولا أصدق عالمنا الأثري زاهي حواس أنه جاد في إلحاحه أن تعود إلينا آثارنا.. لأنه يعلم أنها هناك تساوي وزنها ذهبًا.. وأنها هنا تساوي وزنها ترابًا!

ولا أعرف إن كان من حقي أن أقول للرئيس الإثيوبي جرجس إن الآثار التي نهبها الإنجليز من بلادنا من 140 عامًا بعد سقوط قلعة المجدلية وأكثر من 300 مخطوط قبطي: اتركها في لندن إذا كنت تحب بلدك.. وفي الوقت نفسه لقد اعترف الإنجليز بأنهم سرقوها وأصدروا عنها كتبًا.. وصورًا وأفلامًا.. وإذا فخامتك لم تسكت فعليك اللعنة أنت وزاهي حواس!

مــن غيــــر ضربـــات

إذا وجدت نفسك تقول: والله لا أعرف ما الذي أريده من هذه الدنيا، فلست وحدك في مصر أو في العالم..

وإذا كنت قد تجاوزت الثلاثين من عمرك، ولا تزال تكرر هذه العبارة، فمثلك مئات الملايين يتكلمون مائة وعشرين لغة..

وإذا كنت قد تجاوزت الستين من عمرك، ووجدت نفسك تقول: هانت، لم يبق إلا القليل وبمنتهى الصراحة، أنا لا أعرف ما الذي أخذت وما الذي أعطيت.. ولا ما الذي خرجت به من هذه الحياة..

فليس صحيحًا أن كل الناس يعرفون بالضبط ماذا يريدون.. وماذا حققوا.. وما الذي ينتظرهم غدًا. أكثر الناس على باب الله. وباب الله واسع جدًّا للمتعلم والجاهل، والغني والفقير، والأبيض والأسود، والحاكم والمحكوم. وأكثر الناس قدريون – أنا واحد من هؤلاء الذين يعملون ولا يعرفون، على وجه اليقين، ما هي نتيجة كل هذا العناء.

ولا تصدق من يقول لك: لقد فكرت ورسمت ودبرت وسرت في الخط الذي حفرته على الأرض وبين الناس إلى مستقبلي!

الرجل الأمريكي الذي اخترع السيارة اسمه فورد.. كتب في مذكراته أن السيارة كانت تحدثه أثناء النوم.. وأنه كثيرًا ما قام من نومه في

حالة فزع، فقد داسته السيارة بعجلاتها وحطمت ضلوعه ففكر أن يجعل لها عجلات من المطاط!

وإديسون الأمريكي الذي اخترع 1500 اختراع من بينها المصباح الكهربي، يقول إن طفلًا ضربه على رأسه بعنف فأضاءت في عينيه شموع ومصابيح.. في تلك اللحظة فكرت في اختراع مصباح يضيء لي ولكل الناس، دون ضربات على رأسي!

الأصـــل
فصيـــح

وهذه كلمات عامية ولكن أصلها فصيح:

تصف شابًا بأنه (وزوز) أو وظوظ وتقصد أنه شاب ضعيف رشيق. والوزوز اسم عصفور له هذه الصفات..

وتقول عندما تضيق بأحد: أف.. وهي فصيحة وللاستنكار. وفي القرآن الكريم ﴿**فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ**﴾..

وتقول فلان (استهيف) فلانًا، أي أخذ منه ما لا يستحق.. وهي فصيحة فتقول استهيفه أي استخف به وضحك عليه.

ونقول: فلان أدى لفلان خدمة فلا بد أن هناك (إن). والأصل الفصيح: أننه بضم الهاء وتأننه أي حاول إرضاءه.

ونقول حدثت (دربكة)، أي فوضى وروشة: والكلمة تشير إلى آلة موسيقية تشبه الطبلة اسمها الدربكة.

ونقول (المدعوق) فلان فعل كذا وكذا.. يندعق في الأرض.. والأصل دعق الأرض، أي داسها.. وظهر أثر ذلك عليها.

ونقول: (اترزع) هنا.. مرزوع هنا.. والأصل رزع يرزع أي أنه وقع في الوحل..

وتقول: الريس بالتشديد بمعنى الرئيس. وهي فصيحة. الشاعر يقول: تُهدى الرعية ما استقام الريِّس (بتشديد الياء).

ونقول: فلان لم يكد يرى الفلوس حتى (تجعله) بدأ عقله (يزقزق) أي يفكر سعيدًا. وهي فصيحة: زقزق العقل، أي نشط وتحرك..

ونقول فلان (ملهوج). وشغله لهوجة: أي يعمل بسرعة وليس دقيقًا، والأصل الفصيح اللحوجة..

ونقول: (سأسأ) الماء. أو يسأسئ التربة أو الشجر.. أي يضع القليل فيها. والكلمة فصيحة، وكلمة سأسأ يقولونها للإبل أو للحيوانات إذا ذهبت تشرب: سأسأ!

بـــل ألـــف طريـــق

طلب مني ألا أذكر اسمه، فليس شخصًا مهمًا في أمريكا، وإنما أحد الأمريكان المصريين الناجحين. بدأ عاملًا في ورشة. وانتقل إلى العمل في إحدى الصيدليات الليلية فاتسع وقته للقراءة.. رفضت ابنة خالته أن تهاجر معه. انتقل إلى العمل في أحد الفنادق العائمة في المكسيك..

وبعد المكسيك عمل على إحدى السفن بين كوبا وجزر بهامس. قرر أن يعود إلى مدينة بها مصريون كثيرون.. استشارهم... حيروه.. فقرر أن يفتح مطعم فول وطعمية في شيكاجو. تقدم للزواج من مصرية جامعية رفضت لأنه بائع فول. وقال في نفسه: إنها لا تزال مصرية تحتقر العمل اليدوي!

تزوج من أمريكية. قررت أن تدير هي المطعم وأن يكمل هو تعليمه. دخل كلية الطب. وأصبح طبيبًا للأمراض النفسية والعصبية.

لم يفلح في إقناع زوجته بأن تقفل المطعم. لقد باعته لمصري آخر. وتفرغت لتربية أولاده الأربعة ثم سكرتيرة في عيادته الكبيرة..

ولم ينتظر حتى أسأله عن معنى هذا الكفاح فقال: الفرق بين المصريين والأمريكان بسيط: نحن نرى أن الطريق إلى النجاح واحد.. وهم يرون أن هناك ألف طريق.. نحن نرى أن الفشل نهائي.. وهم

يرون أن الفشل مرحلي.. ونحن نرى أن النجاح مرحلي وهم يرون أن النجاح نهائي.. فالنجاح يدفعك إلى نجاح أكبر وهكذا.. نحن نفكر كالأشجار، نولد ونعيش ونموت في مكان واحد.. وهم يفكرون كالطيور يولدون في مكان ويعيشون في مكان ويموتون في مكان ثالث وهم يحلمون بمكان رابع..

أمله: أن تنتقل هذه العدوى إلى شباب مصر!

صورهـــم أمامـــي

زاد عدد الصور المعروضة أمامي أو القريبة مني، التي أراها كل يوم حافزًا قويًا للعمل والاستمرار.

طه حسين هذا الأعمى الذي جاء يضيء لنا، وأن يذهب إلى السوربون، أن يعايش الحضارة الغربية، وأن ينقل لنا الأدب الإغريقي، ثم العقل الفرنسي في التفكير والتعبير، وأن يفتح لنا أبواب الأمل من أجل تنوير حياتنا، فهذه هي العظمة والمثل الأعلى، وصورة المخترع الأمريكي إديسون، ولم يكن هناك أمل في أن يكون إديسون شيئًا، فهو لم يكمل تعليمه، ولكنه قدم للإنسانية أكثر من 1500 اختراع، وكان إديسون ثقيل السمع فلما ضربوه على أذنيه فقد السمع تمامًا، وكسب الملايين من أفكاره الباهرة في كل المجالات.

والأديب الإيطالي مورافيا أصيب بشلل الأطفال، فلم يذهب إلى مدرسة، وإنما تعلم اللغات في السرير وكتب روائعه في السرير.

أما عالم الفيزياء الإنجليزي استيفن هوكنج فهو مشلول عاجز عن الكلام، وهو يطلق أصواتًا يحولها جهاز دقيق معقد إلى كلمات، وهو يقضي عمره مكومًا على مقعد، وتزوج وكان له أولاد.

أما المعجزة الحقيقية فهي عبارته الجميلة السهلة التي لا مثيل لها، وقد ظهر ذلك في كتابه «تاريخ موجز للزمن»، وقد باع من هذا

الكتاب ملايين في أربعين لغة.. ثم عاد هوكنج إلى هذا الكتاب وأوجـزه وأوضحه وجعل عنوانه (تـاريـخ أكثر اختصارًا للزمن) برسومات توضيحية. فكيف لا يكون هؤلاء مثلًا عليا للإبداع والصبر والإرادة على تحقيق المستحيل؟!

أفسدنا
اللاعبين

فعلى أي شيء استقرت هذه المعارك المفتعلة؟ ولا حاجة. شعرنا بالخجل. وشعرنا بالخجل لأننا زهقنا ومللنا العظمة والحفاوة بالموهبة، فلم نعد نرى لا عظيمًا ولا موهبة. ولا عيب فيها فالعيب منا فالذي لا يرى الشمس هو الأعمى، وليست الشمس!

ولولا هؤلاء الأبطال والعظماء والعباقرة ما تقدمنا. فهي مواهب ظهرت بيننا وتقدمتنا وهدتنا وسادتنا وصارت أبطالًا بعد ذلك. وكانوا على استعداد للتضحية ألف مرة. لأن دورهم ليس أن يعيشوا وإنما يجعلوننا نعيش. ولولا الأبطال لكان الناس فوضى، مستشفيات للولادة، سوقًا لقطعان الماشية.. حتى في عالم الحيوان والطيور لا بد لمن يرأس القطيع أن يتقدم ويدافع ويموت من أجل بقاء الحياة!

ونتساءل حقًا هل لاعبو الكرة المفاعيص أبطال وعباقرة؟ طبعًا لا.. وإذا كان أحد المفاعيص ترن في أذنه عند كل مباراة وهو في العشرين من عمره: ياعبقري يا أبو رجل دهب ربنا يخليك لنا ولمصر أولًا وأخيرًا، فما الذي تتوقع منه بعد ذلك؟

إنني أندهش كيف لا يخجل المعلقون الرياضيون والنقاد من اللغة التي يستخدمونها في تقديس اللاعبين؟

فلا نحن أحسن كـرة ولا أحســن تدريبًا ولا أحســن تربيــة، ولكننـا أقدر على إفسـاد كل شـيء فـي الرياضــة والأدب والفــن والسياسـة لأنـه لا يوجـد عندنـا لا مقـاييـس ولا موازيــن.. وبـالمـرة ولا ضميـر أيضًـا.

هل عندنا أمل؟

ومن بين الجامعات الأمريكية التي فازت بالمراتب العشر الأول جامعة: كولتك وإم دي تي..

وتقدمت جامعات زيورخ وهونج كونج للعلوم والتكنولوجيا ثم جامعات أخرى في إسرائيل والهند وهولندا وسويسرا وتايلاند وألمانيا وروسيا والصين وبريطانيا.

والصين تحاول أن تسبق بريطانيا، وذلك بمضاعفة إصداراتها العلمية من المجلات والكتب.

أما الجامعات العشر الأول فهي ست جامعات أمريكية وأربع جامعات بريطانية، كما أن مجموع الجامعات الأمريكية التي جاءت ضمن القائمة 37 جامعة. والجامعات البريطانية في قائمة المائتين، 27 جامعة!

أما هذه الهيئة العلمية عظيمة الاحترام التي قامت بالبحث والإحصاء والفحص والمقارنة والقرار فهي (التايمز للبحث العلمي) في سنتها الخامسة.

قد تقول أين نحن؟ وأرى أن هذا السؤال ليس له معنى.

لأننا لا هنا ولا هناك. ولا بحث علمي ولا تكنولوجي ولا أي حاجة. كلام في كلام.. ولا يليق أبدًا بنا كلما ظهر إحصاء جماعي أن نطعن في الحكام كما يحدث في كرة القدم!

اسأل أي أستاذ جامعي مصري ماذا قدم لتلاميذه وأثره فيهم وفي نفسه وفي الجامعة وفي أي أمل للإصلاح؟

مكتوب على باب جامعاتنا نفس العبارة المكتوبة على باب جهنم في ملحمة (الملهاة المقدسة) للشاعر دانتي:

أيها الداخلون اتركوا وراءكم أي أمل في النجاة!

الإفســـــاد

مستمــــــر

يا سيدي نحن في زمن يقال فيه للاعب الكرة: يا بطل، يا عبقري، ياللي ما حصلتش ياللي ماجبتوش ولادة، يا عظيم، وربنا يخليك لمصر كلها، وطبيعي لا نسأل عن السبب في أن المعلق الرياضي يعري رأسه ويطلب من الله ولا يكتر على الله أن يعطيه – المهم مصر، فكل شيء نحن نعطيه في هذا البلد فمن أجل مصر وليس من أجل أنفسنا.

فإذا بنينا كوبري تافهًا قلنا من أجل مصر بنينا الكوبري، مع أن أمريكا أقامت الصواريخ والمحطات المدارية وهبطت فوق الكواكب ولم تظهر لافتة تقول: من أجل أمريكا وصلنا القمر، ولا نحن طلبنا من السيد الرئيس أن يترك مكتبه ويفتتح أحد الكباري ورئيس الوزراء ليفتتح شارعًا مرصوفًا في الجيزة طوله كيلو متر.

إذن فهؤلاء الدراويش من المعلقين الرياضيين قد جعلوا معاني البطولة والعظمة والعبقرية كرات يضربونها بالجزمة كل يوم في وجوه وآذان الناس، لا هم تعبوا ولا الناس اعترضوا، والمثل يقول: كل شيء عند العرب: صابون.. رغاوي.. فقاقيع!

يعني هـؤلاء اللاعبون المفاعيص لهم كل صفات الإسكندر وصلاح الدين ونابليون وتشرشل وكل عظمة شكسبير وشوقي والعقاد وطه حسين والحكيم وعبد الوهـاب.

ولا بد أنك سمعت المعلق الشربيني وأدهشك كيف لا يخجل مما يقول، وكيف لا يتطوع أحد من الناس ويسحب الميكروفون من أمامه، نهاية لهذا التهويل الذي لا يلقى احترامًا من أي أحد محترم!

ولا بد أن تجد وقتًا لمفهوم العظمة والبطولة والعبقرية.. إنها ليست كذلك.. ولا كانت ولن تكون.. فالتاريخ يصنعه العظماء.. يتقدموننا ويهدوننا سواء السبيل.. من أين جاءوا؟ منا.. وكيف تقدمونا؟ بمزاياهم الشخصية.. وما هي هذه المزايا؟ بالبصيرة والصبر والشجاعة والفداء.. فهم قادتنا وسادتنا وضحايانا أيضًا..

وفي عالم الحيوان والطيور أيضًا لا بد من رأس للقطيع يتقدمه ويدافع عنه.. وهل ينجحون دائمًا؟ ليس دائمًا، ولكنهم يحاولون.. إن الله سبحانه وتعالى أرسل أنبياء كثيرين.. أكثرهم.. ضاقوا.. تعبوا.. فجاء أنبياء غيرهم يكملون.. وكذلك الأبطال والعظماء!

فما الذي أصابنا؟ ما الذي أهاننا وحقرنا وأهال على أمجادنا ترابًا وعلى حاضرنا هبابًا؟

قد خرجنا وراء ما يقوله الفاشلون والحاقدون واللامبالون.. ولم يتركوا شيئًا في تاريخنا لم يشككوا فيه وفينا فتاهت منا المعاني.. وهرب من أقدامنا الطريق.. وتضاءلنا أمام أنفسنا وصدقنا أننا ولا حاجة.

وفي إحدى محاورات أفلاطون أن أحد التلامذة سأل سقراط: ماذا ترى الموضوع الذي أدرسه؟ فقال سقراط: يجب أن تراه عظيمًا لكي ترى نفسك صغيرًا يريد أن يكون عظيمًا!

ولما سئل الخليفة عمر بن عبدالعزيز عن هذا العدد الكبير من العلماء في مجالسه.. قال: إنما أردت أن أتذوق الجمال والعظمة لكي أدعوكم لهما.. فمن لا يرى شيئًا عظيمًا واحدًا.. فلا مستقبل له!!

ولم يكن بعيدًا عن هذه المهزلة نوع آخر من الشرشحة قام بها الأستاذ محمد التابعي ضد الموسيقار محمد عبد الوهاب، وعنوانها «فن حرامية» فقد تطوع عدد من المطربين والملحنين الحاقدين على عبد الوهاب وهمسوا في أذنه: هذه الجملة من بتهوفن وهذه الجملة من موتسارت وهذا اللحن من باخ.

وهو لم يفعل أكثر مما يفعله الأدباء والفنانون أي أنه رجل مثقف فقد أخذ هذه الجمل ثم انتظر كيف يجعلها شرقية جميلة ثم إنه هو الذي طور التخت الشرقي الذي جمدته أم كلثوم.. وأدخل الأدوات الموسيقية.. حتى صار التخت هو الآخر مطربًا، والنقاد والمطربون العرب من كل لون ومذهب ومدرسة يرون أن عبد الوهاب أستاذهم وشيخهم.

ولم يكن الأستاذ التابعي منصفًا في نقده فلا هو موسيقار ولا هو مطرب ولا هو دارس ولا هو ممارس، ولكن همسوا في أذنه وشجعته (أخبار اليوم) فالأخوان مصطفى أمين وعلي أمين يفضلان أم كلثوم على عبد الوهاب ولأسباب شخصية.

وأذكر أنني حاولت الدفاع عن الأستاذ عبد الوهاب. فلم أتمكن وتصادف في ذلك الوقت أن كان الأستاذ كمال الملاخ في أمريكا

وكنت أكتب بدلًا منه صفحة (من غير عنوان). ونشرت مقالًا هجوميًا على التابعي، وكان الأول والأخير. ولم يكن عند التابعي أي أسباب فنية وإنما هي شخصية أيضًا!

وذهبوا وبقي عبد الوهاب فنانًا عظيمًا، وكل المطربين والملحنين قد خرجوا من جيبه وإن أكثرهم قد خرجوا عليه. ولكن بقي هو الأعظم!

اثنان من العلماء الأمريكان فازا بجائزة نوبل في الكيمياء، أما الموضوع فإنهما اهتديا إلــى أن خلايا «قناديل البحر» يمكن استخدامها في الكشف عن الخلايا متناهية الصغر نانو تكنولوجي أي الخلية التي يصل طولها إلى واحد على ألف من المليون.

وفجأة ظهر المكتشف الحقيقي، وأعلن أنه صاحب هذه الفكرة، وأنه ذهب قبل ذلك إلى هذين العالمين وطلب إليهما أن يكملا هذا البحث.. واعترفا بأنه هو فعلًا صاحب الفضل. ولكن ما الذي جعله يتوقف عن هذا البحث وهو الحاصل على دكتوراه في الكيمياء؟ الجواب أنه ليس لديه اعتمادات مالية.

ولذلك انزوى وفضل أن يعمل سائقًا في إحدى الشركات، وعلى الرغم من اعتراف العالمين الكبيرين بفضل هذا الرجل، فإن أحدًا لم يضع في عينيه شوية ملح ويعطيه مما أعطتهم مؤسسة نوبل من مئات الألوف من الدولارات.. يقول العالم الدكتور السائق إنه ليس حاقدًا عليهما، إنه صاحب فكرة وقد نجحت!

هل تعلم أن التي اخترعت الموبايل من ستين عامًا هي الممثلة الجميلة النمساوية هيدي لامــار.. فقد كان من حظها أن تعمل في مقاومة احتلال النازي لألمانيا، وكان لها صديق بين قوات المقاومة

تمده بالمعلومات عن طريق تليفون لاسلكي معه ومعها.. ولما سافرت إلى أمريكا سجلت الاختراع باسمها وقالت: الفكرة بديعة، فقد انتقمت لأبي وأمي، وقتلنا من النازيين ثلاثين.. وهذا يكفي انتقامًا لأبي وأمي!

أمريكـــا
أولًا

هذه المرة ليست الصين ولا جامعة شنغهاي هي التي اختارت أحسن 200 جامعة في العالم.. إنها إحدى الهيئات البريطانية عظيمة الاحترام، وقد قام بتوثيق المعلومات والاستبيانات عشرون ألفًا من أساتذة الجامعات وعشرة آلاف من العلماء.. وليس لأحد منهم الحق في اختيار الجامعة التي تستحق مكانتها العالية والعالمية.

وقد لاحظوا أنه في الجامعات الكبرى بعضها بدأ يتزحزح عن مكانه، فبدلًا من أن يكون ترتيبها الثالث صار الرابع، مع وعد بأن تستعيد مكانتها، أما هذه المكانة فهي البحث العلمي والحضور العالمي في الأبحاث والإبداع والاستمرار في ذلك.

ولكن في جميع الأحوال، فإن أمريكا تحتل المراكز الأولى، تليها بريطانيا.. ويرى المسئولون البريطانيون أنهم يخشون من أن الجامعات البريطانية في السنوات المقبلة وبسبب الأوضاع الاقتصادية، سوف تنزل عن مكانها الرفيع بسبب الاعتمادات المالية.. ويكفي أن نعرف أن جامعة هارفارد، وهي – دائمًا – الأولى على الدنيا تلقى من الاعتمادات المالية ما يعادل ما تتلقاه كل جامعات بريطانيا!

وهارفارد تليها جامعة أمريكية أخرى هي «بيسل»، ثم جامعتان بريطانيتان هما أكسفورد وكمبريدج.

وواضح أن أساس الاختيار والتفعيل بسيط جدًا، هو مدى التقدم في العلوم والتكنولوجيا!

ولا بد أن يكون ذلك موثقًا ونهائيًا وفي متناول جميع الهيئات العلمية: قراءة ومناقشة وتجربة وتبادلًا للزيارات والندوات بين أساتذة الجامعات.. وأكثرهم حاصل على جائزة نوبل في العلوم.

إلـــى

رئيسهـــم

سيادة الرئيس لا يمكن أن ننسى ما أصابنا جميعًا عندما فوجئنا بـأن روسيا قد أطلقت جسمًا صناعيًا يدور حول الأرض ويقول: بيب.. بيب.. كان إنجازًا عظيمًا وانتصارًا رائعًا صفقنا له وهنأنا العلماء الروس.. فكل خطوة متقدمة هي فخر للإنسانية كلها، ولكن أين نحن؟ فأول ما بدر لنا أن نعرف لماذا شعب جائع سجين يستطيع ما لم نستطع نحن الأثرياء الأحرار والمثل الأعلى للبشرية؟ لقد اهتدى علماء التربية إلى أن الروس قد سبقونا في دراسة الرياضيات والهندسة والجبر في سن صغيرة.. وكان اهتمامنا بكل ذلك أقل.

ولم نضيع الوقت في المقارنة والأسف، قفزنا وبسرعة، وهذه القفزة سببها أن العلماء الألمان والمهندسين قد تدربوا واستعدوا، ويجب أن نتوسع في التدريب وعدم الانتظار بل ننطلق فورًا.

وتعرف يا سيادة الرئيس أن جامعاتنا لا تزال أحسن الجامعات وأكثرها تقدمًا.. وهذا مؤكد ويثبت عامًا بعد عام.. ونحن فخورون بذلك، ولكن يجب أن نرفع أيدينا عن الجامعات وأن نقرر بسرعة تعظيم الدعم المالي لنمضي في أبحاثنا وتدريب علمائنا ومهندسينا.. أن نرفع أيدينا عن العقول المضيئة المهاجرة إلى بلادنا.. فلولا هؤلاء المهاجرون ما قامت أمريكا.. ويجب ألا تنسى!

وفي الوقت نفسه، يجب ألا نتهاون في الدفاع عن حماية الحقوق الفكرية للمبدعين، وأن نؤكد للعالم كله أن أعظم صناعاتنا كلها: تشجيع البحث العلمي وتدريب المهندسين والعلماء، وأن ذلك من أجلنا ومن أجل تقدم البشرية!

وهذا هو سر تقدمنا.. وهي الوصفة السحرية لعظمة أمريكا.

من رسالة كتبها علماء أمريكا إلى رئيسهم أوباما..

العالـــم يتفـــرج

ليس صحيحًا أن الرئيس السادات كان يعرف أن إسرائيل سوف تضرب المفاعل العراقي(إيزيراك) وقد ظن الكثيرون أن لقاء السادات بمناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل في شرم الشيخ لكي يطلعه بيجين على هذه الكارثة، وأنهما قد تشاجرا... وهذا يفسر أن لقاءهما قد تأخر ساعة، وجاء بيجين، وقد ظهر عليه الإعياء الشديد، والحقيقة أن أخت مناحم بيجين قد جاءت إلى السادات، وقالت له إن أخاها قد أصيب بكومة سكر – أي بإغماء شديد فتأخر عن موعده..

وقد قال لي الرئيس السادات إن بيجين في لقائهما بعد ذلك بالإسكندرية قد صارح الرئيس بأنه سوف يضرب المعامل الكيماوية للغازات السامة في ليبيا... فقال له السادات: على جثتي! فلم يضربها بيجين.

وليس صحيحًا أيضًا أن الرئيس مبارك كان وحده على علم بأن إسرائيل سوف تضرب الأهداف العسكرية لمنظمة حماس وأنه كان في استطاعته أن يمنع إسرائيل؟! ولم يكن الرئيس مبارك وحده الذي يعلم، وإنما مئات الملايين، فقد أعلنت إسرائيل أنها سوف تقضي على حماس.

وقالت وزيرة الخارجية إنها لن تهدأ إلا بعد استئصال حماس – وهم يفعلون ذلك بانتظام، ولا يهمهم إن مات أطفال وشيوخ... ولن

تصمت المدافع الإسرائيلية قبل أن يتحقق الهدف، وهو إسكات كل الصواريخ الإيرانية الموجهة إليها من فلسطين.

ولمناحم بيجين مقولة شهيرة سمعتها منه شخصيًّا تقول: إن العالم كله وقف يتفرج وهتلر يحرق الملايين من اليهود.

والعالم مستعد أن يتفرج مرة أخرى علينا وعلى أعدائنا!

لابـــد
مـن خريطــة

اجتاحتنا الأحـزان والهموم واليأس.. فكثير من الناس لم يعد يستريح إلى النكت أو الأفـلام المضحكة.. وبعض الناس اتجه إلى الراديو لأن التليفزيون يعرض مناظر توجع القلب.. وبرغم أن بعض الفلسطينيين يشتموننا في قنوات عربية أخرى.. فقد اعتدنا أن نبتلع هذه الإهانات.

والعسكريون - وهم بمئات الألوف - عندهم حكايات وروايات عن المآسي التي ذاقوها في حروبهم ضد إسرائيل من أجل فلسطين.

ونسينا في غمرة الحزن أن ننشر خريطة واحدة حتى يعرف الناس ما هي وأين غزة.. وكم هي الحدود بيننا.. وأين هي الأنفاق بين مصر وفلسطين والتي دخلت منها المدافع الصاروخية - لا الصواريخ - فلا يوجد في غزة صاروخ واحد وإنما مدافع صاروخية صغيرة لا تصيب وإنما تخيب.

ولا بد من خريطة ليعرف الناس منفذ رفح.. ولا بد أن يعرف الناس صعوبة الدخول والخروج.. فلسنا وحدنا الذين ندخل الأفراد ونخرجهم.. إن الرئيس أبو مازن نفسه إذا أراد الخروج أو الدخول فلا بد أن يستأذن إسرائيل، لأن بلاده محتلة.. وليست مستقلة ذات سيادة.

إن إسرائيل حبست ياسر عرفات ثلاثين شهرًا لا يبرح بيته، حتى قتلوه بالسم - فهم الذين أخرجوا روحه من جسده أيضًا!! وأغلب

الناس معذورون فهم غير قادرين على معرفة شكل غزة.. هل هي بالطول أو العرض؟ وكم يبلغ طول حدودها مع إسرائيل؟ وكم مع مصر؟!

وقد حدث أيام أزمة طابا عندما سألوا عددًا من الشباب: كم تبلغ مساحة طابا؟ فقالوا ما بين سبعين كيلومترًا ومائتي كيلومتر.. والحقيقة أنها كيلو متر واحد مربع.

ولو سألناهم عن غزة وطولها وعرضها لسمعنا عجبًا!!

عــن
الحـــب..

رأيت فيلمًا من إخراج السيدة سميحة الغنيمي عن الحب.. إن لها أفلامًا أخرى بديعة ناجحة، وقد نجحت في ذلك كثيرًا، أما الحب فهو كل الشعر والموسيقى والتصوف، وليس أصعب من تعريف وتصوير الحب، قال أبو نواس:

يقــول أنــاس لو وصفــت لنــا الهــوى
فوالله ما أدري الهوى كيف يوصف؟!

ويقول أمير الشعراء شوقي:

يقـول أنــاس لـو وصفـت لنـا الهوى
لعـل الـذي لم يعـرف الحــب يعـرفُ
فقلــت لقــد ذقـت الهــوى ثـم ذقتــه
فواللــه مـا أدري الهــوى كيف يوصفُ

يقول مصطفى صادق الرافعي:

الحـــب سجـــدة عابــــد ـــــ مـــا أرضــــه إلا جبينــــه

وقبلت سميحة الغنيمي هذا التحدي فقدمت للمشاهدين صورًا فاتنة، تمنيت معها لو أنها توقفت دقائق أو ساعة لجمالها وروعتها.

ولم تكن هذه اللقطات في حاجة إلى تعليق عليها، ولا يعيب هذا الفيلم إلا التعليق عليه. فالتعليق مهما يكن بليغًا فإنه قد يبدو تافهًا

أمام المناظر الساحرة التي اختارتها وقدمتها سميحة الغنيمي ومرت علينا بسرعة، ويبدو أن الفيلم كله لا يلقى ما يستحقه من اهتمام من التليفزيون.

لقد قدموه في ساعات متأخرة بلا حفاوة مع أن للموضوع من الرقة ما يجعله عظيم الاحترام!

وفي القنوات الدولية برامج كلها صور بلا تعليق، لأن الصور وما تتضمنه أوضح وأوقع وأوجع.. فما بالك بالصور الهادئة الجمال، فإنها تغريك أن تكون أنت هادئًا مستسلمًا في صمت لهذا الذي تراه!

لبيب السباعي

الأستاذ لبيب السباعي أو (الصارخ في البرية) مثل يوحنا المعمدان الذي كان يصرخ ولا يسمعه أحد. أو لا يريد أن يسمعه.

فعندما استضافوه في (البيت بيتك) لم يتيحوا له الفرصة الكاملة لكي يقول ويصول ويجول في ميدان التربية والتعليم.

ومما قاله إن كل وزير جديد يجيء يعلن عن استراتيجية جديدة للتعليم. وتكون هذه الاستراتيجية تغيير كل ما فعله الوزير السابق.

والنتيجة أنه لا شيء (ثابت) في هذه الاستراتيجية. فالشيء الثابت هو أنه لا شيء ثابت.

فأمريكا عندما أرادت أن تصلح التعليم كونت لجنة وقررت أن تظل هذه اللجنة منعقدة إلى نهاية القرن؛ حتى تكمل إصلاح حال المعلم والمدرسة والكتب المدرسية والمقررات. وأن تكون استراتيجية غير قابلة للتغيير..

ففي الإدارة الأمريكية (ثوابت) أي سياسة لا تتغير مهما تغير الحزب الحاكم.. تمامًا كما أن هناك اتفاقًا ثابتًا على موقف أمريكا من إسرائيل، فكذلك موقفها من التربية والتعليم.

ومعه حق الأستاذ لبيب السباعي أن يداخله اليأس والقرف وأن يكون طعم الكلام على لسانه ولساننا شديد المرارة!

وتكفي مصر كارثة قومية ما حدث من تغييرات هزلية في التربية والتعليم.. عندما حصل التلميذ على 100٪ وأكثر.. وهو ما لم يحصل عليه نيوتن وأينشتين. ومع ذلك لم يظهر من التلامذة واحد يثبت صحة هذه التغييرات الخرافية في الدرجات النهائية.

وما حدث في مصر نموذج لما ينبغي ألا يكون عليه التعليم، واستراتيجية الحشاشين في الإصلاح!

د. عبـــد المنعـــم الحفنـــي

الباحث الكبير والمفكر المتصوف د. عبد المنعم الحفني قد توج أعماله الجليلة، وموسوعاته الضخمة في علم النفس والفلسفة، والتصوف بتحفة تاريخية هي (موسوعة حياة محمد) في ثلاثة مجلدات، و3728 صفحة، ومن منشورات مدبولي.

ولا أبالغ إذا قلت إن في هذه الموسوعة السهلة إجابة عن أي سؤال يخطر على بالك في حياة الرسول ﷺ نبيًا وداعيًا، ومثلًا أعلى، وزوجًا، ومقاتلًا. ثم معلومات لم أكن أعرفها مثل أن الرسول ﷺ هو الذي رتب سور القرآن، وأعطاها أسماءها، وكذلك الآيات التي كانت تجعله يبكي. ثم إن الرسول ﷺ في صلواته كان لا يتلو أكثر من ثلاث آيات.. تخفيفًا على الناس.. ود. عبد المنعم الحفني أكد لنا أنه من أشد الناس حبًا للسيدة عائشة زوجة الرسول. وقد أصدر عنها قبل ذلك موسوعة لكل الأحاديث التي نسبت إليها مع حفاوة حارة بها، وبكل ما قالت.

ومن أجمل ما في هذه الموسوعة أنك تستطيع أن تقرأ أي صفحة ففيها أسئلة وإجابات عن معاني الآيـات، والمناسبات التي نزلت فيها، ومناقشة للمستشرقين والمتشككين.

والله يعلم كم استغرقت هذه الموسوعة من وقت وجهد للباحث الكبير المتواضع د. عبدالمنعم الحفني.. ومن عادة الإنجليز إذا قرأوا

كتابًا ضخمًا شاقًّا، قالوا: إننا نشم منه رائحة القنديل. أي القناديل التي خمدت ثم أشعل غيرها، وفي هذه الموسوعة الفريدة رائحة ألف قنديل! وشكرًا جزيلًا.

الأديب إبراهيم عبدالعزيز أصدر كتابًا ضخمًا بعنوان (رسائل أنيس منصور) من منشورات «نفرو» للنشر والتوزيع وكتب له مقدمة شاملة بديعة. أشكره عليها. ثم جاءت أحاديث بيننا ورسائل تلقيتها من طه حسين والحكيم والعقاد ورابين وبيريز وبارليف وديان والأديبة يائيل ديان. وكثير من الأدباء المصريين والأجانب.

وقد خشيت أن ضخامة الكتاب مع ارتفاع سعره ألا تمتد إليه الأيدي. ولكن زوار معرض الكتاب تناولوه وتناقلوه وحملوه إلى بيوتهم.. فشكرًا لهم.

ويمتاز الأستاذ إبراهيم عبد العزيز أنه شاب صبور وأنه جاد وأنه أخذ حياته بصرامة. ولولا موهبته في التنظيم والضبط والربط وأمانته الشديدة ما أمكنه أن يصدر كتبه العديدة التي توفرت فيها المتعة والروح الجادة والاستفاضة والثقة بالنفس وحسن تقدير القارئ.

ورغم أن الكتاب قد شمل جوانب كثيرة وموضوعات شتى وغاص في أعماق ما قرأ وما سمع فإنه يعطيك انطباعًا بأن الأستاذ إبراهيم عبد العزيز لديه الكثير الذي كان في استطاعته أن يقوله ولكنه يؤجله إلى حين.

فرغم طول المقدمة الشفافة فإنها تشبه ما تسميه الفلسفة الوجودية بـ(ما ليس بعد).. إنه ليس هذا كل ما عنده فهو لم يقل كلمته الأخيرة. فهو وكلمته (ليس بعد).. ومعه حق فالكلمة الأخيرة

أو النهائية في أي موضوع أو لأي كاتب أو فنان (ليس بعد).. ويستحق الأديب إبراهيم عبد العزيز كل الاحترام والتقدير والحب!

وأنا قد بادرت بالكتابة عن هذه التحفة الأدبية، لأني أعلم أن الزملاء من النقاد لن يتسع وقتهم، وفي ذلك ظلم لمؤلف شاب جاد..

ماذا أعددت للشيخوخة؟

ما الذي تريده لشيخوختك؟ هل تريد أن تقضي هذه الشيخوخة في المدينة.. أو في الريف؟ في بيت صغير حوله حديقة.. بين الأولاد أو بين أحفادك؟ في الصلاة.. في القراءة.. في النوم.. في الانسحاب من الحياة نهائيًّا؟

ربما لم يخطر على بالك هذا السؤال لأنك لا تزال شابًّا أو لأنك بلغت الشيخوخة ولا تريد أن تعترف بها.. ومن الأفضل ألا تعترف بأنك شيخ. فقد استطاع الكثيرون من الشيوخ أن يحققوا المعجزات في الأدب والفن والعلم والاكتشافات والمغامرات.. وكأن هؤلاء الشيوخ قد أخفوا قدراتهم الخارقة على شكل قوى احتياطية. وعندما أنفقوا كل قدراتهم الظاهرية، استدعوا هذه القوى الاحتياطية فأعادت إليهم شبابهم العاقل. بعد أن بددوا شبابهم المجنون قبل الشيخوخة.

فالذين لم يشيخوا بعد – متصورون أن الشيخوخة هي انسحاب من الحياة.. انسحاب يائس. انسحاب الإنسان المخدوع المغرور.. وأن الشيخوخة هي الإدراك الحقيقي للحياة وهدف الحياة، وأنها فترة الانتظار القانع الذي يسبق الموت. ولكننا عندما نفكر في الشيخوخة الآن ننظر إليها كرجال متعبين مرهقين خادعين ومخدوعين كارهين ومكروهين.. ونتمنى أن نستريح من هذا الصراع بالزهد في الدنيا كلها.

ولكن الشيوخ لا يفكرون في ذلك، إنهم يتمنون أن تعود بهم المعجزة إلى حياتهم من جديد.. مهما تكن متاعبهم.. ومهما كانت أوجاعهم.. فأوجاع الشباب يشفيها النوم.. ومتاعب الشباب يخففها النسيان.. ولكن أوجاع الشيوخ لا يخففها شيء وأمراض الشيخوخة لا علاج لها.

فعندما أكون شيخًا سأكون نادمًا، لأنني لم أستمتع بشباب القلب والعقل، فقد ولدت لأحبو على أبواب الشيخوخة.

سعـــــاد
جابـــر

الأديبة الطبيبة السعودية سعاد جابر قدمت في المعرض الدولي للكتاب بالقاهرة تحفتها الأدبية الثانية بعنوان (امرأة على الحافة) من سلسلة (كتاب اليوم) أما تحفتها الأولى فكانت (صمت يكتبه الضباب). وهي في الحالتين كانت على الحافة.. في الأول كانت على حافة الحياة والحب.. أو على حافة الحب، ثم سقطت في بحر الحب المتلاطم.. فرسمت لنا ذلك بعبارات ملونة متدفقة.. وأمـواج الحـب لم تخطفها من الحياة، ولا الحياة سلبتها الحب.. وإنما هي ألقت بنفسها في بحر الحب وراحت تسبح وتعلو وتهبط كأنها تغـرق وإنما كانت تجد المتعة في لعبة الخطر فكانت تغوص بحثًا عن عبارات من اللؤلؤ. وكتابها الأول كان تجربة حياة وحب وفزع بعد ذلك.

أما تحفتها الثانية فهي مروعة. فقد غرقت الطبيبة فعلًا في البحر. نزلت إلى البحر الذي خطفها وكاد يقضي عليها. والحمد لله نجت من الموت لتكتب لنا تجربة الموت، وكيف كانت على حافة النهاية.. والأديبة هي التي أطالت عمر الطبيبة. فما كتبته سعاد جابر عن هذه التجربة التي هزت كيانها طوح بها في شطحات الصوفية والندم. فقد تدفقت ببكائيات نورانية، ولا أعـرف كيف توفر لها كل هذا

الفيض من العبارات الجميلة، والمعاني الرقيقة.. والتراكيب البلاغية الباهرة.

وإذا كانت د. سعاد جابر طبيبة فإن الذين يعرفونها بالألوف.. ولكن بعد أن أسلمت مشرطها للأديبة، فالذين سوف يعرفونها وينتظرون تحفتها الثالثة بالملايين. هنيئًا لنا ولهم!

حيرنا الأطباء

مثل شعبي يقول: من عاش بالحكمة عاش بالمرض..

والمعنى أن الذي يراعي الطعام والشراب ويحسبها حسابًا علميًّا، يتعب جدًّا في حياته. ومصدر هذا التعب أن الناس الآخرين لا يراعون ذلك.. إذا باعوا وإذا طبخوا أو إذا قدموا الطعام. والنتيجة أن يكون في خلاف وشجار مع كل هؤلاء الناس، ولأنهم أغلبية وهو وحده، فلن يستطيع أن يفرض حالته النفسية أو العقلية على كل الناس. ولا بد أننا عرفنا ولو واحدًا في حياتنا: يغسل الكوب والملعقة، ويضع الخضراوات والفواكه في المياه المعقمة.. ويرفض أن يأكل شيئًا لم يتم تطهيره تمامًا..

وكل يوم يطلع علينا الأطباء بأن كل شيء نأكله أو نشربه أو نشمه أو نلمسه: ضار؛ فالهواء ملوث والماء وكل الفواكه والخضراوات واللحوم والألبان.. وكل شيء في دنيانا يؤدي إلى السرطان: الشاي والقهوة والسجائر.. واليوم الألبان ومشتقاتها ومركباتها!

ومع ذلك فإن أحدًا لم يمتنع عن الطعام والإسراف في كل شيء. وليس سبب ذلك أن الناس يريدون أن يموتوا. ولكن السبب أنه من الصعب أن نعرف ما هو الضار، والذي ليس ضارًّا. ولا بد أن نعيش. ولكي نعيش ونبلع اللقمة لا بد أن ننسى أو نتناسى. أو نتوكل على الله.

فقد أصبح من المستحيل أن نتقي هذه الأضرار التي انتشرت في كل شيء. ولا بد أن يكون الجسم قد اكتسب نوعًا من المناعة، ولا بد أن تكون الأعصاب تبلدت، ولا بد أن يكون العقل توقف أمام الرغبة في الحياة.. ولأنه من المستحيل أن نعيش «بالحكمة» التي يتحدث عنها المثل الشعبي..

أما المؤرخ الكبير عبدالرحمن الرافعي فقد تلقى كتاب طه حسين (الفتنة الكبرى) فبعث يشكره على هذه الهدية يقول:

وصلتني هديتكم العلمية الغالية (كتاب الفتنة الكبرى) وسعدت كثيرًا بعبارة الإهداء في كلا الجزأين. فأشكركم على هذه الهدية الكريمة التي لها في نفسي أعمق الأثر.. لقد قرأت الكتاب في شوق ومتعة ورأيت فيه كيف عرفتم وقائع هذه الفتنة الكبرى في أمانة المؤرخ الصادق وأسلوب الأديب الكبير، وصار لي هذا الكتاب الجليل المرجع الأول في فهم حقائق التاريخ عن تلك الحقبة من الزمن. أشكركم يا سيدي العميد على جميل شعوركم ونبل عواطفكم وشكرًا لكم على تصويركم الرائع لهذه الفتنة التي وصفتموها بحق بأنها شنيعة. وسأحتفظ بهذا الكتاب في أعز مكان عندي ذخيرة علمية وأدبية من عميد الأدب العربي.. أمدكم الله بالرعاية والتوفيق ومتعكم بالصحة والهناء والسلام عليكم ورحمة الله.

واضح هذا الأسلوب الرفيع في الخطاب، كيف قال وكيف شكر وكيف امتن. ولقد أحزنني أن الحديث الوحيد الذي سجلته في التليفزيون مع عبدالرحمن الرافعي لم أجد له تسجيلًا في أي مكان في العالم العربي.. آه لو رأيت عبدالرحمن الرافعي وأدبه ولطفه وخلقه وصفاءه ونقاءه.. كيف تحدث عن أسرته وعن زواجه.. وكيف أنه اندهش واستنكر أن يكون الحب قبل الزواج وقال: كيف تحب من لم تر.. الحب يجيء بعد الزواج وهكذا الحب المحترم لفتاة محترمة!

الأطبـــاق الطائـــرة

تعليقًا على ما كتبته عن الأطباق الطائرة؛ يقول لي لواء د. مهندس عبدالمقصود حجو وكيل وزارة النقل سابقًا إنه خدم 27 عامًا بالقوات الجوية وشارك في حرب الاستنزاف وحرب أكتوبر وأمضى من عمره سبع سنوات يدرس ظاهرة الأطباق الطائرة. وأصدر كتابًا عنوانه: الأطباق الطائرة حقيقة أو خيال؟ وقد أصدرته دار النشر العلمية – شارع الشيخ ريحان..

وجاءني من المهندس أيوب دانيال أيوب أنه أمضى من عمره 15 عامًا يدرس الأطباق الطائرة وفي لغات مختلفة. وأصدر كتابًا في كندا بالإنجليزية والفرنسية عنوانه: الأطباق الطائرة خرافة علمية. وخلاصة هذا الكتاب أنه لا يستبعد أن تكون الأطباق الطائرة من إبداع مخابرات أمريكا وروسيا. فالدولتان وحدهما تعرفان كل الأسرار. أما نحن وبقية العالم فلا نملك إلا أن نتفرج ونسكت. وأنا لم أسكت. وأؤكد لسيادتك أن كتابي هذا نجح وألقيت محاضرات في مصر وفي كندا عن كل ما اهتديت إليه. والذي اهتديت إليه ليس قليلًا!

وجاءني من شيكاغو: نحن أختان تخرجتا في كلية علوم القاهرة كوالدنا وأمنا وخالتنا وعمنا.. فنحن نعيش في بيئة علمية وسعداء

بذلك. وأصدرنا كتابًا نرسل إليك نسخة منه. الجانب التاريخي كتبته أختي رشيدة السرجاني. والجانب العلمي كتبته أنا رشيقة السرجاني. والمقدمة كتبها والدنا د. عبداللطيف محمود السرجاني. والكتاب بالفرنسية. وقد قرأنا كتابيك: الذين هبطوا من السماء والذين عادوا إلى السماء. وهذان الكتابان فتحا لنا الطريق الواسع منذ سنوات طويلة. ونحن نؤمن بأن الظاهرة حقيقة علمية، وليست خرافة..

شكرًا لكم جميعًا!

عبد العظيم رمضان

كانت نهاية المؤرخ الكبير د.عبدالعظيم رمضان خبرًا محشورًا في الصفحة الأولى. كأن الصحف تعتذر عن نسيانه. ولم تكن حياته سهلة. وقد اتجه يمينًا بعنف ويسارًا بعنف. واعتدل فأغضب كل المتطرفين. ومضى كتابًا بعد كتاب ومعركة بعد معركة في كل الصحف والشاشات.

وقد بدأت علاقتي به عندما نشرت خبرًا عنه، فأرسل خطابًا يشتمني ومجلة (أكتوبر) التي أرأس تحريرها. وفوجئ بنشري الشتيمة. فاتصل بي يقول لي: هكذا أظهرتني قليل الأدب. فقلت: أليس هذا رأيك؟ لا يهمني ما دام الخبر صحيحًا!

وسألني إن كان من الممكن أن يكتب في مجلة أكتوبر. فكتب فيها ثلاثين عامًا. وأحبها وأحبته حتى تزوج الزميلة أميرة خواسك.

وسوف يذكر له التاريخ مواقف بارزة في تحليله لثورة يوليو ونصر أكتوبر والسلام. فقد كان شجاعًا وقف يبدي رأيه مدافعًا ضد الإرهاب الصحفي. فازداد الاحترام له. وهو رجل عصامي.. بدأ من تحت قدميه وتعلم وصار أستاذًا وعميدًا وعضوًا في مجلس الشورى والمجلس الأعلى للثقافة ومجالس ولجان أخرى كثيرة.

وهو كأستاذنا العقاد وكارليل ونيتشه يؤمن بأن التاريخ يكتبه الأبطال. سواء أبطال أفرزهم التاريخ أو أبطال أفرزوا التاريخ. وكان

مفهوم البطولة عند عبد العظيم رمضان أن تعيش لحظات من البطولة في مقاومة الإرهاب والفقر والقهر. وحاول ووقف على رجليه سنوات. وقاوم حتى سقط القلم من يده. وسقط هو بعيدًا وحيدًا نسيًا منسيًّا. يرحمه الله!

خطـــأ خطيـــر

طبيعي لا بد من شراء الخبرة الأجنبية. كل الدول الكبرى تفعل ذلك. حتى أمريكا استعانت أول الأمر بالمهندسين الألمان الأسرى لإطلاق الصواريخ وتطويرها.. ولا تزال تستعين بالروس. ولا أحد يتهم أمريكا بأنها متخلفة. وإنما يصفها بسعة الأفق.

فالمهاجرون هم الذين أقاموا أمريكا، ثم اندمجوا في الحياة الأمريكية وأصبحوا مواطنين.. ولكن لا تعتمد أمريكا على الخبراء في كل فروع المعرفة والصناعة، فلديها عقول جبارة تفكر وتبدع...

ونحن يجب ألا نشعر بالخجل إذا استعنا بالخبراء الأجانب، ولكن الخجل يجيء عندما لا يكون لدينا إلا الخبراء الأجانب، هنا نشعر بأن هناك خطأ في التعليم في مصر لأنه لا يفي باحتياجاتنا ولا يغنينا عن الاستعانة بالخبراء الأجانب. ففي كرة القدم مثلًا نجد مصريين في أندية عالمية.. ونجد أجانب في ملاعبنا.

إن لم يكن هذا استعانة بالخبراء، فهو تنويع وتطعيم للرياضة في مصر...

قال لي د. محمد غنيم الجراح العالمي إن استيراد عمال من كوريا وغيرها من دول العالم الثالث لأعمال البناء بدلًا من العمال المصريين، أو إلى جوارهم يؤكد لنا أن هناك خطأ خطيرًا في العمالة نفسها.

إذ كيف لا نجد عمالًا أكفاء؟ فمن الممكن ألا نجد مهندسين في كفاءة الكوريين. ولكن ألا نجد عمالًا فهذه فضيحة. عار. كيف؟

قال لي د. أمين الريحاني خريج الجامعات الألمانية إنهم يطلبون منا كطلبة أن نعمل كل شيء ابتداء من كنس الأرض وتنظيفها وغسل ملابسنا.. وبذلك نحترم العمل اليدوي الذي لا غنى عنه. وبعد ذلك نتفوق في العمل الفني الذي تخصصنا فيه.. إن البداية من تحت أقدامنا إلى ما فوق رءوسنا.

وإلا فلا تقدم!

أرض للخريجيـــن

تأخرت في التعليق على رسائل أساتذة الزراعة، فقد كنت على سفر طويل، مهندس أيمن الشوربجي يقول إن الزراعة صناعة بمعنى الكلمة: ليس من المنطق أن يدرس طالب الزراعة العروة الصيفية والنيلية والسدة الشتوية ونحن الآن نزرع في الصحراء بمياه الآبار وبشبكات تدار بالكمبيوتر.. وبعض المزارع بها محطة أرصاد كاملة، فأنا حزين لأننا علقنا كل المشاكل على الشباب وليس على الجيل الأكبر الذي يتولى زمام الأمور.

ويقول د. محمد عبد الرحمن الأستاذ بزراعة المنوفية إنني أقترح أن تعطي الدولة مساحة من أراضي توشكى لخريجي كليات الزراعة كحافز لهم بعد التخرج، فهم أقدر على الإنتاج النباتي والحيواني والثروة السمكية.

وجاءني من عميد كلية زراعة القاهرة أ.د أشرف هشام برقاوي يوجه لي دعوة لزيارة كلية الزراعة لكي أرى التقدم في إعداد المناهج وطرق التعليم وتطوير المهارات المهنية بما يتسق مع روح العصر والتقدم العلمي العالمي.

وتقول د. مرجريت شومان من سوهاج وتعيش الآن في بوينس إيرس: بمنتهى الأمانة أنا لم أتعلم شيئًا له قيمة في كلية الزراعة

جامعة القاهرة، ولا أشنع على أحد، فإننا نعامل الأرض معاملة سيئة، أما هنا فالأرض قوية غنية وتساعدك على أن تنتج أي محصول تريد، وقد تعلمت الكثير وأنا أزرع الأرض.

ويقول د. شوقي أبو النصر الغرباوي من جنوه (إيطاليا): أنا كنت مفلسًا تمامًا، إيدك والأرض، جئت إلى هذه البلاد واشتغلت بالإنتاج الزراعي.. وامسك الخشب.. السبب أن الأرض هنا لا تتكلم عربي.. وإنما كل اللغات وكل الأزهار والثمار!!

شكرًا لكم جميعًا..

لا تـــــزال
لغـــــزًا..

لا أنا قادر أقول: كذب ولا قادر أقول: حقيقة. ولا أي واحد من الأمريكان والروس. ولذلك بقيت ظاهرة (الأطباق الطائرة) شائكة طائرة هابطة من ستين عامًا!

وقد ذهب المؤرخون يؤكدون أنها منذ أيام أبي التاريخ هيرودوت. وأنه رآها في سماء مدينة منف المصرية، رأى كرات من النار تقترب من الأرض ثم تذهب بعيدًا.

ووجدوا نصوصًا في (العهد القديم) من الكتاب المقدس. خاصة سفر (حزقيال).. لم يعثروا على أطباق طائرة وإنما على سفن فضاء.

وجاءت أوصافها مطابقة لسفن الفضاء الآن. وكانوا يفسرون ذلك على أنها نبوءة بما سوف يحدث مستقبلًا. ولكن علماء آخرين فسروا أنها ماض حدث، وإن كانت في أماكن أخرى من الكون هبطت إلى الأرض وغادرت ولا نعرف لماذا.

وقد وعد الرئيس الأمريكي كارتر إن نجح في الانتخابات أن يطلع الشعب الأمريكي على الكائنات التي قابلت الرئيس أيزنهاور. ونجح كارتر، ولم يقل. ووعد كلينتون أيضًا بأنه إذا نجح فسوف يكشف سر الكائنات التي التقت بالرئيس أيزنهاور ونجح مرتين ولم يقل..

ولما ظهرت الأطباق الطائرة في سماء موسكو أعلن الرئيس جورباتشوف في حماس غريب أنها خرافات وأنه يمنع الكتابة عنها، ومنع الكتابة.

ويؤكد الروس أنها أسلحة سرية أمريكية.. ويؤكد الأمريكان أنها أسلحة روسية..

ومنذ أيام ظهر كتاب في أمريكا بعنوان (الأطباق الطائرة – بعض الحقيقة) يقول: إنها ظاهرة حقيقية. وإن أمريكا وروسيا قد اتفقتا على الكتمان، كما اتفقتا أيضًا على عدم إذاعة شيء عن الذي رآه رواد الفضاء في داخل سفنهم ووراءها.

كأنهم قالوا وكأنني قلت!

بزعيـــق
وبسرعـــة؟!

لا أجد تفسيرًا لهذه الظاهرة: المصريون يتكلمون بسرعة وبصوت مرتفع.. فقد تكون أذنك في فم صاحبك.. ومع ذلك يخطف الكلمات ويأكل الحروف ويصرخ حتى تسمعه!

في الندوات التليفزيونية هذه الظاهرة أيضًا.. فالجالسون معًا ليسوا في حاجة إلى زعيق، فهمساتهم مسموعة.. ومنذ أيام رأيت ندوة تليفزيونية.. شيء غريب.. المتحدثون قد التزموا الهدوء وارتدوا الوقار وارتكزوا على العقل.. وبسلامتها صاحبة البرنامج «تنشال وتنهبد» وتصرخ.. ولا أفهم لماذا.. مع أنها ليست في حاجة إلى كل هذا التأكيد لوجودها.. ولأنها صاحبة البرنامج.. حاولت أن أجد تفسيرًا فلم أجد.. فلم يبق إلا أن نلفت نظرها إلى ذلك.. وهو أمر سهل.. ولكني تساءلت: ولماذا؟ وأنا مالي.. لا بد أن رؤساءها سعداء بها.. وزعيقها دليل على حماسها والتشويح بيديها يؤكد اندماجها في الحوار.. وإقناع الطرف الآخر بأنها جادة وأنها حريصة على القضية وحريصة على أن تكسبها؟!

والكلام بسرعة كالهرولة في المشي.. فالهرولة توهم بأنك مستعجل، وأنك على موعد.. وأنك تريد أن تصل في الوقت والمكان.. والحقيقة أنك لست على موعد.. ولا مستعجل.. وإنما هي عادة.. تمامًا

كالكلام السريع.. وهي عادة أن يقول الإنسان بسرعة ولا يهم إن كان مفهومًا.. ويدهشني أكثر أن الكلام بسرعة لا يدل على الحماس.. ووضوح الرأي والرؤية.. فبدلًا من الكلام السريع يجب أن يكون هناك صمت سريع.. ويجب أن يتدرب المتحدثون أصحاب البرامج على الحوار الهادئ الموضوعي.. فالعقل هو سيد الحوار.. ورفع درجة الحرارة ليس علاجًا ولا يدل على الصدق والغيرة على الحق والحرص على أداء الواجب!

اعتدنـــــا البكـــاء..

المصريون ارتضوا هذه الحالة المرضية: أن يبهدلوا أنفسهم. وأن يفضحوا أنفسهم. يفضحون اللصوص والخونة والنصابين والمحتالين والمرتزقة والأفاقين. فهذا واجب وطني وأخلاقي أيضًا.

ولكن الفضيحة الكبرى أنهم يزفون المفضوحين كل يوم، ثم لا يقدمون أحدًا للعدالة. وإذا قدموه للعدالة، فالعدالة قد رفعت العصابة عن عينيها. فهي كلها نظر. ونظرها يقول لها: إلا هذا وإلا ذاك. فالعدالة تقف عند الباب ولا تدخل. ومعنى ذلك أننا كذابون في ادعائنا أننا نصلح الفساد والانحراف. وليس صحيحًا أن شعارنا هو: اكشف لي لصًّا وأنا أبني له ألف سجن. كذب! فاللصوص على اليمين والشمال.. والعدالة عندما كانت معصوبة العينين كانت ترى، وعندما رفعت العصابة عن عينيها لم تعد ترى..

وارتضينا أيضًا أن نشكو وأن نبكي وأن نبقى على هذه الحال، لا نغيرها. فقد اعتدنا وأدمنا ذلك وورِثْناها وورَّثناها لأجيال من بعدنا. وأقوى نموذج: هزيمة 67 ونصر 73.

فقد اعتدنا على البكاء والنواح ولطم الخدود وشق الجيوب وألقينا المسئولية على الدنيا التي تتآمر علينا، فليس للعالم كله من هم وغم سوى مصر، وكيف يقضون عليها، مع أننا – نحن المصريين – قادرون على ذلك وحدنا...وجاء نصر 73..

فرحة.. كبرياء.. عظمة.. فماذا فعلنا؟

قتلنا الرجل الذي أراد أن يغير ملامحنا فنضحك بدلًا من أن نبكي ونصفق بدلًا من أن نلطم ونفتح صدورنا لهواء جديد وقلوبنا للحب والسلام.

لقد أراد لنا شيئًا آخر ووجهًا وحياة وطريقًا. ولكننا لا نريد. فاستحق الموت في يوم العيد.. عيد النصر وعظيم الاحترام لأنفسنا والشعوب العربية؟!

دارون:
حلال أو حرام؟

بعد وفاة العالم الكبير تشارلز دارون بـ 126 عامًا قررت كنيسة إنجلترا أن تعتذر له رسميًا، فدعت أحد أحفاد أحفاده وقدمت له الاعتذار لأنها أساءت فهم نظرية دارون، وكان رد فعلها المباشر خطأ، ولذلك يجب أن تعلن أسفها على ذلك، والذي قاله دارون في كتابه الشهير أصل الأنواع أن الإنسان أصله قرد مخالفًا بذلك ما جاء في الكتاب المقدس الذي قال إن الإنسان أصله آدم. وإن الله خلق الدنيا في ستة أيام واستراح في اليوم السابع!

ولم يجد الحفيد حرجًا في أن يقول إن هذا الاعتذار جاء بعد ميلاد دارون بمائتي سنة وإنه لا معنى له ولا قيمة ومن الأفضل أن تبلع الكنيسة اعتذارها. فالعالم دارون أعظم وأكبر من أي اعتذار..

ولكن الكنيسة قالت إن اعتذارها هذا يشبه اعتذار البابا يوحنا بولس الثاني عن محاكمة جاليليو سنة 1633، فقد قال جاليليو: إن الأرض تدور حول الشمس.. بينما كانت الكنيسة ترى أن الشمس هي التي تدور حول الأرض؟!

وفي أمريكا ثورة تربوية: هل تدريس نظرية دارون حرام أم حلال، أي هل نظرية التطور حلال أم حرام؟ وكان الرد أن من حق كل تلميذ أن يعرف رأي الدين ورأي العلم.. ولا حجر على حرية التفكير فمن

شاء آمن بما جاء في الكتاب المقدس، ومن شاء آمن بما جاء به داروين في نظريته المعروفة..

ومن الغريب أن السيدة سارة بولين المرشحة نائبة للرئيس الأمريكي قد أعلنت بمنتهى الوضوح أنها من أنصار داروين وأن نظريته يجب أن يدرسها الطلبة، فلا قيود على حرية التفكير.. وهذا يؤكد أن اختيار سارة بالين في غاية الذكاء فهي متعددة الألوان وترضي قطاعات كثيرة في المجتمع الأمريكي!

نابليـــون
إلـى الأبـــد!

أنا معجب بالثقافة الفرنسية.. وقفت أخيرًا في إحدى المكتبات أمـام فترينة صغيرة عليها 18 كتابًا جديدًا عن نابليون. هل هذا معقول؟ إن الكتب التي صدرت عن نابليون بالألوف. ولكن الفرنسيين لا يزالون يجدون الجديد في حياة نابليون. أية حياة هذه التي لا أول لها ولا آخر.. حتى رئيس وزراء فرنسا دي فيلبان وهو أديب وشاعر قد أصدر كتابًا عن حكم (المائة يوم) أي بعد هروب نابليون ثم عودته إلى فرنسا.. وهناك عشرات الكتب في هذا الموضوع أيضًا..

وقد قرأت في كتابه عشرات الصفحات.. إنه بديع الأسلوب ذكي النظرات عميق اللفتات.

هل هو التاريخ غني أو هم المؤرخون أغنياء؟ ثم إن لهم شهية منفتحة على كل شيء قديم يعيدون التفكير فيه، والبحث والتنقيب والنبش والتفسير.

وما من مرة أدخل مكتبة في باريس إلا أجد شيئًا جديدًا عن الحضارة الفرعونية. كيف؟ وأين؟ وما هذا العشق الذي لا يبلى؟!

إنهم ينظرون إلى ما ننظر ولكنهم يرون ما لا نرى. إن التاريخ تاريخنا ولكنهم أكثر فهمًا وعلمًا وانفتاحًا..

مثلًا: الكتاب البديع الذي كتبه دي فيلبان عن حكم (المائة عام) موضوع قد تناوله عشرات المؤرخين كبارًا وصغارًا، واختلفوا مع وضد نابليون بمن فيهم الأديب العظيم فيكتور هيجو - ولكن المؤلف دي فيلبان اتخذ أسلوبًا جديدًا في التناول والفهم والسرد والتسلسل. إنه أديب ومؤرخ منصف وعاشق وفرنسي مائة في المائة..

وإذا كانت مصر الفرعونية هي هدية فرنسا، فلا يزال هذا رأي الفرنسيين؛ لذلك كان هذا السيل من الكتب الرائعة!

أشــــرف
المليجـــــي

أصبح الأطباء كالصحفيين لا يحتفظون بسر وإنما يتحدثون عن مرضاهم وماذا أصابهم وإن كان من الممكن أن يصيبهم. ولا يدري المريض المسكين أنه حديث المدينة.. إلا اثنين من الأطباء.

الأول د. أشرف المليجي وهو أشهر مدير مستشفى في الشرق الأوسط. وإنه رجل يخدمك بعينيه ويختار لك الطبيب ويحجز لك المواعيد. وتفاجأ بأنه في دبي وليس في القاهرة. فهو موجود عند الطرف الآخر للتليفون في أي وقت. وتسأله عن فلان وعن مرض علان فلا يرد. ولايقول مهما حاولت أن تعرف ما الذي كان يعانيه الوزير والخفير والكاتب الكبير ثروت أباظة وتوفيق الحكيم وأحمد هيكل ود. مصطفى خليل. ولا كلمة! وقد كان أخي – رحمه الله – واحدًا من هؤلاء الأربعة احترامًا للموتى والمرضى وآدمية المريض لأنه يوم تخرج في الجامعة أقسم ألا يفشي سرًا..

والثاني هو أ.د جعفر رجب، وتربطني به صلة عائلية قوية وهو يسبب لنا حرجًا يوميًا. فكثير من أصدقائنا وأقاربنا مرضاه. ويلوموننا كيف لا نسأل عنهم. فنقول: إننا لا نعرف ولكن د. جعفر يعرف. ويكون الرد أنه أقسم ألا يذيع سرًا. فلا يذكر أسماء مرضاه ولا ماذا أصابهم. وحاولنا عشرين عامًا. ولكنه أقسم على الكتمان،

ويندهش الناس ويتحدثون عن أطباء آخرين يفضحون الدنيا ويتسلون على مرضاهم. كيف كانوا وأين ذهبوا وماذا أصابهم. وماذا حدث لأولادهم وزوجاتهم. ومن الذي يسأل ولا يسأل عنهم من المسئولين في الدولة!

سلام كبير للذين يحترمون خصوصية المريض وحرمة الموتى!

ثــــم
المحمــول!

أوروبا وأمريكا تنعم بهواء نقي في كل الأماكن العامة، فالتدخين ممنوع. ومن المظاهر المألوفة أن تجد تجمعًا من الناس يجعلك تتخيل أنها مظاهرة لأناس عصبيين، يدخنون ويشربون القهوة. والحقيقة أنهم موظفون خرجوا إلى الشارع يدخنون، وأن بعضهم يشرب القهوة لأنه ممنوع شربها في المكاتب، وهناك اتجاه إلى تحريم التدخين في الحواري الضيقة لأنها خانقة وضارة!

هل نقص عدد المدخنين في العالم.. هل أدى إلى نبذ المدخنين وحشرهم في مكان واحد يصابون فيه بمزيد من الضرر؟ وعلى الرغم من أنه مكتوب على علب السجائر أنها ضارة بالصحة، فالأمر متروك للمدخن أن يختار المرض الذي يعجبه في الوقت غير المناسب.

وجاء الدور على التليفون المحمول، فعلماء يؤكدون ضرره على المخ، وضرره المؤكد على الأطفال، فكلما طال استخدامه زاد احتمال الإصابة بالمرض، وشركات المحمول تدفع عددًا من الباحثين لكتابة مقالات تطمئن الناس وهيئات الأبحاث ترد على هؤلاء المأجورين بأن المحمول ضار بعد عدد معين من الدقائق لاستعماله، ولكن هذه النتائج لم تفلح حتى الآن في تخويف الناس من الإسراف في استخدام المحمول ليلًا ونهارًا، وسوف يجيء الوقت للاقتصاد في استخدامه.

تبقى مشكلة أخرى وهي أعمدة تقوية الإرسال والاستقبال للبث من التليفون وإليه. هذه الأعمدة فوق الأسطح، ولها مجال مغناطيسي قوي ضار، هذا رأي المؤسسات العلمية التي ليست لها مصلحة، ولكن شركات المحمول تدفع بعلماء آخرين أن يناقشوا وأن يعارضوا وأن يطمئنوا، وكما أن السجائر احتاجت إلى سنوات طويلة لمقاومة أضرارها فسوف يلقى المحمول الممتع والمفيد سنوات أطول لمقاومة إغرائه وأمراضه أيضًا!

إعلانـــــات
مستفـــزة

طبعًا شيء يغيظ كل من يتابع المسلسلات أو البرامج. الذي يغيظ هو الإعلانات التي تجعلك تنسى تسلسل الأحداث – أين انتهت وأين ابتدأت. وخصوصًا إذا كانت الإعلانات متنوعة وطويلة، ولكن الإعلانات فلوس.. فصاحب المسلسل أو صاحب البرنامج يريد أن يعوض تكاليفه وأن يكسب. وهو يرى في زحمة الإعلانات ما يؤكد نجاحه ونجاح المسلسل وقوة جاذبية أبطاله. أما المشاهد فيجيء في الدرجة الثانية!

وقد سمعت اقتراحًا للوزير رشيد محمد رشيد أنه يمكن أن تبقى الإعلانات بشرط رفع سعرها فتقل دقائق العرض. وبذلك يكسب التليفزيون ويستريح المشاهد، بمعنى أن الدقيقة إذا كانت بعشرين ألفًا فليكن هذا سعر نصف الدقيقة. وهكذا يزيد السعر وينقص وقت العرض. وقد كان هذا حال الصحف عندما كانت تعاني أزمة الورق. فقد أنقصت عدد الصفحات ورفعت سعر الإعلانات حتى لا تشغل مكانًا كبيرًا فتترك مجالًا كافيًا لصفحات التحرير.

ولقد ظهرت الحروف الصغيرة في الصحف بسبب أزمة الورق.. فصغرت الحروف وصغرت الأبواب. وصغرت الإعلانات وكسب الجميع.. الصحيفة كسبت الإعلانات ونقص الورق. وبقيت الإعلانات

كما أرادهـا أصحابها.. ولكن الإعلانات بهذه الصورة الاستفزازية تفسد على المشاهد متعة المتابعة، فلا يستطيع أن يربط بين الأحداث. ولذلك امتنع كثيرون عن المشاهدة؛ لأنها مقلقلة منرفزة ولم نعد نعرف إن كان الأصل هو الإعلان وبعد ذلك يجيء المسلسل أو البرنامج مكملًا لذلك. أغلب الظن أنه كذلك!

أصلهـــا
فصيــح..

وهذه كلمات عامية ولكن بعضها فصيح:

نقول فلان (ملحلح) ونقصد أنه شاطر ذكي. وهي أصلها محلحل ومعنى هذه الكلمة أنه سيد الناس ويتقدم عليهم.

ونقول طعام (مسلوء) وهي فصيحة.. والفعل سلأ يسلأ.. أي يطهو الأرز بالزبدة أو بالدهن..

ونقول فلان (مريش) ونقصد أنه غني.. وهي فصيحة.. فالفعل راش يريش، أي صار ثريًا..

ونقول في أمثالنا وأغانينا: (مرمر) زماني يا زمان مرمر.. وهي فصيحة. والفعل مرمر أي غضب أو كان قاسيًا عليك..

ونقول (ملظلظ) واللظلظة وهي كلمة فصيحة بمعنى بدينة.. ونقول فلان (فتك) من الفتاكة أي قوي لا يبالي..

ونقول خرج (يعط) وهي كلمة فصيحة ومعناها أنه يقطع الشوارع طولًا وعرضًا. وليس له هدف..

ونقول (إيش) جابك. ومعناها أي شيء أتى بك؟

ونقول فلان (انشكع) والكلمة فصيحة ومعناها أنه كان سعيدًا مرفوع الرأس..

ونقول فلان (سكع) فلانًا. وهي فصيحة والمعنى أنه ضربه. ومن الكلمات غير العربية كلمة قفطان. وهي تركية مأخوذة من كلمة خفطان الفارسية..

ونقول (كبريت) وهي كلمة قديمة جدًا من اللغة الأكادية. وهي مأخوذة من الكلمة الآرامية كوايهريتا..

وكلمة خديو بفتح الخاء أو بكسرها وهي فارسية، ومعناها سيد.. خديو مصر أي سيد مصر..

ثــــلاث
سيــداث فــوق!

الشكل السياسي في إسرائيل مختلف. رئيسة الوزراء تخرجت في كلية الحقوق. وعملت سنتين في المخابرات وعشر سنوات في المحاماة والباقي وزيرة للخارجية ولها في ذلك تجارب واسعة. وهي أم لولدين وزوجها صاحب شركة إعلانات. وحياتها عادية ومستقرة.

ممكن أن يصبح على رأس إسرائيل ثلاث سيدات: رئيسة المحكمة العليا دويت ناميش ورئيسة الكنيست داليا إبسك وأخيرًا تسيبي ليفني رئيسة الوزراء.. ومن يدري ربما ظهرت امرأة رابعة لا بد من التعامل معها في العام المقبل، وهي السيدة سارة بالين نائبة المرشح ماكين.. فاذا مات فهي أول رئيسة لأمريكا..

جاءت من مدينة صغيرة كانت عمدة لها ثم حاكمًا لكل الولاية الصغيرة التي هي ألاسكا.

ولا بد أن يكون الشرق الأوسط من أهم القضايا. صحيح أمريكا تعاني أزمة تهدد عرشها على الكرة الأرضية، ولم يحن الوقت بعد لمعرفة كيف حدث هذا الانهيار في أمريكا وفي بنوك وشركات أخرى في أوروبا وآسيا. وكم تستغرق هذه المأساة العالمية من الوقت والجهد والانشغال عن الشرق الأوسط والبترول والنشاط النووي في

إيـران والقضية الفلسطينية. وسوف يـؤدي كل ذلـك إلـى غضبة فلسطينية وانتفاضة عنيفة ضرورية أو لا ضرورة لها.. أما الضرورية فهي ضد إسرائيل واليهود أينما كانوا.. وربما ضد مصر أيضًا. والتي لا ضرورة لها هي ضد النصف الآخر من فلسطين. وبذلك نسهل على إسرائيل ألا تفعل أي شيء إلا الدفاع الرادع عن نفسها. أما القضية فموعدنا سنة 2013 وما ذلك ببعيد!

أنـــــا:

قاضيًـــا؟!

أحد الزملاء حشر اسمي واسم د. زاهي حواس في قصة الفنانة سوزان تميم، ولم أعرف إن كان يريد أن يرفع من قدري بين الجمال والمال، أو يسيء إلي.. لقد قال إنه في يوليو الماضي كنت في يخت للأمير عبد العزيز بن فهد، واليخت احترق، وجاء يخت آخر، ومن المؤكد أنه لا يعرف الأمير عبد العزيز بن فهد، وهو شاب مثقف ويحيط نفسه بالأدباء والعلماء والفنانين، وهو شاب مؤمن ولا علاقة له بسوزان ولا بأي واحدة من نفس النوعية، ومن المؤكد أن الزميل لا يعرف ذلك، وقال إن الأمير قام بعملية تجميل في أسنانه وأنا أيضًا..

وقال إنني كنت أرتدي عباءة وأجلس للقضاء والفتوى بين سوزان تميم وعمرو دياب. أما عمرو دياب فأنا أعرفه ومعجب به، وقد دعاني إلى بيته مرة واحدة مع د. زاهي حواس.

والقصة كلها غير صحيحة فأنا في شهر يوليو كنت في مارينا، ولم أسافر خارج مصر إلا في نهاية شهر أغسطس، ولم أر الأمير عبد العزيز ابن فهد الذي عاد إلى المملكة السعودية في أول أيام رمضان.

فما معنى هذه الأسطورة التي خلقها وأضافها إلى غراميات سوزان تميم التي لا أعرفها ولم أرها في حياتي، ولا أعرف جميع الناس الذين لهم علاقة بها في مصر أو لبنان أو دبي؟

وأنا أقول للزميل الذي فبرك هذه القصة إنني مستعد أن أساعده على اختراع قصص أخرى عني، ولكن بصورة أفضل وأسلوب أجمل.. وهو كلام في كلام.. ونحن لا يضايقنا الكلام، نقوله أو يقال عنا.. فقل يا سيدي ولا تخف!

أحـــدث
ألعـاب العيـال!

مكالمات الإسعاف والاستغاثة 99٪ منها لعب عيال أي 1٪ أو 2٪ فقط هي التي تستحق الالتفات إليها. منتهى العبث والسفالة. ولا نعرف كيف يمكن أن أتصور هؤلاء المستهترين.

وليس في مصر فقط نعبث ونسخف، بل في الخارج أيضًا. أذكر أني كنت في سويسرا وقال لي أحد المسئولين بأن الذين يعبثون في أجهزة قياس الوزن في الشوارع مصريون فقد وجدنا بها عملات مزورة، هذه العملات وضعها المصريون!

وفي مدينة جراتس بالنمسا وقعت فضيحة ليس لها مثيل في تاريخ المدينة، فمن عادة الأوروبيين أن يملئوا البحيرات بالإوز الجميل ويحتفلوا به وإطعامه ويتبارى الأطفال في ذلك ويكتفون بالنظر إليه وتصويره.. وقد لاحظوا أن عدد الإوز يتناقص. فلا بد أنهم الأجانب؛ لأن الأوروبيين لا يذبحون لا الإوز ولا الحمام. وهاجموا بيوت المصريين.. وعرفوا أنهم يستدرجون الإوز ويخفونها في ملابسهم، ويأكلونها ويتفننون في إخفاء الريش!

والسجن كان العقاب وخطابات إلى الجامعات التي يدرسون فيها وإلى الشركات التي يعملون بها.. وكان لا بد بعد ذلك من تركهم للمدينة والجامعة والهروب إلى دولة أخرى؛ لأنه من الصعب أن يجدوا عملًا في النمسا.

إنها مسألة أخلاقية، وليست فقط اعتداء على القانون.. **وإنما** تخريب وعدوان على الإنسان والحيوان. وفي نفس الوقت عمل انتحاري؛ لأن العقاب شديد..

وكذلك الذين يعبثون بالتليفونات يستحقون العقاب الرادع.. **ولا بد** من وسيلة لمعرفة هؤلاء المارقين الهدامين!

كـــان سابقًـــا لعصـــره!

أجمل ما قاله د. صلاح قبضايا في كتاب (سادات 73) الذي صدر عن المركز الإعلامي العربي: يبدو أننا لم نقدم لشهيد مصر الكبير أنور السادات ما يستحقه من تقدير رغم أن ما يقع الآن على الساحة العربية خاصة في فلسطين، يؤكد كل يوم أن هذا الشهيد العظيم قد سبق عصره وبذل دمه في سبيل ذلك..

وأظن أننا نتفق على ضرورة التصدي لما يخرج به علينا الجاهلون والمتشدقون بشعارات جوفاء تستهدف ذكرى رجل شجاع اتخذ أصعب وأخطر القرارات في تاريخنا، وكان بالفعل بطلًا للحرب والسلام وأشجع من استشهد في سبيل رسالته.

أما كتاب د. صلاح قبضايا فبدايته غير مشجعة بالنسبة لواحد نباتي مثلي، فهم جماعة من الشبان ينتظرون من يأتي لهم بالكباب والكفتة. ورائحة هذا الطعام تصيبني بالغثيان.. ولكن هذه المحنة لا تستغرق إلا صفحات قليلة وبعدها نلهث وراء المؤلف الذي جمع معلومات مثيرة ونادرة عن الاستعداد لحرب أكتوبر..

وهي تؤكد عظمة السادات في إدارة كل هذه المعارك في جميع الجهات، يدخل في خدعة ويخرج منها إلى خدعة أخرى.. ونندهش كيف استطاع المؤلف أن يجمع كل هذه المعلومات الموثقة التي لن

تأخذ في قراءتها أكثر من جلسة. وأشك في أن يعرف الكثير منها الذين حاربوا من الجنود والضباط والتي أذهلت إسرائيل وأبكت جولدا مائير رئيسة الوزراء. إذ كيف استطاع وكيف خاب أملهم وفشلت كل محاولاتهم في معرفة ما يدبره السادات..

وخلاصة الكتاب البديع تؤكد عبقرية السادات وبراعة المؤلف ومتعة القارئ!

كـــان يكتـــب بالفحـــم؟!

المثـل الشعبي يقول: الغزَّالة (بتشديد الـزاي) تغـزل برجـل حمـار – أي البارعة في الغزل تستخدم أية أداة. ولاشيء يوقفها عن عملها..

وقد جاء في مجلة (الآثـار) عن حياة بلدياتي العظيم علي باشا مبارك أنه عندما طلبوا إليه أن يضع مشروعًا لتعليم الضباط فبدلًا من أن يقترح تعيين عشرات المعلمين، قرر أن يقوم هو شخصيًّا بتعليم الضبـاط.. ولم يكن لديهم سبورة فكان يكتب بالفحم على البـلاط.. وكـان يكتب بإصبعه على التراب أو على الرمـال.. وفي النظريات الهندسية لم يكن هنـاك وسائل تعليميـة أو أدوات تساعـد على الشـرح ولـذلك كان يستخدم أغصـان الأشجار والحبال في تصور النظريات الهندسية!

وقد لجأت إيـران في محو الأمية إلـى ما يشبه ذلـك؛ فقد كـان الموظف لكي يترقى سلمه الوظيفي يلجأ إلى تعليق السبورة في غصن الشجرة ويجلس الطلبة حولها.. حتى استطاعت إيران بهذه الأدوات البسيطة أن تمحو أمية نسبة كبيرة جدًّا من شعبها..

أمـا النظرية الفريدة فهي التي استخدمتها كوبا.. فقد أغلقت الجامعات والمدارس لمدة سنة وأطلقت المعلمين صغارًا وكبارًا إلى محو أمية الشعب، فتحقق لها ذلك في سنة واحدة!

وكان من رأي علي باشا مبارك الذي اضطهده سعيد باشا حاكم مصر لأسباب غير واضحة. فلا يكاد يضعه في مكان حتى يعزله. ثم يعود فيضعه في مكان ومكانة صعبة، ثم يعزله فهو مُصر على هذه السخافة، وعلي باشا مبارك مُصِرٌّ على أن يؤدي واجبه في تعليم الشعب المصري من أي موقع.. هو يؤكد عظمته وسخافة الحاكم وأنه لا أحد يستطيع أن يمنعه من أداء رسالته التربوية المقدسة!

ولــم تحتــرق الأرض!

عندما استطاع اثنان من العلماء من سبعين عامًا (شطر) النواة أو تقسيم النواة.. فقال علماء: إن هذا سيؤدي إلى نهاية العالم.. لأن شطر النواة سوف يـؤدي إلـى انطلاق طاقة محبوسة في النواة.. وانشطرت النواة ملايين المرات ولم يحدث شيء.. وإنما الذي حدث هو إسقاط قنابل ذرية على هيروشيما ونجازاكي ولم تحترق الكرة الأرضية!

وكان من المفروض أن ينتهي العالم يوم الأربعاء الماضي؛ لأن خمسة آلاف عالم من 25 دولـة قاموا بتجربة فريدة رهيبة تحت الأرض الفرنسية السويسرية حيث يوجد أكبر وأعقد جهاز نووي صنعه الإنسان.. والمهمة بسيطة جدًا: إنهم يريدون أن يعرفوا كيف خلق الله هذا الكون.. وهناك نظرية تقول إن ذرة انفجرت من 13 ألف مليون سنة، ومن هذه الذرة خرج كل ما في الكون من نجوم وسدم وطرق لبنية ونيازك وغـازات وتراب ومـاء.. ولا يزال الكون يتباعد بعضه عن بعض إلى أين؟ لا نعرف.. وإلى متى؟ لا نعرف.

وتمت التجربة التي استغرقت واحدًا على ألف مليون من الثانية! وفرقعت زجاجات الشمبانيا والأحضان والقبلات.. لقد نجحت التجربة ولم ينته العالم.. أما التجربة فهي إطلاق ذرات على ذرات

بسرعة الضوء.. ويؤدي هذا التصادم إلى ارتفاع درجة الحرارة من الصفر المطلق (أي 273 درجة مئوية تحت الصفر).. إلى درجة ثلاثة آلاف مليون مئوية.. وبعد هذا التصادم سوف يبدأ العلماء في البحث سنوات!

ولم نسمع نحن في مصر هذا الانفجار العظيم بسبب أحجار الدويقة.. وأغنيات وحوي يا وحوي جيت يا رمضان!

العـــودة
إلـــى الزجـــاج..

البلاستيك ضار.. هذا ما اهتدى إليه الذين اخترعوا البلاستيك واستخدموه بدلًا من الورق، وتتنافس الشركات في أشكال الأكياس البلاستيك، التي يضع فيها الزبائن مشترياتهم. وفجأة قررت محلات (ماركس واسبنسر) البريطانية العدول عن مئات ملايين الأكياس والشنط البلاستيك التي يؤدي إحراقها إلى هواء سام قاتل. وقدمت نموذجًا لما يجب أن تفعله المحلات الكبرى الأخرى التي سارت وراءها؛ إيمانًا منها بصحة نظرية البلاستيك السام..

شيء آخر.. أننا نقوم بتعبئة عسل النحل في برطمانات من البلاستيك. والعسل قادر على التأثير في البلاستيك وإذابته في العسل.. فيكون السم عسلًا والعسل سامًا. وتحولت شركات العسل إلى استخدام البرطمانات الزجاجية. والشركات قد لجأت إلى البرطمانات البلاستيك لأنها أرخص وغير قابلة للكسر. ولكن من المؤكد أن الدخان المنبعث منها عند إحراقها سام. وأنها إذا سقطت لا تنكسر ويتغاضون عن أضرارها المؤكدة!

وقد قامت الهيئات الصحية بعرض تجارب بسيطة أمام الملايين في التليفزيون في كيفية قدرة عسل النحل على التأثير في جدران البرطمانات البلاستيك، وقد عدلت شركات عسل النحل نهائيًا من

العبوات البلاستيك لأضرارها المؤكدة، ولكننا في مصر لا نزال نحرص على البلاستيك ونرفض الزجاج، وقد ذهبت شركات الأدوية أيضًا إلى العدول عن البلاستيك إلى الزجاج لنفس السبب، وأعلنت إحدى شركات الأدوية الكبرى أنها أعدمت ثلاثين مليون برطمان. وفي ذلك إعلان عن مدى حرصها على صحة المستهلك مهما تكن خسارتها!

.. إلا
الذبـــــاب!

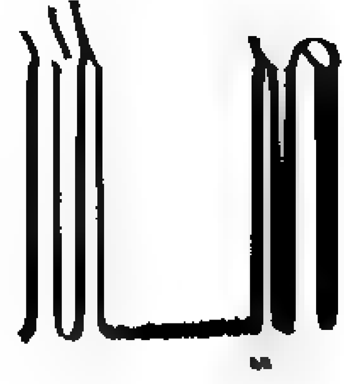
جاءني من أ.د.محمد حامد أستاذ طب الأطفال والرئيس السابق للأكاديمية الطبية أنه عمل تحت رياسة أ.د.عبدالغني وشاحي وهو أخ فاضل وأستاذ عظيم سبق عصره في مجال تغذية الأطفال. ويرى د.محمد حامد أن د. وشاحي قد حورب في أفكاره البناءة إلى أن توفاه الله.

وأنا أعرف د. وشاحي وكان يدعو إلى نظرية بسيطة وسهلة وهي أن نغير عاداتنا في الطعام بدلًا من أن نسرف في أكل الخبز. فالإنجليز يأكلون البطاطس صباحًا وغداء وعشاء على عكس الفرنسيين والإيطاليين والمصريين. وبذلك نحل أزمة استيراد القمح والذرة والشعير. ونحن نلاحظ الآن أن الأطفال والشبان يفضلون (الشبسي) على الخبز..ولو فعلنا مثلهم لحللنا أزمة القمح... وأطلقت أنا على هذه المحاولة من د.وشاحي: النظرية الوشاحية في البطاطس المقلية.

ود. وشاحي هو المسئول عن انصراف الناس عن نظريته، لأنه أشار إلى نظرية أخرى هي التي صدت الناس عن نظريته، فقد قال إن الذباب بروتين... لحم... وإننا لو اعتصرنا الملايين من الذباب لكان لحمًا سائغًا. وقال إن الصين تأكل الذباب.. ورغم أن كلامه علمي بحت، إلا أنه أصاب الناس بالقرف...

والصين والشعوب الآسيوية تأكل كل الحيوانات لأنها بروتين: الكلاب والقطط والفئران والذباب والثعالب والأفاعي، وكذلك كل أنواع النباتات..

ولم يتسع وقت د.وشاحي إلى أن يخفف من وطأة هذه النظرية (المقرفة) مع أنها صحيحة وصحية علميًا!



العبقريـــة

مع بداية الثورة الصناعية في أوروبـا، دخلنا عصر الآلـة التي تعمل بدلًا من الإنسان وأحسن منه، وأدت إلى تعطيل الأيدي العاملة، وإلى الإنتـاج بالجملة، أي إلى إنتاج أشياء متشابهة تمامًا.. أي أصبح المثل الأعلى للإنتاج الكثرة والتطابق.

بعبارة أخرى نحن في عصر المعلبات أو عصر القوالب..

وانتقلت هذه الصناعة إلى التربية والتعليم، فالمثل الأعلى هو أن يحفظ الطلبة نفس الكتب ليكتبوا نفس الكلام، ولا خروج على النص، مع أن المطلوب هو أن يقرأ الطالب نفس الكتب وأن يفكر ويختلف ويبدع، وأن يخرج عن الصف، وأن تشجعه الدولة حتى لا يكون قالبًا أو معلبًا.

وكثير من العباقرة لم يكونوا قادرين على أن يكونوا معلبات أو قوالب أو (روبوت)، أي إنسانًا آليًا، بل إن الكثير من العباقرة قد اتهموا بالبلادة، فعالم الفيزياء العظيم أينشتين كان عاجزًا عن الكلام حتى التاسعة من عمره، وكاد أبواه يفقدان الأمل فيه، ولكنه لم يستطع أن يقف في الطابور وأن يردد كالببغاء ما جاء في الكتب.

وكل الدول تشكو من نقص العلماء والعباقرة، ولذلك يتخاطفون النابهين الصغار والكبار من بعضهم بعضًا.. وأصبحت مشكلة التربية

والتعليم مقاومة (الإنسان الآلـي).. أي الطالب الذي يشبه الروبوت يكرر ما يقال له دون أن يضيف جديدًا أو يبدع رأيًا أو نظرية.. وأن الدولة يجب أن تلتفت إلى النابهين الصغار وأن ترعاهم وأن توفر عليهم عذاب الحياة اليومية في المأكل والمسكن، وأن تصبر عليهم، فلا أحد يعرف إن كانت العبقرية تنمو بسرعة أو ببطء لأنها طراز مختلف من خلق الله!

بـــل رئيسًـــا لفرنســـا!

أربعة كتب تجاورت في كل مكتبة.. الكتب لها موضوع واحد: حريم الرئيس ساركوزي، ومع الكتب صور الحريم، ولا يرى أحد أن هذه الكتب تشهِّر بالرئيس ولا تعد عليه أخطاءه، ولا تلقي ببقع سوداء على ثوبه الأبيض، ولا تحطم فوانيس الزفة!

فالرئيس نفسه ليس مستاء.. ولا معترضًا.. ولا أحد من الفرنسيين.. فكلها حكايات معروفة لا هو أنكرها ولا هن أنكرنها، فالكل يرى أن الرئيس فرنسي، وهذا طبيعي جدًّا من أي فرنسي، من حقه وفي استطاعته، ويلقى استحسانًا من الناس، لأنه رجل ذواقة يحب الجمال، وفي شوارع باريس هذه اللافتات: إن باريس تحمي الحب!

يعني حب أحد لأي أحد، سواء كان هذا الأحد هو الرئيس أو خادم الرئيس..

والتعليقات على هذه الكتب قليلة، لأنها لا تستاهل التعليق، فالناس يعرفونها، وفي الأسواق اليوم أغان لزوجة الرئيس السيدة كارلا بروني، أهم ما في الألبوم الجديد أغنية تقول: كأن شيئًا لم يكن. بالصدق والأمانة، صوتها جميل وأداؤها رقيق، وهذا يضاف إلى حسابها أنها فنانة، ويضاف إلى حسابها أنها مصرة على أن

تظل فنانة، فالفن موهبة والزواج من الرئيس حظ وبخت، والرئيس لا اعتراض له على أن تظل زوجته فنانة؛ لأنه هو أيضًا يحب الفن الرفيع والذوق الرفيع والجمال، جمال الصوت والكلمات والمخلوقات.

هززت رأسي عندما سمعت من يقول حولي: لو لم أكن مصريًا لتمنيت أن أكون فرنسيًا.. رئيسًا لفرنسا!

الظلم والظلام: صناعتنا

منذ أيام احتفلنا بذكرى العاشر من رمضان، ذكرى انتصارنا على إسرائيل. واليوم يصادف أيضًا مرور ثلاثين عامًا على توقيع إطار معاهدة السلام التي تم التوقيع عليها في البيت الأبيض يوم 26 مارس سنة 1979. وكان ما كان مما يجعلنا لا نزال نخجل من أنفسنا من موقف العرب من مصر ونقل الجامعة العربية إلى تونس وإخراج مصر منها.. وأعتقد أن العرب يجب أن يخجلوا مرة أخرى لأنهم منذ ذلك الحين لم يحققوا شيئًا، لا استردوا الأرض ولا نشروا السلام.

ولا في استطاعتهم أن يرقصوا وأن يزمروا ويطبلوا في بيروت ودمشق وليبيا عندما اغتيل السادات. اغتاله عسكريون مصريون حقق لهم النصر الذي لا يريدونه، وإنما يريدون الذل والهوان والبكاء على الذي كان..

ومن عجيب أمر المصريين أنهم يغضبون لأن إيران هاجمت السادات وقالت مات الفرعون.. مع أن المصريين قد هاجموا السادات في تليفزيون الدولة في المسلسلات كما لم تفعل أي دولة أخرى اختلفت معه في الرأي.. هاجمناه في شخصه وهاجمنا الانفتاح، وهاجمنا نصر أكتوبر واعتبرناه جريمة واعتبرنا وكسة 67 انتصارًا بكل المقاييس؟!

والمصيبة أن بيننا من يصدق هذا الهذيان.. تمامًا كما صدقنا أن عبدالناصر هو أول رئيس لمصر، وكان الرئيس محمد نجيب حيًّا لا يرزق.. لا يأكل ولا يشرب ولا يمشي في جنازة زوجته وابنه وإذا ذبح خروفًا في العيد كان عليه أن يدفنه في نفس المكان.. وكانت الكتب المدرسية تقول ذلك أيضًا؟!

وقد أسرفنا في ظلم أول رئيس لمصر وآخر ملوك مصر، فالظلم والظلام صناعة مصرية!

السعـــادة
عندهـــــم..

استفتـاء فـي بريطانيـا عـن سعـادة طـلاب الجامعـات الخاصـة وتعاستهم.

السعادة أن يجدوا الأساتذة وأن تكون بينهم علاقة شخصية.. والتعاسة أن يوجد الطلبة ويغيب الأساتذة، ولكن لأسباب غريبة عنا...

فالطلبة في مصر أعدادهم هائلة ولا مكان لهم في المدرجات والقاعات ولا في عقول وقلوب الأساتذة، ويستحيل أن تكون بينهم أية علاقة شخصية، فالأستاذ إن كان طبيبًا أو مهندسًا أو محاميًا أو محاسبًا ليس عنده وقت، فهو يجري من عيادة إلى مستشفى أو من مكتب إلى مؤسسة، ولا يجد لا وقتًا للنوم ولا وقتًا للقراءة، وإن كانت له كتب فكثيرة وغالية وقد لا يجيء الامتحان منها، ولا بد من الدروس الخصوصية، وإذا تخرج الطلبة فالأمل في العمل قليل، والهجرة صعبة.. أما شكوى الطلبة الإنجليز في أربعين جامعة أهلية عظيمة الاحترام، فهي أن الأستاذ مشغول بأبحاثه أكثر من انشغاله بالطلبة، أي أنه مشغول بسمعة الجامعة ومكانتها الدولية بين الجامعات الأحسن بحثًا وإبداعًا، ثم إن التعليم هناك له معنى مختلف، فالأستاذ يشير بأصابعه أو بيده كلها إلى الكتب والأبحاث التي تساعد الطالب على التفكير المستقل وليس على الالتزام الحرفي بما كتبه الأساتذة!

والمعادلة الصعبة هي أن يختصر الأساتذة من ساعات البحث ويضيفوها إلى ساعات المحاضرات والمناقشة الشخصية مع الطلبة، بعض الأساتذة يرى ذلك ضروريًا، ولا تستطيع إدارة الجامعة أن تعرض على الأستاذ أو حتى على الطالب حلًا وسطًا!

والأساتذة سعداء بتفرغهم للبحث والطلبة تعساء بانفرادهم بالبحث دون توجيه من أحد.. والصور والتماثيل على الجدران لرموز التقدم في العلم والفكر لعظماء اعتمدوا على أنفسهم أكثر من اعتمادهم على الأساتذة!

مع من
تتفاوض!

لم يكن مناحم بيجين يهزل عندما قال للرئيس السادات: أنا كمحام إذا ذهبت إلى المحكمة وسألني القاضي إن كان معي توكيل من موكلي، فأقول: نعم.. وأقدم له التوكيل. فهل معك توكيل من الشعب الفلسطيني لتترافع عنه!

ولولا السلام مع إسرائيل ما وقفنا بين إسرائيل وفلسطين نسمع من هنا ونقول ونسمع من هناك ونقول. ولكن جماعة حماس يرون أننا نخفي عنهم الكثير. وأن وجهة نظرنا هي وجهة نظر إسرائيل. وأن الهدف من كل هذه المفاوضات هو أن يرى الناس أن مصر لها دور وأنها ليست على الهامش وأنها قادرة على أن تحل وتربط. وبس!

أي مصر تعمل لحسابها ويمكن القول إنها تعمل لحساب إسرائيل. وبعض أقطاب حماس إذا جلسوا إلينا لا يعرفون إن كنا نتكلم العربية أو العبرية؟!

وعلى كل حال فإن القضية الفلسطينية مؤجلة سنوات، فإسرائيل لها وزارة قادمة متشددة، فالرئيسة الجديدة لكي تؤكد أن لها خبرة في السياسة والإدارة سوف تتشدد. ثم إن الحزب الديني الذي سوف يشارك في الحكم يرفض رفضًا تامًّا ذكر اسم القدس. والحزب يرفض ذكر الاستيطان والعودة.

ولا تعرف فلسطين هل تختار لها رئيسًا أو رئيسين. وفي هذه الحالة لا نعرف مع من تتفاوض..

وأمريكا عندها مشاكل لا حل لها إلا بخراب الدنيا. وليس عندها وقت لا العام القادم ولا الذي يليه.. ثم العام الثالث يتفرغ فيه الرئيس للدعاية لعله يجيء إلى البيت الأبيض مرة أخرى.

ولن تجد فلسطين من توكله عنها في هذه القضية؟!

ميـــلاد العبقريـــة

مع بداية الثورة الصناعية في أوروبـا، دخلنا عصر الآلـة التي تعمل بدلًا من الإنسان وأحسن منه، وأدت إلى تعطيل الأيدي العاملة، وإلى الإنتاج بالجملة، أي إلى إنتاج أشياء متشابهة تمامًا.. أي أصبح المثل الأعلى للإنتاج الكثرة والتطابق.

بعبارة أخرى نحن في عصر المعلبات أو عصر القوالب..

وانتقلت هذه الصناعة إلى التربية والتعليم، فالمثل الأعلى هو أن يحفظ الطلبة نفس الكتب ليكتبوا نفس الكلام، ولا خروج على النص، مع أن المطلوب هو أن يقرأ الطالب نفس الكتب وأن يفكر ويختلف ويبدع، وأن يخرج عن الصف، وأن تشجعه الدولة حتى لا يكون قالبًا أو معلبًا.

وكثير من العباقرة لم يكونوا قادرين على أن يكونوا معلبات أو قوالب أو (روبوت)، أي إنسانًا آليًا، بل إن الكثير من العباقرة قد اتهموا بالبلادة، فعالم الفيزياء العظيم أينشتين كان عاجزًا عن الكلام حتى التاسعة من عمره، وكاد أبواه يفقدان الأمل فيه، ولكنه لم يستطع أن يقف في الطابور وأن يردد كالببغاء ما جاء في الكتب.

وكل الدول تشكو من نقص العلماء والعباقرة، ولذلك يتخاطفون النابهين الصغار والكبار من بعضهم بعضًا.. وأصبحت مشكلة التربية

والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه - لم يتعبوا من الكلام.. لأن الذي نقوله ليس كلامًا.. وإنما فراغ له صوت.. وصدق الكاتب السعودي الذي قال: العرب ظاهرة صوتية.. أي مثل صوت السعال.. والعطس وأصوات أخرى!

هل أحكي أسماء الأجنحة العربية الدائمة في معرض فرانكفورت وماذا تقدم سنويًا من الكتب؟ لا داعي.. فلا هي تأليف.. ولا هي نشر.. ولا هي ثقافة.. فسخافتها وركاكتها وتخلفها وتخلفنا وانحطاطنا معرضًا بعد معرض وجيلًا بعد جيل أكبر دليل على أنه لا أمل!

هبلونـــا
بهـــذه الأسمـــاء!

جميلة جدًا يا فرنسا وحلوة جدًا هذه البلاد.. ومن يوم تحدث عنها طه حسين والحكيم والصاوي محمد والتابعي وحسين فوزي هبلونا بالأسماء التي لها سحر خاص: كافيه دلابيه.. فوكيه.. شانزليزيه.. الحي اللاتيني.. سان جرمان دي بريه.. سان ميشيل.. والجمعية الوطنية وأسماء الشعراء والأدباء والفنانين.. بيكاسو وسارتر والمكتبات وما لا نهاية له من الأسماء، وأجمل ما في فرنسا: الحرية.. الهواء يتنفسه الجميع ويملأون به زجاجات العطور ويصدرونه إلى الدنيا.. ويجعلونها أحمر شفاه وورد الخدود وكعوبًا عالية وحقائب وأحذية وساعات وكتبًا.

لقد كتبوا وأطالوا عن غراميات الرئيس ميتران.. ولا كلمة من الرئيس ولا من أهل الرئيس: الرجل أحب الجميلات وقلن إن سحره لا يقاوم.. ويوم قدم ابنته غير الشرعية للناس كانوا جميعًا يعرفون.. ولكن أحدًا لا يتحدث عنها لأنها حرية شخصية!

والتاريخ يعيد نفسه، فالرئيس ساركوزي أحب وتزوج فتاة إيطالية تغني، وظهرت لها صور عارية لينشروها عند زيارته الرسمية لملكة بريطانيا، ولا كلمة من الرئيس، ولا من الزوجة، ولا من الحكومة الفرنسية.. وظهرت كتب عن حريم الرئيس، وعن عشاق السيدة الأولى، ولا كلمة!

وبالأمس ظهرت روايـة لأحد عشاقها يحكي ما كان، ويعترف بأنها تركته واتخذت ابنه عشيقًا لها.. الرجل وسيم والابن جميل.. إنها المرأة (الحريرية والحديدية) أيضًا.. ناعمة كالحرير وباردة كالحديد.. لها عقل ولا قلب لها!

وظهرت الزوجة السابقة سيسليا التي رفضت أن تكون السيدة الأولى وعادت إلى عشيقها، واليوم تشكو من ساركوزي، فقد فصله من عمله، فقرر الزوجان الهجرة من فرنسا ليلًا ويعيشان معًا في دبي!

لا
معجـــزات!

يجب أن نبتعد عن المعجزات - أي اجتماع الـوزراء أو رئيس الوزراء مع عدد من الخبراء لمدة نصف ساعة أو حتى الساعة من أجل إصلاح التعليم أو البحث العلمي أو إعـادة ترتيب البيت الإذاعـي والتليفزيوني - كل ذلك في ساعة مباركة. أما الساعة فأعرف معناهـا، أما البركة هذه فلا أعرف ولا أحد قد عرف برغم أننا مدمنو الجلسات المبـاركة واللقاءات الطاهرة. كيف نصلح ما أفسد الدهر في عشرات أو مئات السنين في نصف ساعة؟ ما هذه القوة الخارقة التي يتمتع بها رئيس الوزراء والوزراء؟ لا قوة خارقة ولا ساعات مباركة. وإنما تهريج مقدس. نعيده ونزيده عمال على بطال ونصدق أنفسنا. ونخدع أنفسنا وكل النـاس أيضًا. والنتيجة أنه لا حل لأية مشكلة ولا تقدم في أي مجال.

وهذا الشيء العجيب: كيف نطلب إلى الذين هم سبب التخلف أن يكونوا هم سبب التقدم والثورة على التحرك الهابط المنحط؟!

إذن لا بد من الاستعانة بـالخبراء - ونحن نستعين بهم في الزراعة والصناعة وكرة القدم. فكيف لا نستعين بهم فيما هو أخطر؟

وأذكر أنني حضرت اجتماعًا كان ضيفه الجراح العالمي مجدي يعقوب. ما رأيـك أن أحـدًا لم يقدم لنا مجدي يعقوب الـذي توقف

بطائرته وكان متجهًا إلى جنوب إفريقيا؟ وما رأيك أن أحدًا لم يطلب إليه أن يقول شيئًا وأن يكون له رأي. أن يحكي لنا إحدى تجاربه الناجحة. فلماذا استوقفناه. ولطعناه ساعة صمت ودهشة؟!

إذن نحن غير جادين ولا نعني ما نقول. أما الأسف فعندنا منه الكثير، أما الخجل فلم نعد نخجل من خيبة أملنا في أنفسنا!

1 - كالقــــط
يقلــــد الأســـد!

ما قاله الأستاذ الجزايرلي عن الرحالة أبي الحسن محمد بن أحمد الكناتي الملقب بابن جبير، ومن أعظم آثاره الأدبية كتابه (تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار) يقول إنه عمل كاتم سر أمير غرناطة أبي سعيد بن عبد المؤمن ملك الموحدين.. ويقال إن الأمير أبا سعيد استدعاه يومًا ليكتب عنه كتابًا أثناء شرب الخمر، فمد يده إليه بقدح من نبيذ فاعتذر ابن جبير لأنه لا يشرب. فأقسم عليه الأمير يمينًا مغلظة ليشرب سبعًا فشربه صاغرًا.. ثم ملأه أبو سعيد بالدنانير. فذهب ابن جبير ثم تبرع بهذه الدنانير تكفيرًا عن خطيئته وأقام في سفره سنتين وكتب مذكراته ورحلاته الممتعة المشهورة (رحلة ابن جبير)!

يقول الجزايرلي: لقد جاءت مذكراته عن جميع ما شاهده لتاريخ البلاد الإسلامية والمسيحية، وقاموسًا لمصطلح عصره في بناء السفن الملاحية البحرية والأسماء البارزة من علماء المسلمين وملوكهم في أواخر القرن السادس الهجري..

وجاء ابن جبير إلى القاهرة، ولم يعجبه الأمراء في مصر، فقد كانوا مثل ملوك الطوائف في الأندلس: ليس فيهم من اتسم بسمة تليق أو اتصف بصفة هو بها خليق، تمامًا كما قال الشاعر الأندلسي:

ألقـاب مملكـةٍ فـي غيــر موضعهــا
كالقـط يحكي انتفاخًـا صولـة الأسد

وهكذا نجد أن الأستاذ الجزايرلي حكى لنا عن أصحاب الأسماء وقـدم لنا تاريخها وحياتها ونـوادرهـا. وهـو بذلك يستحق عظيم الاحترام!

2- من هو عبده؟

أما المؤرخ الجزايرلي فقد اشتغل في السياحة وفي بلدية الإسكندرية وسار على قدميه وأصابه ما أصاب أهل الإسكندرية من الذهول. ولكنه جلس وجمع المراجع حوله وكتب ودقق وحقق مثلًا من هؤلاء: ابن جبير وابن الجهم وابن أبي الرجال وابن يعيش وابن ديورس وابن الهانم وابن مطروح وابن مدريد والسباك وأبو زيد والباريزي وأبسطوليدس وابن بطلان وغير ذلك من الأسماء الغريبة العجيبة.

وأدهشني جدًا ما كتبه عن كبار المشاهير والمجهولين الذين وردت أسماؤهم. وقرأ المراجع المختلفة وأطال واختار ونقل عنهم شعرًا ونثرًا، ويبدو أن الأستاذ الجزايرلي كان رجلًا جادًا صارمًا. فقد مر بكثير من النوادر التاريخية، ولكنه لم يتوقف ليبتسم أو يأخذ نفسه. وإنما ترك ذلك للقارئ الذي يتسلى. أما هو فكان مهمومًا..

لقد قام بدور (شامبليون المصري) الذي فك طلاسم شوارع الإسكندرية، قال كلمته في ألف صفحة وسبع سنوات ومضى. وترك لولديه: المستشار فريد فهمي الجزايرلي وأخيه أ.د.سمير الجزايرلي أستاذ أمراض النساء في المستشفيات التعليمية أن يحملا هذه الأمانة. وفي استطاعة د. إسماعيل سراج الدين وهو الرجل المستنير أن ينهض بهذه المهمة شاكرًا لهما مع امتناني العظيم..

ولم يطل عمر المؤرخ الجزايرلي فيخطف رجله إلى القاهرة ليقول لنا من هو (عبده) صاحب الشارع الشهير في الجيزة؟!

3 – هديـــة
مــن السمـــاء!

قرأت باهتمام كتاباتكم القيمة على مدى ثلاثة أيام عن الجهل بحقيقة وتاريخ من سميت الشوارع بأسمائهم، فدفعني ذلك لإعلامكم بأن والدي المؤرخ السكندري المرحوم يوسف فهمي الجزايرلي قد ألف موسوعة كاملة عن تواريخ جميع من سميت شوارع الإسكندرية بأسمائهم، وبذل في ذلك جهدًا مضنيًا، استغرق سنوات وصفحات عديدة تربو على الآلاف، ولم تجد الموسوعة من ينشرها حتى الآن.. وقد قمت أنا وأخي بطبع جزء كعينة أرسل إليكم نسخة منها راجيًا مساعدتكم في نشر الموسوعة كاملة إذا رأيتم أهميتها.

فريـد فهمي الجزايرلـي

رئيس محكمة الاستئناف

وهذه هدية من السماء لمكتبة الإسكندرية وجامعة الإسكندرية وأمل لسكان القاهرة والجيزة وبقية العواصم المصرية التي اتسمت شوارعها بلافتات هزلية ليس لها معنى.

ولقد كان المستشار فريد فهمي الجزايرلي متواضعًا جدًا عندما قدم والده، فقد أمضيت ليلة كاملة أقرأ ما كتبه أبوه عن قصص الشوارع وأصحابها من العلماء والأدباء والفلاسفة والساسة، ولا أخفي سعادتي منذ قرأت عن الرحالة ابن جبير وابن بطوطة، فقد كان هذا المؤرخ المجهول شاعرًا له دواوين وباحثًا طويل البال دقيق النظرة، وأمتعني وأسعدني وأتمنى معه أن يلقى ما يستحقه من اهتمام يليق به وبنا!

أصلهـــا
فصيـــــح..

أعود إلى الكلمات العامية والتي هي في الحقيقة كلمات فصيحة.. مثلًا كلمة: أيوه بمعنى: نعم.. هي في الأصل: إي والله.

نقول: يؤر أي يقول كلامًا كثيرًا.. وفي الفصحى: الأرير.. أرير التليفون أي الصوت.. صوت الإنسان أو أي صوت آخر.. وندعو إلى أحد فنقول: جاءك (الإل) وتعب السر. وفي الفصحى نقول: ألَّ فلانًا أي طعنه.

ونقول في العامية: فلان (يألس) على فلان أي يسخر منه.. «يتريق» عليه. وفي الفصحى نقول: ألَّسه – بتشديد اللام – أي غشه أو سرقه.

ونقول مهددين: والله (لا أوريك).. والكلمة فصيحة. والقرآن الكريم يقول: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ﴾.

ونقول في الشتائم فلان ابن (هرمه). وفي الفصحى: هرم يهرم هرمًا ومهرمًا أي تقدم في السن. والشتيمة معناها ابن (العجوز)!

ونقول فلان (ينبط) على فلان. وهي فصيحة. فنقول ينبط عليه أي استخرج المعاني الخفية أي أظهره أو كشفه.

ونقول: نأنأ في الأكل. أي أكل القليل. والكلمة فصيحة.

ونقول فلان مياس – أي يبالغ في كلامه. وفي الفصحى: ماس يميس إذا التوى وتثنى وتكسر في حركته. والمرأة مياسة ومائسة وتدليلها: ميسون.

ونقول معنى الكلام ونقول ومعناة الكلام. وهي فصيحة.. ونقول فلان (كويس). والكلمة فصيحة لأنها مصغر كيس – بتشديد الياء وكسرها أي عاقل وحكيم.

ونقول: كم مبلغًا من المال. أي دفع. والكلمة فصيحة.

ونقول: عكم وعكمه، أي أعطاه وهي فصيحة.

ونقول: شوية وشويات. وهي فصيحة؛ لأن شوية مصغر كلمة شيء.

ونقول: سواعي بمعنى ساعات وهي فصيحة أيضًا.

قلت:
طبعًا!

كنت رئيسًا لنادي القلم الدولي في القاهرة، خلفًا لتوفيق الحكيم ويوسف السباعي. أما السكرتير العام فهو د. مرسي سعد الدين. ذهبنا إلى فيينا. وملأنا الاستمارات وجاءني رئيس الوفد الإسرائيلي وقال لي: إن هناك مشروعًا بحذف مصر من هذا المؤتمر.

وسألت د. مرسي سعد الدين فضاعف دهشتي. وفعلًا تقدم من يعترض على وجود مصر. ووقف رئيس وفد إسرائيل يرفض ويستنكر ويدافع عن ضرورة بقاء مصر كبرى الدول العربية ورمز الحضارة الإنسانية.

أما الأسباب فهي أن مصر لم تدفع الاشتراك السنوي. وهو بضعة دولارات. لم يجد د. مرسي من يدفعها نيابة عنه.. وفي الليل دعانا إلى العشاء كبير كبراء الجالية المصرية د. حاتم أبو راس وهو من عائلة كبيرة في كفر الشيخ. وسمع حكايتنا. ولم يتردد لحظة في أن يتركنا إلى صيدليته وفتحها وأتى بالفلوس. واستعدنا عضوية (نادي القلم الدولي).. فضيحة؟ طبعًا.

من المسئول؟ الجواب: نحن طبعًا فمن الذي كان من الضروري أن يدفع الدولارات؟ قيل المجلس الأعلى للثقافة وقيل وزارة الثقافة وقيل وزارة السياحة وقيل دار الكتب.

وفاتنا أن نطلب ذلك من وزارة الأوقاف لتدفعها من صناديق النذور!

وقبل ذلك بسنوات كنت أنا والزميل محمد حقي ضمن وفد ثقافي أدبي ضم إسرائيل وتساءلنا: نكلمهم؟ قلت: طبعًا.

وكلمناهم وناقشناهم. وقالوا وسمعنا وقلنا وسمعوا. وفي آخر اللقاء عددت أصابع يدي وقدمي لا نقصت ولا زادت.. إنما المعلومات في دماغي هي التي زادت، ومن أجلها يكون أي لقاء!

اتركوهم يلعبوا..

هذه نصيحة مقبولة من صحيفة (التايمس) البريطانية: لا تشغل بالك كثيرًا بمستقبل أولادك. لا تضرب ولا تطرح ولا توجع دماغك وقلبك، المستقبل المضمون هو أن يعمل أولادك في مناجم الحديد أو صناعة الصلب، فأغنى أغنياء بريطانيا رجل هندي صناعته استخراج الحديد وبيعه صلبًا.

أما النصيحة الثانية: فاترك أولادك يلعبون كرة القدم. فاللاعب الشهير دافيد بيكهام من أثرياء بريطانيا وترتيبه رقم 616، أي عنده مئات الملايين من الجنيهات من اللعب ومن الإعلانات عن الكرة وعن المنتجات المختلفة.. ونشرت الصحيفة أسماء أشهر أغنياء كرة القدم وعددهم 25 لاعبًا، تتراوح فلوسهم في البنوك بين 15 مليونًا وأربعين مليونًا. وقالت إن ما يتقاضاه اللاعب في الأسبوع في المتوسط 75 ألف جنيه إسترليني– أي يعادل ما يتقاضاه كاتب هذه السطور في عشرين عامًا!

وأشارت إلى أن أكبر غلطة يرتكبها الآباء اعتبار كرة القدم لهوًا وعبثًا. بل إن اللهو والعبث هما مثل هذه الأفكار.

وقالت: إن اللاعب العالمي بيليه كتب في مذكراته أن والده كان غلطانًا من (ساسه لراسه) لأنه ضرب ابنه بيليه وهو طفل عندما

وجده يجعل الكتب في شكل كرات من الورق ويشوطها. ولكن أمه هي التي أنقذته وهي التي صنعت مستقبله، فكانت تحمل له أوراق الصحف ليجعلها كرات من الورق ويلعب كما يشاء!

وقال بيليه: إنه كان يتدرب على تسديد الكرة بين خشبتين، المسافة بينهما لا تزيد على متر. فكان يحرص على أن تمر بينهما الكرة دون أن تلمسها. وكان يفعل ذلك في اليوم الواحد مائتي مرة حتى كان معجزة الكرة!

لقد تدربوا طويلًا..

العالم كله ينتظر المعجزة الصينية، فقد عرفنا المعجزة الصينية في الصناعة وإغراق أسواق الدنيا بالسلع الرخيصة، أما الذي ينتظره العالم، ولكن بروح ليست ودية على الإطلاق، هو ماذا ستفعل في الدورة الأوليمبية.

قالوا عندها ضباب، وإن هذا وحده يكفي لإفساد كل شيء، وأعلنت الصين أنها أغلقت ألوف المصانع، فلا دخان ولا هباب يخرج منها، كما أنها منعت مئات ألوف السيارات من دخول العاصمة، وبذلك لن يكون هناك عادم للسيارات، وقالوا إن العشرين ألف صحفي الذين جاءوا لتغطية الألعاب لن يكون لهم حرية إرسال أي شيء، فالرقابة صارمة. أعلنت الصين أنه لا رقابة على شيء أو على أحد.

والذين يعرفون الصين والحياة في الصين وفلسفة الإدارة وفلسفة الحكم على يقين من أن الملايين من الذين سيشاركون في كل أنشطة الدورة قد تدربوا شهورًا طويلة، كما أن الصين قد أقامت الجسور واخترعت القطارات الفائقة السرعة. وكل ذلك قد جربته الحكومة الصينية عشرات المرات، وأما اللغات والابتسامات وآداب الضيافة، فقد أتوا بأبناء الصين من كل دول العالم والذين يعرفون كل لغات

اللاعبين، وأن الصين لم تترك صغيرة ولا كبيرة إلا توقفت عندها طويلًا وأتقنتها تمامًا، يكفي أن الابتسام والانحناء أصبح من أهم الملامح الصينية المبالغ فيها!

وأعلنت الصين مقدمًا أنها ستتفوق في عدد من اللعبات وأنها استعدت لأرقام قياسية لم تعرفها الدورات الأوليمبية السابقة.

والمثل الصيني القديم يقول: ليس الفشل أن تقع، وإنما الفشل إذا وقعت ألا تقف، وإذا وقفت ألا تتفوق - وسوف نرى!

هــــذا الصعلــــوك العظيــــم

كثير من المؤسسات التجارية والعلمية والسياسية يهمها أن تفهم الشباب.. فالحاضر لهم والمستقبل أيضًا.. لذلك تسهم هذه المؤسسات بالمال لمعرفة مشاعر الشباب.. والسؤال: ماذا تريد أن تعمل؟ كيف تريد أن تعيش؟ هل من المهم أن يكون لك أسرة!

وأمام هذه المؤسسات بعض المشكلات.. فالشبان لا ينظرون إلى مقاييس الرأي نظرة جادة.. فمثلًا لو سألوا: ماذا تريد أن تكون؟ يقول: لا أعرف.. ومنطق الشباب أن هـذه إجابة لا أهمية لها.. بل لها أهمية: إنه في هذه السن.. أي حوالي العشرين.. لم يقرر ماذا يريد أن يكون..

وهذه قضية.. كيف لشاب في العشرينيات لا يعرف ماذا يريد؟ وأين يتجه؟ ومن المسئول عن ذلك؟ وكيف ننظر إليه؟ وكيف نوجهه لكي يعرف؟ ثم كم في المائة من الشبان لا يعرفون؟ وهل هي ظاهرة صحية أم ظاهرة مرضية؟ والجواب: لا يصح أن ننظر إليها على أنها صحية أو مرضية..

وإنما هي دليل على أنه لم يجد توجيهًا من أحد.. لا من أبويه.. ولا من المدرسة أو الجامعة.. ثم إن كثيرًا من كبار العلماء والمخترعين لم يكن واضحًا لديهم في هذه السن إلى أين يتجهون؟ وليس معنى

ذلك أن الشاب تائه ضال.. وإنما أنه بكل قواه جاهز لأي عمل.. وأنه سوف يكتشف بعد وقت قصير ماذا يريد، فلو أن أحدًا سأل المخترع الأمريكي العظيم إديسون ماذا تريد في هذه السن؟ لقال: ولا حاجة.. أريد أن أتصعلك في الشوارع وفي القطارات..

ولم يحدث في التاريخ أن استطاع إنسان أن يخترع 1500 اختراع كما فعل هذا الصعلوك إديسون!

أيــن
أضعــه؟!

وقعت في غلطتين في مقال واحد.. الغلطة الأولى أنني أخطأت في كتابة اسم الجراح الكبير د.حسن أبو العينين، وكتبت بدلًا منه حسن أبو السعود صديقي ونقيب الموسيقيين.. وهو شخص لطيف ظريف وليس موسيقارًا فقط، وإنما هو فرقة موسيقية غنائية يستطيع وحده أن يسعدك ومعك ألف شخص.

وقد كان بيننا اتفاق على إحياء ليلة من ليالي شارع محمد علي وسيدفع تكاليفها التليفزيون الإيطالي.. ويشهد على ذلك الشاعر الغنائي مصطفى الضمراني.. ونسيت وسافرت.. وكان الرجل قد أعد العازفين والراقصات.. واعتذرت.

ويبدو أن حسن أبو السعود – يرحمه الله – لا يزال غاضبًا، فكتبت اسمه بدلًا من د. حسن أبو العينين، ود. حسن أبورية ود. حسن أبوريدة.. واعتذرت، ومن المؤكد أن د. حسن أبو العينين لا يسعده أن يكون نقيبًا للموسيقيين، وكذلك حسن أبو السعود لا يسعده أن يكون نقيبًا للجراحين.. فأرجو قبول اعتذاري.

أو كما قال شاعرنا حافظ إبراهيم:

لا تلم سيفي إذا السيف نبا   صح مني العزم والدهر أبى

والغلطة الثانية أنني نسيت أن أذكر صديقي د.محمد لطفي.. والسبب أنني قد تحيرت أين أضعه، بين الأطباء أو بين المهندسين والمحامين أو أعضاء البرلمان والحكم المحلي والبوليس والنيابة والقضاء.. فأنت تجده بين هؤلاء جميعًا مشغولًا مهمومًا..

والحقيقة أنه دينامو.. إنه قد نذر نفسه لخدمة كل الناس.. فهو إنسان طيب ولا يستحق مثل هذا النسيان من أصدقائه.. فاقبل عذري إلى أن أقع في غلطة أخرى!!

مــــاذا
ولمـــن تقــــرأ؟

مجلة (علم النفس اليوم) الأمريكية نشرت استطلاعًا للرأي بين شباب الجامعات، وكان السؤال: ماذا تقرأ؟ ولمن تقرأ؟ ومن هم الذين تتكون منهم مكتبتك الخاصة؟ وإن كان لهؤلاء أثر في حياتك... ومثل هذا الاستطلاع تنتظره وتساهم فيه ماليًا: الجامعات ودور النشر وشركات الأدوية والكنيسة والأحزاب السياسية.. فالكل يريد أن يعرف إلى أين يتجه الشباب ولماذا وكيف؟

وقد نشرت مجلة (علم النفس اليوم) أن حزب العمل البريطاني طلب من المجلة بحثًا وبالأرقام عن ردود الشباب على الأربعين سؤالًا التي اختارها عدد من علماء النفس والتربية لكي يجيب عنها هؤلاء الشباب.. ومعنى ذلك أن الحزب يعنيه كثيرًا ماذا يهم الشباب وأي الأحزاب أقرب إليه.

ونشرت المجلة تعليقًا لأحد القساوسة على استطلاع رأي الشباب. ورأى في ذلك اعترافًا وبعدًا عن الدين. وليس سبب ذلك ضعف الدين عند الشباب. وإنما هم لا يجدون من يوجههم وينير لهم الطريق. فالإنسان طيب بطبعه، ينشد الخير والمحبة بتكوينه. ولكنه إذا لم يجد يدًا تساعده وحضنًا دافئًا وحبًا في الأسرة أو في المجتمع فمن الطبيعي أن يضل. لذلك يجب تدارك هذه الخطيئة في سن مبكرة. ومن

رأي هذا القس: ألا تيأس.. حتى لو أجمع الشباب على شيء واحد لا يعجبنا. فيجب ألا ننظر إلى ذلك على أنه قرار نهائي؛ لأن الشباب بطبعه مؤمن وإيمانه قوي والإيمان يدعو إلى أن يكون صالحًا: كعامل وموظف وزوج وأب. فعلى هذا الأساس نهضت كل المجتمعات في طول التاريخ وعرضه..

تجـــارب الأبويـــــن

مرة أخرى سوف يجد الشباب أن سؤالًا واحدًا يلاحقه في كل مكان: هو سوف يسأل نفسه وكذلك أبواه وزملاؤه في المدرسة أو في الجامعة.

ماذا يجب أن يكون؟ فلابد أن يختار.. فإن كان أبوه طبيبًا فهو لا يريد أن يكون طبيبًا، إما لأنه يرى أباه يعمل ليلًا ونهارًا فهو لا يراه إلا نادرًا. وكذلك أمه. وأحيانًا يجد مناقشات حادة بين أبيه وأمه. فليس عندهما وقت لكي يخرجا معًا.. لأنها هي أيضًا تعمل. ثم إنه لا يحب أن يقال إن والده كطبيب هو الذي ساعده.. أو إنه يعيش عالة على سمعة والده.

ولذلك فلن يعمل طبيبًا ولن يختار اسم والده وإنما اسمًا آخر. وهذا طبيعي. فهو يريد أن يقف على قدميه وليس على كتفي والديه. وإنه يريد أيضًا أن يستقل بحياته. وقد ندم شبان كثيرون على هذا القرار. فأبوه طبيب وأمه وخاله وعمه وأخوه الأكبر. والجو كله يساعده على فهم ومعرفة كثير من الناس والمؤسسات وكلها تساعده على أن يتقدم في علمه وعمله. ولكن إرادة الاستقلال والحرية دفعته إلى أن يكون مختلفًا..

وطبيعي أن يكون أخوه الأكبر الذي اختار أن يكون طبيبًا هو أحب الأولاد إلى أبيه وأمه.. وأن يشعر الأبوان أن هذا هو الابن العاقل الذي

استفاد من تجاربهما. فإن كان لهما مستشفى فالطبيب يجب أن يديره. وكثيرًا ما كان ذلك سببًا في مشاكل للأبناء الآخرين. ولكن الذنب ذنب الأولاد فهم الذين اختاروا. وهم أحرار فلم يتدخل الأبوان في اختيار الطريق والهدف عند نهاية الطريق!

هــــل تريـــــد أن تهاجـــــر؟

ما هو الحزب السياسي الذي تنتمي إليه؟ ولماذا كان هذا الاختيار؟ وإذا لم يكن هناك حزب سياسي، فكيف يسهم في إصلاح وتنمية بلده؟

الأرقام تؤكد أن الشبان لا ينتمون إلى أي حزب سياسي. ويرون أن السياسة فاسدة وأنها تدعو إلى الفساد وتقوم على الفساد. ولكن في الوقت نفسه لا يتساءلون إذا كانت السياسة فاسدة وتأتي بحكام فاسدين فما دورهم وكيف يمكن أن يسهموا في الإصلاح.. وهل من الضروري أن يسهموا..؟

هذا السؤال ليس واضحًا لدى الشبان، فهم كرهوا السياسة والساسة. ولكن في الوقت نفسه ينسون أن دورهم قد جاء لإصلاح ما أفسده الآباء والأجداد. وأن المستقبل من صنعهم. مثل هذه المعاني تدل الأرقام على أنها لا تشغلهم ولم ترد على خاطرهم. وأنهم يهتمون بأشياء أخرى أحسن: الرياضة والتليفزيون والكمبيوتر، أما السياسة فلا. والأرقام تدل على أنهم لا يعرفون بالضبط ما هي السياسة، وما هو الفرق بين الأحزاب السياسية والأحزاب الدينية. وأنهم ينظرون إلى الشرق مهبط الديانات نظرة غريبة.. فهم يرون أن الشرق متخلف وعنده أفكار خرافية.

وهذا هو سبب تخلف الشرق. أما الغرب فقد تقدم لأسباب كثيرة من بينها عدم استغراقه في الدين. ويرون أن الحروب الصليبية

اشتعلت بسبب التعصب والتخلف العقلي. وأنها لم تؤد إلى الثورة في الصناعة وفي العلوم وفي الفكر، وأنها هي التي عرفت المسيرة إلى الأفضل.

ويبقى السؤال: إذن كيف نصلح بلدنا؟ كيف نبني لها مستقبلها والشباب هو المستقبل؟! شيء غريب أن تدل الأرقام على أنهم لم يفكروا في مثل هذه القضية!

هل تريد أن تهاجر إلى أي بلد آخر؟

أكثر الذين يريدون الهجرة من الشبان. أما الشابات فالنسبة أقل، فالشباب يريد أن يذهب إلى مكان غريب. يبني حياة وأسرة وأولادًا في مكان آخر، وليست لديه أسباب شخصية تجعله يريد أن يترك بلاده. ولكنه يريد أن يغامر وهو على يقين من نجاح هذه المغامرة، فكثير من زملائه وأقاربه قد هاجروا. وهم سعداء في أوطانهم الجديدة. ومهما يبعد عن وطنه الأصلي فهو وطني محب لبلده.

والولايات المتحدة دولة قامت على المهاجرين من كل القارات، وإسرائيل دولة من المهاجرين، ولبنان وسوريا وتركيا واليونان دول قامت على أموال المهاجرين الناجحين من أبنائها، بل إننا رأينا الجاليات السورية بعد جيلين اثنين أصبح من بينهم رؤساء للجمهورية ورئيسات أيضًا، إنها نماذج ناجحة لكفاح شبان مغامرين.

والدستور يسمح لك بأن تكون لك جنسية أخرى، فلماذا لا نحاول بلا خوف من الفشل بعد أن نجح كثيرون. ويهمنا جدًّا أن نعرف لماذا فشلوا.. فشلوا لأنهم ذهبوا إلى بلاد لا تحتاج إلى الحرفة التي تخصصوا فيها.

فالمنافسون لنا كثيرون من كل شعوب الأرض.. ووزارة الهجرة المصرية لا هي وزارة ولا لها دور ولا وظيفة ولا سلطة مع أنها يجب أن تكون من أخطر الوزارات وأقواها وأكثرها رعاية للمهاجرين المصريين علمًا وعملًا..

والسؤال.. هل تريد أن تهاجر؟ والجواب: نعم. لأنني مؤهل لذلك تمامًا، أعرف اللغة وأعرف مدى احتياجاتهم لمهنتي.. وسوف تساعدني الدولة والجاليات المصرية هناك!

لا عصـــا
لموســـى الآن!

لن تتقدم مصر ولا خطوة واحدة في أي اتجاه إذا كانت برامجها على ألسنة المشايخ وليس العلماء. لا تقل ادخل الحمام برجلك اليمين، لا تقل إذا الرجل عاشر زوجته يجب أن تصرخ وتبسمل وتحوقل، لا تقل للمرأة أن تجعل حاجبها رفيعًا أو غليظًا. لا تقل إن مصافحة اليد تنقض الوضوء.. لا تقل إن الأقباط متعصبون ولذلك نجحوا ولسنا نحن أيضًا. وإنما تنجح الأقليات لأنها يجب أن تنجح فأخطاؤهم غير مبررة.. وأرى ساويرس وإخوته وأباه وأمه من مفاخر مصر.

لكن قل لي: ماذا أفعل لأتقدم في العلوم؟ وماذا أفعل لأوفر الأرض والزرع لمصر.. لكي أجد مقعدًا في الفصل وفي الأتوبيس وسريرًا في المستشفى؟ قل لي كيف لا أطفش من مصر.. قل لي: أعطني هذا الكتاب وأنا أعطيك هذا الدواء.. قل لي أعطني هذا الدواء أعطك العافية.

لا تقل لي أبدًا إنك استطعت أن تحل مشاكل العلم والعلماء في جلسة نصف ساعة يباركها رئيس الوزراء، ولا أينشتين استطاع ولا ادعى ذلك!

لم يولد الحاكم الذي يمسك عصا موسى فتنشق الأرض عن مصانع ومعامل مجانًا: بلا فلوس ولا عرق ولا عقل. ثم أي حق لنا

في أن تكون جامعاتنا في الصف الأول من العالم وهي التلميذ البليد في فصل العلم والتكنولوجيا؟ أنا أعرف الآن ما تحتاج إليه: مليون طن من الخجل.

قالها نيوتن متواضعًا: إن عبقريتي هي: 1٪ أرق و99٪ عرق. وما أكثر عرقنا وما أطول أرقنا أمام فوازير رمضان!

1 – كنـــوز
طـــه حسيـــن..

عودة إلى هذا الكنز من المعلومات عن أستاذنا عميد الأدب طه حسين. ففي (أوراق طه حسين) الجزء الثاني يظهر لنا الفارق الكبير بين طه حسين والعقاد أو بين ما يلقاه تلامذة طه حسين وما يلقاه تلامذة العقاد. ولسوء حظي لم أعرف طه حسين إلا متأخرًا. فقد كنت أرى أن العقاد هو الكاتب والمفكر لا قبله ولا بعده إلى أن عرفت طه حسين وأحببته وندمت على سنوات مضت لم أسعد فيها بهذا الإنسان العظيم. كنا نضيق بأستاذنا العقاد فنذهب إلى طه حسين.. وفارق كبير بين (يا سيدي) التي يترنم بها طه حسين، وبين (يا مولانا) التي يهددنا بها العقاد..

ففي هذا المجلد صور واقعية لأستاذية طه حسين.. إنه شيخ قبيلة.. شيخ طريقة.. ولي النعمة لكل تلامذته ومحبيه.. كلهم يكتبون إليه أينما كانوا وماذا فعلوا وكيف ينتظرونه حتى يعود بالسلامة..

ولي تجربة، فالعقاد لم يكن يعلم أنني تلميذ عبد الرحمن بدوي وأحد المعجبين به، فاندهش وسألني: ما هذا البدوي؟! فقلت: أستاذي والذي فتح لنا آفاق الفلسفة المعاصرة ونقل إلينا أفكارها وترجم تعابيرها الصعبة. وعلمنا ما لم نكن نعلم. وعبدالرحمن بدوي لم يكن يعرف علاقتي القوية بالعقاد. وسألني ما الذي تراه في هذا الجاهل

المغرور؟ فقلت: إن قراءته متعة والجلوس إليه متعة أكبر.. ثم هو أستاذ التحليل المنطقي والفلسفي. وأغضبت الاثنين، ولما حكيت هذه المفارقة لطه حسين قال لي: يا مولانا أنت محظوظ أن يكون لك أستاذان على هذا القدر من العلم والفضل!

بل تلامذتك يا أستاذنا العميد هم المحظوظون بك.. ما هذه الرقة؟!.. ما هذا اللطف؟!.. ما هذه الأبوة؟! كلماتك أحضان وقبلات يا سيدي!

وسوف أعرض بعض الرسائل الرقيقة الرفيعة: وأطرف الرسائل جميعًا تلك التي بعث بها توفيق الحكيم إلى طه حسين يقول: أرسل إليك خطابًا لتقبض مني مبلغ 25 ألف فرنك. فإذا تمكنت من الاستيلاء على هذا المبلغ فأنت حر التصرف فيه إلى حين عودتك إلى مصر فتسدده بالجنيهات المصرية بالتقسيط أو غيره من تسهيلات الدفع.. أرجو أن تكون باريس رائعة كعهدنا بها وأن تشربوا (البور جوني) وتأكلوا الشوكروت وتذكروني! الجو هنا حار لا يطاق، خصوصًا (باب الخلق) فابعثوا إلينا قليلًا من أنفاس باريس!

وهو الخطاب الوحيد الذي بعث به توفيق الحكيم. ولكن لا نعرف إن كان طه حسين قد أرسل له خطابًا؛ فالحكيم لم ينشر رسائله إلى أحد، أو رسائل أحد إليه. ومن أهم ملامح الحكيم حكاية الفلوس يقبضها أو ينفقها.. وعندي خطاب للحكيم بعث به إلى يوسف السباعي يساومه على المكافأة التي يستحقها عن قصة لينشرها. يقول في الرسالة: إن نشرتها على صفحة واحدة فلها ثمن وإن نشرتها على صفحتين فالثمن مضاعف وكذلك على ثلاث أو أربع.

أما إذا كانت على صفحة ونصف؛ فيجب أن تكمل أنت هذا النصف وتدفعه، فعندك فلوس كثيرة!

وقال لي يوسف السباعي إن توفيق الحكيم «طلب مني خطابًا كان قد بعث به». ولم أفهم. وعرفت فيما بعد أن المبلغ الذي طلبه كان قليلًا وأنه لا يريد أن يعرف أحد أن هذا أجره.. وإنما يفضل أن يفاوض ويساوم ويفاصل. وقد تضايق الحكيم جدًّا عندما أكد له يوسف السباعي أن لديه صورة من هذا الخطاب وأنه سوف ينشره. ففوجئ يوسف السباعي بأن الحكيم قد أقفل السكة في وجهه.. واعتذر له يوسف السباعي!

ورسالة الأستاذ الكبير علي أدهم وفيها اعتذار عن التأخير في قراءة كتاب أهداه طه حسين لأسباب ذكرها..

يقول علي أدهم: أتقدم بجزيل الشكر لتفضلكم بإهدائي نسخة من كتابكم القيم الجديد، الذي اخترتم له هذا الاسم البليغ التعبير والدلالة (جنة الشوك) وأعتذر عن عدم المبادرة إلى شكركم، فقد كنت منصرفًا إلى قراءة كتاب جديد عن الفيلسوف نيتشه استهواني إلى حد بعيد. وكنت أتطلع إلى قراءته منذ ظهوره في العام الماضي، فإنه يندر أن يظهر كتاب عن نيتشه بالإنجليزية أو يرد عنه في الصحف.. فالإنجليز على ما يبدو يضيقون بالمفكرين من طراز نيتشه.. والكتاب قد كتبه باحث كاثوليكي مؤمن وناقد بارع. وقد انتقلت من جو نيتشه إلى جو كتابكم الجديد فلم أشعر بتحول كبير. ولعل السبب في ذلك أنكم جريتم في كتابكم على الأسلوب الأبيجرامتيكي، الذي كان يؤثره نيتشه. وقد صادفتني في كتابكم تلك السخرية اللاذعة

والتهكم المر والهجاء الممض.. لقد أمتعنا وأحزننا د. طه الفنان فماذا ننتظر؟ ننتظر من الدكتور المربي أن يبذل جهده على علاج الحالة المحزنة.

فالكاتب الكبير علي أدهم لم يجد حرجًا في أن يقول إنه انشغل عنه بكاتب آخر. كأنه أراد أن يقول إن طه حسين كان من الممكن أن يفعل نفس الشيء لو كان يقرأ لمن يحب.. ثم انتقل بلطف إلى كتاب نيتشه وقارن بين طه حسين الأديب ونيتشه الفيلسوف وطالبه بالعلاج!

يا أخي
أنا مبسوط كده!

مرة تناولت العشاء مع الرئيس السادات، فلاحظت أن الذي يأكله ولا حاجة.. لا أطباق ضخمة فخمة. لا ديك رومي.. ولا خروف ولا كافيار ولا أرز بالخلطة. ولا ملاعق من ذهب ولا أكواب من الكريستال.. ولاحظت أنه يأكل بشهية ويمضي في الكلام. فقلت: إيه ده يا ريس. هو ده آخر صبرك.. بعد كل هذا الكفاح ؟

فلم يتوقف الرئيس عن الطعام وقال لي: قصدك إيه؟

وقلت له وأطلت وسخرت من الطعام والأكواب والترابيزة والمفرش والملاعق والسكاكين. فقال: يا أخي حاجة غريبة.... يا أخي أنا مبسوط كده.. إنت حتتكد عليَّ ليه يا أخي؟ أنا مبسوط وحامد وشاكر ربنا على هذه النعمة!

وفي إحدى الليالي وكنا مدعوين على مأدبة الملك الحسن الثاني في الرباط ومررنا في حديقة أبهة وفيها حمامات سباحة في غاية الشياكة والأناقة. فاقتربت من الرئيس وقلت له: شايف الفخامة والأبهة يا ريس. فسألني: يعني إيه؟ قلت: يعني.. مش كشك الموسيقى الذي اتخذته في القناطر.. وقالوا إنه قصر به حمامات ساخنة وباردة وجنات تجري من تحتها الأنهار.. ولا صوت فيها يعلو على صوت الضفادع!

فكان رد الرئيس: اسمع أنا مبسوط كده يا أخي.. والناس حاسديني ويقولوا السادات عنده في الجنينة مرجيحة.. هاها.. هاها!

حتى الميكروفونات التي لا تتوقف لا ليلًا ولا نهارًا هي من مظاهر الحياة!

منتهى الرضا والبساطة في الحياة – هذا جزء من حوار مع الأمريكان الذين يستعدون لعمل فيلم عن حياة الرئيس السادات!

ثم نظر الرئيس إلى السماء وقال: الحمد لله.. نعمة من عند الله أن نستمتع بالقليل كأنه كثير جدًّا!

2 – كرســــي للســـودان..

دار الكتب والوثائق أصدرت الجزء الثاني من (أوراق طه حسين 1941 – 1972) مع مقدمة بديعة للأستاذين محمد صابر عرب وأحمد زكريا الشلق. وفي هذه المقدمة ما قدمه طه حسين للأدب والفكر والتعليم، وكيف كان نموذجًا رفيعًا للرجل الشجاع والرجل الحر بعيد النظر عميق النظرة. فهو الذي جعل التعليم مجانًا، وهو الذي صاحب فكرة وزارة الثقافة والمجلس الأعلى للثقافة، وهو الذي أنشأ جامعة الإسكندرية وأكثر من كرسي للأدب العربي في الجامعات الفرنسية وأنشأ المركز العربي في مدريد..

ومن أعجب ما اقترح طه حسين إنشاء كرسي للدراسات السودانية منذ أكثر من ستين عامًا.. إنه أعمق وأوسع أفقًا منا اليوم. فالسودان لا يلقى منا ما يستحقه من الدراسة والاهتمام. وأذكر أن طه حسين عندما كتب مقدمة لكتابي (حول العالم في200 يوم) تمنى على الله أن يقرأ ما سوف أكتبه عن رحلاتي في إفريقيا.

إن طه حسين عالمي الأفق. ولكنه في نفس الوقت إفريقي مصري حريص على السودان..

وأجمل الرسائل في هذا الكتاب ما كتبه الكاتب الكبير إحسان عبد القدوس يشكو إلى طه حسين الظلم الواقع عليه والاضطهاد الذي

يلقـاه قلمـه وفكره المتحـرر خاصـة عندمـا كتـب روايـة (أنـف وثلاث عيون).. إن رسالة إحسان عبد القدوس تحفة أدبية حزينة، وصرخة فنان كبير من جهل قومه وضيق أفقهم.

ورسالة للأستاذ الكبير فريد أبو حديد لم يجد حرجًا في أن ينتقد كتاب طه حسين (دعاء الكروان) ويقول لا هو قصة ولا رواية وإنما مقال جميل.

والكتاب متعة أدبية، كما أن الأستاذ العميد متعة أيضًا!

ومذابح الكلاب أيضًا

أين تلك الفتاة الأمريكية التي بكت وأضحكت الناس لأنها رأتهم يذبحون الأشجار أمام حديقة الحيوان؟ أين هي لتبكي وتلطم على الجريمة التي ارتكبها السيد محافظ الجيزة في إبادة أشجار ضخمة فخمة جميلة على النيل؟ والذي يحزننا جميعًا ليس أن المحافظ اقترف ذلك.. لكن أن الناس رأوا هذه الأشجار تسقط وتختفي فلا أحد يشكو.. ولا أحد يتظاهر.. ولا أحد من أجهزة الدولة يحاسب السيد المحافظ على العدوان الغاشم على البيئة الجميلة.. وعلى الأشجار التاريخية.

إن أحدًا لا يجرؤ أن يقطع غصن شجرة في أي دولة في العالم دون إذن.. دون موافقة إدارة الحي والمدينة.. لا يجرؤ أحد أن يقطع شجرة في حديقته هو دون إذن ودون وعد مكتوب بأن يزرع شجرة أخرى من النوع نفسه.. ولكن السيد محافظ الجيزة منفردًا قرر قطع الأشجار الواحدة وراء الأخرى.. ولا من شاف ولا من دري.. أي كأن الذين شافوا ما دروا.. والذين دروا ما شافوا!

ولا أعرف ما الذي استراح في نفس وجسم محافظ الجيزة لأنه ارتكب هذه الإهانة لكل ما قاله الرئيس وتقوله أجهزة الدولة من المحافظة على البيئة وعلى الجمال وعلى التاريخ.. كل ذلك اعتدى عليه السيد المحافظ.. الذي لا يحافظ على البيئة والذوق والقانون والتاريخ.

ويقال.. وهي إهانة أخرى.. إن أحد أصحاب القصور قد ضايقته هذه الأشجار فأشار إلى ذلك.. وكانت إشارته أمرًا واجب النفاذ!

فما رأي السادة وزراء الداخلية والزراعة والبيئة؟ ثم ما الذي ضايق السيد المحافظ في أن تكمل هذه الأشجار المائة الثانية من عمرها ما دامت لا تأخذ من عمر سيادته يومًا واحدًا.. مع الأسف!

صرخت السيدة فاطمة عبدالله محمود المترجمة الأولى في رئاسة الجمهورية ومترجمة الأعمال العظيمة في تاريخ مصر الفرعونية.. وفزعت من الذي كتبته الصحف الفرنسية من مذابح الكلاب في شوارعنا.. منتهى القسوة.. وذكرت السيدة فاطمة عبدالله أنهم نشروا صورة لكلبة وقد بقروا بطنها فظهر الجنين داميًا.. كل ذلك والأطفال يتفرجون.. أي يتدربون على الدم والعنف..

وجاءني من السيدة ماريا لويزه دودا من ميونيخ تشكو من أسوأ الأساليب وأشدها قسوة على الحيوان، ما رأته في شارع الهرم من قتل للكلاب. لقد كان مشهدًا مروعًا للسياح الأجانب.. وكثير من الذين قرأوا عن هذه الجرائم قد ألغوا زيارتهم لمصر.. وتقول إن المصريين يعاملون الكلاب كالمجرمين. مع أن جريمتها هي أنها حيوانات بريئة تلقى الاحترام في كل الدنيا إلا في بلاد الفراعنة.

وجاءني من د.نورالدين السبيلجي من مونتريال بكندا: والله أنا لا أعرف أين أضع وجهي، فقد نشرت الصحف صور الكلاب القتيلة في الشوارع والسيارات تدوسها ذهابًا وإيابًا.. والغريب أن الأطفال يتفرجون ولا يستنكرون ما يرون. وبعد ذلك لا نريدهم أن يكونوا إرهابيين. كيف أيها المصريون؟!

طبعًا حضراتكم لم تسمعوا ولم تروا ما فعله محافظ الجيزة في أشجار جميلة لها قيمة تاريخية.. وأريد أن أعرف منكم جميعًا أيها المصريون هناك لو أن هذا حدث في بلادكم فأين تضعون سيادة المحافظ؟!

ومن السيد أحمد نويا جوتو من السنغال: إن بلادنا كلها غابات ولكن لا يجرؤ أحد أن يقطع شجرة دون إذن كتابي. وعندنا من يعبدون الأشجار أيضًا. ولكن لا أعرف لكم دينًا أيها المصريون!

3 – ليكــن
صديقًــا لـــك!

أما رسائل الأستاذ الكبير أحمد نجيب هاشم السفير لطه حسين، ففيها الكثير من المودة.. فهو يحدثه عن شئونه الخاصة، وعن أخبار الجالية المصرية ومشاكل السفارة – التي هي مشاكله – وعن مشاكل البريد وكيف يتأخر.. وكيف تخلط إدارة البريد الإيطالية بين ما يخص الجمهورية العربية المتحدة والعربية السعودية، لمجرد وجود كلمة العربية في الاسمين.. ثم يصف للدكتور طه حسين زوار السفارة من جاء ومن ذهب.. ويصف له حادثًا وقع لسيارة السفارة وعدد الذين أصيبوا، هذا في ذراعه وهذا في ساقه، وهذا في دماغه..

كل هذا يقوله لطه حسين.. مع أن طه حسين لم يكن وزيرًا للخارجية، ولكن المحبة والصداقة وتشجيع طه حسين لكل الذين حوله أن يكونوا على راحتهم معه.. وأن يقولوا فهو يسمع لهم ويقرأ.. ومن يدري ربما يرد عليهم..

ويقول إنه كان يتمنى أن يزور القاهرة لولا أنه يبلغ الإحالة إلى المعاش بعد أشهر قليلة، ويخشى أن تفسر زيارته تفسيرًا هو بريء منه ويمس كرامته.. ويقول: أكرر لمعاليكم شكري وأرجو أن أسعد كلما سمح وقتكم برسالة منكم.. ويسرني أن ألبي أي طلب لكم من إيطاليا.. وتفضلوا والسيدة حرمكم وصديقنا الأستاذ فريد شحاتة بقبول وافر السلام.

وأذكر أنني نقلت لطه حسين رأيًا لنجيب هاشم في مقال كتبه عميد الأدب وكان مقالًا بديعًا.. فما كان من طه حسين إلا أن قال لي في غاية الرقة والأدب: يا سيدي اجعل نجيب هاشم صديقًا لك!

وكان...

زهقنـــــا
مـــن هتلـــر!

كل يوم حكاية جديدة عن هتلر.. وحكاية شنيعة. قالوا مجنون وقالوا عنده شذوذ. قالوا إن كراهيته لليهود سببها أنه كان زميلًا للفيلسوف الشاذ فتجنستين الذي كان غنيًا. وقالوا إن أمه كانت خادمة عند أسرة يهودية. وقالوا: عنده خصية واحدة مثل الحبيب بورقيبة. وقالوا إن هذا العيب الخلقي يورث العنف. وقالوا كان يمشي في أثناء النوم. واخترعوا حكايات لصديقته أو زوجته إيفا براون تقول إنه عاجز جنسيًا. ومذكرات أخرى تقول إن له علاقة مع ابنة أخته فلما رفضته في إحدى المرات استدرجها إلى إحدى الغابات وقتلها.. وقالوا إنه ابن غير شرعي. فقد ولد قبل أن يتم الزواج بين أبويه مثل صوفيا لورين ومثل دافنشي ومثل مارلين مونرو.

كل هذه الاجتهادات لكي يفسروا العنف الدموي في سلوكيات هتلر. وأن هذا هو الدافع الوحيد للحرب ضد الشعوب الأوربية.

آخر ما قرأنا في مذكرات حارسه الخاص أن هتلر أصيب بالزهري مثل الزعيم أتاتورك. وإصابته جاءت من إحدى الغانيات اليهوديات. ولهذا السبب كانت كراهيته لليهود رجالًا ونساء وكان قراره بالقضاء عليهم. ونحن نعلم أن سبب الكراهية لهم وللشعوب الملونة ليس الزهري، ولكن إيمان هتلر بأن الشعوب الجرمانية الآرية هي سيدة

الشعوب. وأن البقاء لها والفناء لنا. فالإنسان السوبر أو الإنسان الأعلى هو الألماني: الأشقر ذهبي الشعر، أما الملونون السمر والسود والصفر فهم في قاعدة سلم التطور.

ولا أعرف ما الذي سوف يكتبه المؤرخون بعد ذلك.. فلم يتركوا عيبًا جسميًّا أو نفسيًّا إلا ألصقوه بهتلر، فقد تكامل نقصًا.

ادفـــــع

مليـــون جنيـــه!

كلها خمس سنوات وبعدها تستطيع أن تطير إلى الفضاء الخارجي بطائرة وليس بصاروخ، ومعنى ذلك أن تجلس في مقعد مريح تأكل وتشرب وتنظر من النافذة على الكرة الأرضية، وتصعد بك الطائرة مستعينة بصواريخ قوية إلى ارتفاع نحو مائة كيلومتر حيث تبدأ منطقة انعدام الوزن.

وقد استعدت شركات السياحة الفضائية من اليوم، وسوف تؤمن على حياتك شركات التأمين.. وهي التي ترفض التأمين على حياة رواد الفضاء في رحلاتهم حول الأرض مئات المرات وإلى القمر ذهابًا وإيابًا.

وكل المطلوب منك أن تتدرب أسبوعًا على هذه الطائرة والجلوس فيها والحركة، واحتمال بعض القيود في الحركة والجلوس والطعام، ثم بعض المعلومات الضرورية عن الطائرة وانطلاق الصواريخ وما يحدثه في الطائرة من هزات أو أصوات عنيفة.. كل ذلك يجب أن تعرفه حتى لا تفزع.

وقد يسعدك الحظ فتركب الطائرة نفسها التي سوف يسافر بها العالم الفيزيائي الكبير ستيفن هوكنج، وهو رجل مشلول الحركة عاجز تمامًا عن النطق، ولكن من أعظم العقول المعاصرة، ومن أروع الكتاب في هذا الزمان.

وكل المطلوب منك هو أن تدفع نحو مليون جنيه مقابل وصولك إلى منطقة انعدام الوزن لمدة ثلاث دقائق.. أي مطلوب أن تدفع مليون جنيه لكي تشعر بأنك بلا وزن.. ولا حاجة.. ثم تعود بعدها سالمًا إلى الأرض تحكي للناس تجربتك.. والله أنا مستعد!

رغم أنني
لا أعرفهم!

المثل يقول: النبي قبل الهدية – إلا هدية الزميل حسين سراج فقد تلقى من إسرائيل هدية ضخمة ثم جاء وألقاها بين يدي أو على دماغي. سامحه الله. فقد أرسل لي كتابًا عن الدروز للمؤلف الدرزي السيد جمال فرحان قبلان. الكتاب بعنوان: حول ملفات السياسة العربية الدرزية – من 632 م إلى 2008 م. أما الإهداء فكان رقيقًا. ولم أكد أفتح الصفحة الأولى حتى انفتحت بالوعة من الشتائم البذيئة لشخصي. فليكن! فقد اعتدنا على الشتائم والتهديد بالقتل وإطلاق الرصاص على غرفة نومي. وكلها من شروط لعبة الرأي تمامًا فأن تنكسر الساق والركبة شرط من شروط كرة القدم، فهي إصابات المهنة. وقد ارتضيت هذا الشرط وغيره.

ولكن لماذا؟ قلبت في الكتاب من أوله لآخره فلم أجد لي رأيًا أو نظرية خالفت فيها المؤلف الإسرائيلي الذي لم أعرفه. فأنا لا أعرف من الدروز إلا فريد الأطرش وباقي الدروز أعرف عنهم. ومعرفتي بهم لا تزيد عن غيري من القراء. فما هي غلطتي؟ هل هي أنني عرفت قليلًا عن كثيرين أو كثيرًا عن قليلين؟ هل غلطتي أنني لا أعرف المؤلف، فأنا لا أعرف كثيرين ولم أعرف درزيًا واحدًا.. إلا اثنين من المحررين في إذاعة أورشليم القدس.

عدت إلى المقدمة لعل المؤلف يقصد (أنس) الفقي – فهناك تشابه بين أنيس وأنس.. ولعله قصد الأستاذ أحمد أنيس رئيس اتحاد الإذاعة والتليفزيون أو أنيس منصور زوج الشاعرة اليهودية المصرية جويس منصور. وقد توفي الاثنان في باريس، وأغلب الظن أن المؤلف قصد حسين سراج – وهي شتيمة يستحقها.. شكرًا له!

أصلها فصيح..

كلمات عامية ولكنها فصيحة: نقول الحنك بمعنى الفم، وهي فصيحة: فالحنك هو باطن الفم، وسد الحنك أي التي تملأ الفم، ونقول عنده حنكة أي تجربة، وحنك جمعها أحناك، ونقول فلان يخربق في ملابسه لم يترك شيئًا إلا خربقه.. الصحيح الفصيح أن نقول يخبرق الثوب أي يرقعه ويرتقه أو يحوله إلى قطع صغيرة.

ويتحدثون عن خناقة فنقول: ظل يضربه حتى كسعمه تمامًا، ويقال إنه تركه على الأرض بين الحياة والموت حتى جاء البوليس، والصحيح الفصيح أن يقال بدلًا من كسعمه (خثعمه) فهو قد خثعمه أي ضربه حتى سال دمه.

ويقال فلان (خطرف) أو يخطرف في الكلام، بمعنى يهلوس أو تتساقط منه الكلمات أو صار مختلًا غير متوازن الخطوة، وفي الأصل: خطرف في المشي أي اتسعت خطواته أحيانًا وضاقت أحيانًا فهو لم يعد يمشي منتظم الخطو ثابت الوقع.

ويقال كان يمشي في الوحل فساخت رجله، ويقال ساخت وتسوخ، والصحيح أن رجله قد ثاخت بمعنى أن الأرض انحنت تحتها وغرزت فيها، وفي التعبيرات الشعبية نقول للفكاهة أو للسخرية: عاوزه إيه يا أخه؟.. يعني يا أخت، وهذا عربي فصيح.

وفي الأمثال الشعبية: إنه لا بنى ولا بتا – أي بنا بيتًا ولا سكنه، وفي الشتائم نقول: بتة لما تبتك، والبت في اللغة هو القطع، بت الحبل أي قطعه.. بت في الأمر: قرر وحسم فهو يدعو عليه بأن شيئًا ما يقطعه عقابًا له!

أي نـــوع
مــن النــاس؟!

من المؤكد أننا في غاية الحزن على أنفسنا.. وأننا زهقنا ومللنا وأننا انتقلنا من المشكلات الفنية في التعليم والتربية إلى المشكلات الأخلاقية: الغش.. وبيع الامتحانات.. أي بيع الضمائر.. والوصول إلى الهدف بأي ثمن.. والهدف هو النجاح في الامتحانات.. وهي مأساة أو مهزلة كل سنة.. وعلى الرغم من تكرارها.. فإن هذا التكرار يجعلنا أكثر اعتيادًا لها.. وبذلك تصبح أقل حدة.. تمامًا كالذين يسكنون في المقابر، اعتادوا على «الصويت».. واللطم.. والبكاء.. والدموع.. فلم يعد شيء يهزهم أو يوجعهم.

وقد حكى الفيلسوف الوجودي الفرنسي جابرييل مارسيل أنه وجد رجلًا نائمًا بعمق في دورة المياه وفي يده وردة.. ووجد الموقف صعبًا.. كيف ينام في هذه الروائح الكريهة.. بينما أناس يتمددون على الحرير وفي عبق الورود ولا ينامون! وكيف يمسك وردة ويشعر أن رائحتها أقوى من رائحة المخلفات الإنسانية! لقد وجد الفيلسوف المعنى.. المعنى أن الإنسان إذا اعتاد على شيء فإنه يفقد الإحساس به.. وقد اعتدنا على مآسينا وويلاتنا وسلبياتنا.. وتواكلنا فاعتدنا أن نؤجل عمل اليوم إلى ما بعد الغد.. وما بعد العام وما بعد القرن لا في التعليم وإنما في السياسة أيضًا، لا نحن المصريين وإنما نحن

العرب أيضًا.. والرجل الذي لم يؤجل عمل اليوم إلى الغد قتلناه: أنور السادات.

ولا بد أن نتساءل ولو لحظة: أي نوع من الناس نحن؟! ومن أي نوع من الناس أبناء أمريكا واليابان وألمانيا وكوريا والصين والدول الآسيوية الصغيرة التي تقدمت وتفوقت.. ونحن محلك سر.. أو محلك دون أن نسير؟!

بيـــب..

بيـــــب!

أما الدرس العظيم الذي سوف يبقى نموذجًا للأزمة والحل فهو ما حدث يوم 4 أكتوبر سنة 1957 أي في الذكرى الأربعين للثورة السوفيتية. فجأة أطلق الروس جسمًا صغيرًا فضيًّا لامعًا يدور حول الأرض ويقول: بيب.. بيب.. ما هذا؟

هذا إنجاز علمي جبار، هذه بداية (المارثون) العظيم نحو الفضاء ابتداء من كوكب الأرض وتابعها القمر ثم الكواكب الأخرى.

مفاجأة مروعة لأمريكا. لماذا؟ لأن أمريكا لم تتصور أن دولة جائعة متخلفة مثل روسيا لا فيها حرية ولا ديمقراطية تفضحها في الدنيا هكذا. كيف يستطيع الروس ويعجز الأمريكان؟! إن أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي يحلمون بأن يكون لكل واحد ثلاجة وغسالة وسيارة على الباب - وهو بالضبط ما يملكه أي بواب في أمريكا وكذلك زوجته وابنته. كيف لهذه الدولة الروسية المتخلفة أن تجعل أمريكا بجلال قدرها مسخرة وأضحوكة الأمم؟

وبعد هذا الجسم الصغير أطلقت قمرًا أكبر وبه الكلبة لايكا.

وبعد ذلك أطلقت قمرًا أكبر وفيه أول إنسان في التاريخ جاجارين.

ولم تكتف بهذه العظمة العلمية وإنما استعادته سالمًا إلى الأرض وجعلته يزور كل العواصم بما فيها القاهرة!

صدمة فظيعة لأمريكا. وقبل أن تترنح قررت أمريكا أن تعرف لماذا حدث ما حدث. ما هي الغلطة التي وقعت فيها أمريكا وتخلفت عن روسيا رغم علمها بكل النظريات الفلكية والصواريخ حاملة الأقمار؟ فقرر الرئيس الأمريكي تشكيل لجنة من كبار الخبراء، وأن تظل هذه اللجنة منعقدة إلى نهاية القرن. ولن تنفض قبل أن يعرف الأمريكان ما الغلطة، ما السقطة، ما الهفوة.. وما العلاج؟!

وأصدرت أمريكا كتابًا تعترف فيه بأخطائها وبأنها سوف تصلحها.. ومع ذلك ستظل اللجنة منعقدة، أما الكتاب فاسمه (أمة في خطر).. وقد نقلت هذا الكتاب إلى الرئيس مبارك إلى يده في بيته. وقرأه الرئيس واستشعر الخطورة.. وبعث به إلى د.مصطفى كمال حلمي وزير التعليم في ذلك الوقت. وقرأه د. حلمي وعلق عليه ونشرت رأيه في مجلة (أكتوبر). وظهر هذا الكتاب – اسم هذا الكتاب – في عدد من الخطب الرنانة للوزراء والساسة.

فماذا حدث بعد ذلك؟ ولا حاجة. وإنما هم (أخذوا علمًا) بما فعلته دولة عظمى أمام صدمة عظمى.. وبس!

وتناولت هذا الكتاب أو هذه الروشتة للإصلاح في أمريكا كل الصحف والقنوات، وأضافوا إليه. وانتظروا وجاء الحل تدريجيًا. أما بالنسبة للسباق في الفضاء فقد لحقت أمريكا بروسيا وتفوقت عليها، ولا تزال تسبقها إلى الكواكب وإلى الفضاء الخارجي، ومنذ أيام احتفلت هيئة الفضاء الأمريكية بعيدها الذهبي – وهو سجل رائع ساحر لدولة تعيش حاضرها في مستقبلها الباهر.

هل تعلمنا؟ هل استفدنا؟ والجواب: لا.. يعني إيه؟ يعني يا بدر لا رحنا ولا جينا. ولا قلنا ولا سمعنا، ولا عندنا خبر بما يحدث في

الدول العظمى والدول الصغرى. وإنما نحن نعيش في الظلام ونموت في الخطب. ولنا ماض وليس لنا حاضر، ولا نريد أن يكون لنا مستقبل!

ولكن لماذا كل هذا؟ لأننا نضيق الشعور بالأزمة والإصرار على الخروج منها وحلها بروح جادة. وما نراه وما نستشعره اليوم على كل المستويات العلمية والتربوية شاهد على ذلك. ولا أقول المستويات العلمية؛ فالعلم والبحث العلمي مأساة أخرى!

سـوف
يحـرق الكتـب!

من غير قصد تدحرج الوزير الفنان فاروق حسني إلى عش الدبابير.. فقد استخدم تعبيرًا عاميًا مصريًا في حديثه عن التطبيع الثقافي بين مصر وإسرائيل.. وهو أنه سوف يحرق الكتب العبرية. ونحن عندما نستخدم كلمة الحريق هذه لا نعني إشعال النار في أي شيء – لأن النار عندنا قش.. وقد وصفها الأديب أحمد حسن الزيات بأنها فرقعة ولألأة ثم سقوط وفناء.. فنحن لا نحرق ولا نوقد.. وإنما نقول كلامًا لا نعنيه تمامًا..

ونحن لا نعرف معنى الحريق عند اليهود.. فليس له إلا معنى واحد: الحريق الشامل.. الهولوكوست.. أي حرق هتلر لليهود في معسكرات الاعتقال في داخاو ويوخنفلد.. وقد رأيت هذه المحارق الشنيعة، فأنت عندما تدخل متحف هذه المحارق فإن الأرض تميد تحت قدميك من الهباب المتخلف عن المحروقات وأنت تخوض فيها حتى تدخل إلى أماكن الأفران إلى آخره.. وقد رأيت صورة لذلك في إسرائيل في متحف (فاد فاشم).. البطولة.. (إحراق) عود كبريت مثل (إحراق) مدينة!

ولي تجربة، فقد كانت الصحف كلها تنشر أحاديثي مع الرئيس السادات كل أسبوع، وكان ذلك بقصد الدعاية لمجلة (أكتوبر) الوليدة.

وفي أحد الأحاديث قال الرئيس السادات عن مستعمرة (ياميت) التي في شمال سيناء: لا أريدها.. فليحرثوها. فظهرت هذه الكلمة في جريدة الأهرام: فليحرقوها..

وقامت الدنيا وهاج مناحم بيجين وثار ومن ورائه الشعوب اليهودية. وطلب مني الرئيس السادات أن أوضح وأعتذر.. واعتذرت.. ولم يفهم بيجين أن حرف القاف وحرف الثاء متشابهان أمام عيون العمال المرهقة.. وكان لا بد لفاروق حسني أن يعتذر أيضًا!

ولا كانـــت جميلـــة!

السيد بلدياتي ابن قريتنا. هل تود زيارتنا؟ سوف تسعدنا خطواتك وحكاياتك.. ومن حسن الحظ أن (الكتاب) الذي تعلمت فيه لا يزال قائمًا لم تمسسه المدنية.. وما زال الشارع الضيق والبيت الطين..

هل تريد أن تعيش الماضي الجميل؟

محمـــود العبيســـي

مدرس أول رياضيات

والله يـا سيـدي ما كانـت أيامًا جميلـة، لا أرضهـا ولا هواؤهـا ولا سماؤها. ولأننا لا نعرف غيرها، رأيناها أحسن ما في الدنيا.. مع أننا لا نعرف ما هي الدنيا.. فدنيانا أولها السكة الحديدية وآخرها وابـور الطحين.. وأكبر شخصية فيها شيخ البلد والعمدة. أين هذه القبور التي ندخلها ونخرج منها كل يوم من فصول التلامذة في مدارس طلخا وأكاديمية الدلتا؟! اذهب، وتفرج، وسوف ترى النظافة والأناقة والحدائق والأبهة والكمبيوتر أمام كل طفل.. فلا قش على الأرض ولا براغيث في القش.. لا أنت مضطر أن تذهب إلى عشة الفراخ لتبحث هل باض الدجاج.. وكنت أمد يدي في الظلام.. وأنا وبختي.. هل هي بيضة دجاجة أو بيضة ثعبان.. وأعود إلى البيت وقد تحولت ملابسي إلى أشكال وألوان من الطين. ولا حق لي في الشكوى. فمن علمني حرفًا صرت له عبدًا، فما بالك بمن يعلمك القرآن الكريم؟

إنها معجزة يا سيدي أن خرجنا أحياء من الطين الذي نسميه الريف ومن الكهف الذي نسميه المدرسة. إنها معجزة أن خرجنا ومعجزة أننا لا نزال أحياء ندعو للحياة وإلى أن ننظر إلى ماضينا بكبرياء وإلى أيامنا باعتزاز وإلى أرضنا بحب..

تمنياتي لك ولكل أبناء قريتنا بالسعادة وراحة البال والرضا بالقليل أملًا في الكثير الذي سوف يكون من نصيب كل مجتهد.. وقد كنا مجاهدين ومجتهدين والحمد لله..

التعليـــم..
مصيبتنــــا!

ما نقوله هذا العام لم يختلف عن الذي قلناه في خمسين عامًا – مع اختلاف في الأسماء. نفس الشكوى من الامتحانات والأسئلة خارج المقرر، وأولاد الأساتذة والغش وبيع الأسئلة.

نفس الكلام ونفس الوعود والوعيد. والحل هو نفس الحل الذي هو لا حل!

هات كل الصحف التي صدرت في نصف القرن الماضي في موسم الامتحانات وهوجة الأسئلة ومأساة الرسوب وملحمة المدرسين والوزارة وكارثة الدروس الخصوصية.

نفس الكلام!

وما يقوله الطلبة: الامتحانات صعبة. والأسئلة من خارج المقرر.

ووعود الدولة بأن تقنن وضع الأسئلة وتوزيع الدرجات. ووعود بأن الأسئلة في العام القادم سوف تكون أسهل والنتائج أفضل.

كيف وعلى أي أساس؟ أي كيف تجعل الأسئلة أسهل وتبحبح في الدرجات وتبقشش في التقديرات وتفسح الطريق أمام الناجحين بلا مبرر أن يدخلوا الجامعة وأن يتخرجوا. ولا يهم إن كانوا قد تعلموا. المهم أنهم نجحوا والسلام.

ونفس الكلام أن الناجحين أنصاف متعلمين أو أنصاف مثقفين. ولكن لا بد أن ينجحوا فالدولة قد وعدت البرلمان - أي أولياء الأمور - المهم هو إرضاء أعضاء البرلمان. ولا يرضى الأعضاء إلا بنجاح الأبناء. ولا يرضى الأبناء إلا سهولة الأسئلة. يجب أن تكون الأسئلة سهلة.

ونحاول أن نسأل الناس الذين سافروا إلى الخارج أو الذين تعلموا في الخارج إن كانوا قد صادفوا شيئًا مثل الذي نواجهه في مصر. الجواب: أبدًا! وإن كان أحد يشكو من الامتحانات، إن كان أحد يملك أن يغير الأسئلة ويغير الدرجات، إن كان أحد يستطيع أن يتنبأ بنسبة النجاح في العام القادم.

الجواب: أبدًا.

ولكي يكون هناك حل يجب أن تكون أمامنا مشكلة. نعرف أولها وآخرها، ونعرف أين تبدأ وإلى أين تنتهي.. هل المشكلة هي الطالب.. المدرس.. المقرر.. فلسفة التعليم والتربية.. منافقة الجماهير.. إرضاء الناس بأي ثمن حتى لو كان الثمن هو العلم والتعليم والتربية؟

ليس عندنا وقت لكي نفكر ونضرب ونطرح.. فنحن نريد الحل الآن فورًا، وفي ذلك أقصى درجات الكفاءة والبراعة، والبراعة هي في الاستجابة الفورية لرغبات الجماهير، فالجماهير هي التي تحكم.. هم السادة، ورغباتها أوامر، وأوامرها قضاء وقدر.

ومن أوامرها: أن نضرب الأرض تطرح البطيخ، كيف؟ لا أحد يسأل.. إن الطفل لا يسأل كيف يحصل والده على المستحيل الذي يريده الطفل، إنه أراد وإرادته أوامر، وكذلك الجماهير، وقد عودناها

على أن نلبي ولا نناقش، ومن أهم مطالبها السنوية النجاح كل سنة. فالنجاح هدف يجب أن يبلغه التلميذ بأي شكل وبأي طريقة، ولذلك كان اتهام الجماهير لواضعي الأسئلة، وكان الاتهام الدائم للمدرسين الذين يعطون الدروس الخصوصية، وحتى لا يكون هناك اتهام لأحد يجب أن ينجح التلميذ، وبس!

هل نحن نعرف أين الخطأ؟ الجواب: نعم. ما الذي يمنعنا أن نصلح الخطأ؟ الجواب: إننا نكتفي بأن نعرف الغلط ولكن ليس عندنا رغبة قوية في إصلاحه، وليس عندنا وقت طويل وصبر جميل.. إنما نريد أي إصلاح فوري، ولا يكون إصلاحًا. فإذا لم نستطع - ولن نستطيع - فنؤجله إلى (عام مقبل).. وليس إلى (العام المقبل)، وهذا المقبل لا يقدم ولا يجيء!

وهذه فلسفتنا في كل شيء!

منتهى الكسوف!

أخيرًا وبعد عشرين ثلاثين سنة ظهر رجل هو الأستاذ جمال زايدة يقول كلامًا عاقلًا وطنيًا.. فقد أغضبه ما عرف من أن وزير الأوقاف ورئيس جامعة الأزهر قد جمعهما سفير مصر في باريس مع حاخام اليهود.. فغطيا أيديهما وأخفياها في جيوبهما حتى لا يصافحاه.. لماذا؟ لأنهما لا يريدان أن يتحدثا إلى الآخرين.. لأن الإسلام الحنيف يحرم الحوار الذي أحله الرسول الكريم.. فقد حاور اليهود وصالحهم وتزوج إحدى نسائهم السيدة صفية.. ويقال والسيدة ريحانة التي لم ترتد عن دينها ثم أسلمت بعد ذلك.. واتهموا د. زقزوق بأن زوجته يهودية!

وتذكرت أن تحية كاريوكا قالت في أول عدد لجريدة الأخبار إنها بصقت في وجه سوزان هيوارد لأنها يهودية.. وقالت: إن يحيى حقي زوجته يهودية.. لأنه فرض على الراقصات زيًا محتشمًا!

وليس صحيحًا ما قالته كاريوكا.. ولكنها ادعت شيئًا.. أما وزير أوقافنا والوفد الرسمي فكأنهم لا عبروا بحرًا ولا طاروا.. ولا قالوا ولا أعرف لماذا عادوا..

وأذكر أن سفيرنا أحمد ماهر دعاني إلى عشاء وسألني من تريد أن ترى؟ قلت حاخام اليهود وسفير إسرائيل الذي كان أول سفير لها

في مصر، بن اليسار.. وتعاتبنا وقلت للسفير إن زوجتك شتمتني في مذكراتها.. ثم قلت له إن كارمن فاينتشين رئيسة الطائفة في مصر نفت ما قيل عن زوجتك.. وضحكنا.. وكان الحاخام أقلنا كلامًا وأكثرنا إنصاتًا.. وكان - هناك - جاهزًا لأي كلام.. وكان من واجب السفير أن يأتي بعلية القوم.. وأن نتكلم ونتفاهم.. بمنتهى الصراحة أضم صوتي إلى جمال زايدة.. وأخفي وجهي في خجلي، في عاري على العقلاء من علمائنا!

اضبط:
مياه ملوثة!

اضبط: المياه النقية ليست نقية اللون والرائحة والطعم. وهي من إنتاج شركة عالمية كبرى. ظننت أول الأمر أن الرائحة هي رائحة البلاستيك.. العجينة.. وتجفيف تعبئة أو أي شيء آخر، فلست خبيرًا في صناعة عجائن البلاستيك وتجفيفها.. وبعد ذلك شربت من الماء. ليس ماء.. لا اللون ولا الطعم والرائحة.. لا هي رائحة دواء ولا هي رائحة مريحة. وإنما هي مياه كريهة الطعم والرائحة..

واشتريت صندوقًا ثانيًا وثالثًا ورابعًا - وكلها موجودة عندي لمن يعنيه أمر الغش التجاري والإضرار بصحة الناس الذين أسلموا المعدة والأمعاء للشركات الكبرى. خاصة هذه الشركة العالمية..

وليس من المعقول أن تعمل الشركة الكبرى على تشويه سمعتها الهائلة التي اكتسحت القارات الخمس. وعندما جاءت إلى مصر تبيع لنا الماء أقبلنا عليها متأثرين بسمعتها في البن واللبن والشيكولاتة.

إذن لا بد أن شيئًا ما قد حدث.. كأن تقوم شركات منافسة بتشويه سمعتها وتقليصها من السوق بعد أن أغرقت باسمها ومنتجاتها كل الأسواق وكل المنافسين لها في العالم وفي مصر.

ولا أعـرف إن كان مستهلكون غيري قد تنبهوا إلـى هذا الغش الفظيع. ولا أظن أنني وحدي الذي أحس بذلك. وحتى لا أظلم أحدًا في الشركة العالمية أو في غيرها. فإنني أحتفظ بالصناديق الأربعة عندي. وأعرف من أين أتيت بها. والباقي يقدر عليه البوليس والنيابة.. اللهم قد بلغت..

الشـــــذوذ السياســـــي

درس فــي السياسـة السورية الجديدة: الكلام لك فاسمعي يا جارة!

يعني يذهب وفد من سوريا ووفد من إسرائيل ودولة وسيطة هي تركيا تنقل الكلام من هنا إلى هناك ليلًا ونهارًا..

فالمفاوضون من سوريا قد أداروا ظهورهم لمفاوضي إسرائيل. وقالوا كلامًا غير مباشر تسمعه الجارة. وفي الوقت نفسه طالب الرئيس الأسد بضرورة وجود أمريكا في كل المراحل. أي أن القضية كلها في يدي أمريكا كما قال السادات واتهموه بالخيانة وفكر حزب البعث في محاكمته وإعدامه في دمشق – وهو ما لم نفكر فيه نحن الآن، فلا نريد أن نحاكم بشار الأسد ولا أن نتهمه ثم إعدامه في ميدان سوريا لخروجه ومروقه وخيانته للقضية.

ولا شأن لنا بما قاله العاهل السعودي فيصل من أن الأسد الكبير قد باع الجولان وقبض. وردد السادات ذلك. وعفا الله عما سلف!

وكنت وأقترح – ولا تؤاخذني في التعبير النفسي فلا حياء في العلم – أن توصف نظرية سوريا في المفاوضات بأنها نوع من (الاستمناء السياسي) وهو نوع من الشذوذ الجنسي أن تنظر إلى صورة حلوة وتتلوى عليها. مادمت عاجزًا عن أن تجدها بين أحضانك، فلا حمل ولا ولادة ولا نتيجة!

وأخيرًا لا أمل إطلاقًا في استعادة الجولان، حتى لو أدى إلى أن تبقى الحرب إلى الأبد مع إسرائيل، فقد اعتاد اليهود على العذاب والاضطهاد والتيه كما اعتادوا أيضًا وعددهم 13 مليونًا، نصفهم في إسرائيل والباقي في نيويورك وغيرها أن يعرفوا سر الكون: الفلوس ووسائل الإعلام وتمزيق الصفوف التي اتحدت ضدهم من مسلمين ومسيحيين. وسوف يرى أحفادنا ذلك!

شعـــوب

الفـــرص الضائعـــة!

قالها شاعرنا الرقيق العميق الحكيم كامل الشناوي:

وتضيع من قدمي الطريق

قالها في الطريق إلى المحبوبة ومنها وحولها. ولكن هذه حال من يفكر في السياسة والدين والاقتصاد. ومن يتقدم الناس يرصد هلال شهر رمضان وشوال وذي الحجة ويناير وفبراير ومارس. لقد اضطرب الفلك ولم تعد للسماء هيئة فلكية فنقول هنا: القوس والأسد والسرطان والعذراء والأبراج الصينية، هنا الفأر والكلب والقرد..

فلم يضع الطريق من قدمي.. فعندنا طرق وليست عندنا أقدام تمشي وعين ترصد ويد تمسك. فإذا كان هذا حالنا فلماذا هذا الطمع؟ وادعاء النبوة والحكمة وفصل الخطاب.. ثم لا يعرف أنبياؤنا أنهم المسيخ الدجال ونوسترادموس.. ولماذا هذا الحشد من المنحرفين والنصابين على كل منصة يقولون ونسمع إليهم، يفشرون ونؤمن بهم..إن العالم الروسي بافلوف قال لنا وصدقناه إنها أفعال وردود أفعال:

إذا وقف واحد وتصلبت عروق رقبته ثم فتح فمه وراح يزعق، يشتم الناس وقفوا وأنصتوا واستمعوا وأطاعوا وقالوا: ربنا وإليك المصير. لا هو ربي ولا المصير.

ولم يحدث إلا نادرًا في التاريخ أن انقلبوا على راسبوتين..

وأحفاد راسبوتين في السياسة والدين!

ولم نجد الوقت بعد لأن نفقأ عيوننا بأيدينا ونسد آذاننا بالطين والعجين قرفًا واحتقارًا لهؤلاء النصابين ورد اعتبار لأنفسنا، فإن لم يكن هذا هو الوقت فمتى؟ إننا شعوب الفرص الضائعة.. التي ضاقت وتضيع كما ضاع من أقدامنا الطريق ومن عيوننا الألوان ومن آذاننا الأصوات ومن عقولنا أن نقول: لا..

هــان الزمــان والمكـــان

يقول شاعرنا العظيم شوقي في الحب:

قـد يهـون العمـر إلا ساعـة   وتهـون الأرض إلا موضعـا

صدقت ألف مرة يا سيد الشعراء، فهذا قبر أمي. فقد انحسرت الدنيا وغابت وذابت ضبابًا وهبابًا في سماء القاهرة إلا هذه المسافة الصغيرة من الحجر الوردي – تلبية لرغبة أمي. آخر رغباتها قبل آخر أنفاسها وعذابها وأول أنفاسي وعذابي من بعدها. بل ليس لها (بعد) ولا (قبل). فهي العذاب بلا بداية ولا نهاية. وهي هذه المساحة الصغيرة من تراب وطوب وحجارة وظلال أشجار الصبار الضيقة في العين.. والتي لا نهاية لها لا في العين والبال والخاطر.. وهي شلال الدموع وهي بركان الآهات، والدليل الوحيد على أن بعد الموت حياة. وأنها تنيب عنها في أحلامي صورها الجميلة وابتسامتها مصدر الأمل اليتيم في حياتي، وهي الجناح الرقيق الشفاف الشفيف إلى ما بعد الحياة.. وضاقت الدنيا على رحابتها إلا هذه البقعة من الأرض!

وطال زماني بين القارات أعلو وأهبط من القطب إلى خط الاستواء إلى القطب، ومن غابات الهند إلى استوديوهات هوليوود، ومن الفاتيكان إلى معابد بوذا، ومن عاريات جزيرة بالي إلى معابد الشنتو، ومن براكين هاواي إلى جنات الريفيرا الإيطالية وهذه

السلالم الموسيقية: رأبالوا ويورتوفينو وسورنتو وأمالفي. وكلها معًا تحولت إلى يوم واحد إلى جوار سرير أمي.. وتقلصت الساعات فصارت دقائق والدقائق إلى ثوان والثواني إلى زمان بلا مكان، والمكان إلى هباء بلا زمان..

لقد هان المكان والزمان إلا هذا المكان وتلك اللحظة. وكلها تجسدت في دمعة واحدة قد خرجت من فوق إلى الأرض ترابًا يتلاشى في تراب!

أحفـــاد
الفـــلاح الفصيـــح..

نحن فلاحون. وأبونا هو الفلاح المصري الفصيح الذي جاء في القصص الشعبية الفرعونية، وهي حكاية فولكلورية مصرية قديمة، تقول إن فلاحًا ذهب إلى السوق فسرقوا حميره، وراح الفلاح يشكو لطوب الأرض. ولا مجيب. حتى علم الملك أو الحاكم أو الفرعون بدموع الفلاح وفصاحته – أي أن الفرعون قد أعجبه أدب وفن هذا الفلاح الذي جمع حوله الناس. واستدعاه يسأله. وتفنن الفلاح في عرض شكواه وبكى وأبكى. وكان الفرعون يستدعيه من حين إلى حين ليتغنى الفلاح بمأساته. ومأساته ليست فقط أنهم سرقوا حميره، ولكن أن الحاكم أعجبه ذلك واستدعاه وطلب إليه أن يشكو وأن يبكي. ولم يفعل الفرعون شيئًا، لا غضب على اللصوص ولا عاقبهم ولا أعاد للفلاح ما ضاع منه..

وقد ورثنا من الفلاح الشكوى واكتفاء دور الحكام مثل الفرعون أن يسمعوا وأن يستعيدوا الفلاح شكواه وبلواه وبكاه.. ولم يسجل التاريخ موقفًا إيجابيًا للفرعون أو للناس الذين أبكاهم عليه وعلى حالهم.. فقط هذا المأتم اليومي لرجل فصيح.. هذا الشاعر بربابة.. والحكاية تحية للفن وإهانة للسياسة.. تحية عظيمة لفنان على باب الله، وإدانة للجالس على العرش حامل تاج القطرين، وتأكيد لأن الملك هو الآخر يريد أن يتسلى على آلام الرعية.

فمن حقه أن يتربع فوق وأن يرفع الناس وجوههم تحت..

وللأمانة التاريخية تروي بعض البرديات أن الفرعون قد منح الفلاح الفصيح هدية تعويضًا.. ولم يعاقب اللصوص لأنه لم يجدهم. وهو لم يجدهم؛ لأنه لم يقبض عليهم ولم يمسك بهم؛ لأنه اكتفى بسماع الشكوى البليغة..

وكذلك ندواتنا وجلساتنا ومؤتمراتنا كلها بكائيات لفلاح فصيح.. ما زال يبكي من ألوف السنين. وسوف يبكي ألوفًا أخرى.

ونحن صحفيون صغار كنا نزور لطفي السيد باشا وكان مريضًا، ولكنه في غاية اليقظة العقلية. وكان يردد دائمًا أن المستقبل للشباب، وأن الشباب معناه: العافية والروح الجادة والعلم، وأنه من غير شباب متعلم لا مستقبل.. وكان لطفي السيد لا يمل هذه النغمة، وكان يضرب الأمثلة في جمهورية أفلاطون، ويؤكد أنه لا سبيل إلى أي شيء جديد مبتكر إلا بالعلم، وإلا أن نكون شبابًا عالمًا.

ومما حكاه لنا لطفي السيد أنهم عثروا على بردية فرعونية تحكي قصة أب ضبط ابنه يلهو في إحدى الحدائق، فأمسك به وسأله: هل ذهبت إلى المدرسة؟ فقال: لا.. فضربه وجرجره إلى المدرسة، وأمام المدرس وزملائه الطلبة قال له: اذهب إلى الحديقة ثانيًا: والعب ثالثًا وتزوج رابعًا، ولكن أولًا وقبل كل شيء: اذهب إلى المدرسة واركع واسجد أمام الأستاذ، فمن هنا يبدأ الطريق إلى أعلى!

ولم يكتف لطفي السيد بذلك، وإنما دعانا إلى أن نلقاه في اليوم التالي ليشرح لنا ما معنى وما دلالة هذه الحكاية الفرعونية، وفي اليوم التالي قال وشرح وتمنى لمصر النجاح والفلاح على أيدينا.. شبابها العالم الحالم.

ولا يـزال كلامه في آذانـنـا ويبدو أنـه لم يدخل من آذانـنـا إلى عقولنا.. إلى أيدينا.. إلى مستقبل بلادنا!

فنحن لم نعد نجد في أيامنا أناسًا لهم حكمة وشجاعة لطفي السيد.. إننا نجد جـرأة واجتراء، ولكن ليس بيننا صاحب الحكمة الخالصة لوجه الله، والذي يلقى الاحترام العظيم من كل الجالسين على مقاعد الحكم والجالسين أمامهم، ولكن لماذا؟ لسبب بسيط وهو أن (الكلمة) لم تعد شيئًا محترمًا، ولكن لماذا؟ لأن الكلام كثير جدًّا والفعل قليل جـدًّا.. والخلاصة: إنـنـا ننتقل مـن التراجيديا إلى الكوميديا!

بـــــل ساعدنـــــي!

اللهم لا تساعدني.. اللهم لا تأخذ بيدي وعيني وأذني وعقلي.. فإنني لا أستحق هذا الشرف العظيم.

فقد أعطيتني وأضعت.. وأضأت لي، فلم أر.. وقلت وقولك الفصل فلم أعقل.. وأرسلت وبعثت وقلت ولكني عذبت نفسي بجهلي وغروري وكل ما لا ينفع الناس ولا ينفعني.

فهذا كتابك العظيم.. ولم أقرأ ولم أحاول ولم أفهم.. ورأيت الحكمة ناصعة.. ورأيت الطريق إلا إليه.. وبعثت أنت من يشرح ومن يصدق ومن يقول.. ووجدتني بعيدًا لا أريد.. ووجدت طريقك فانشغلت عنه.

وطال العمر واتسع الوقت وضاق بحكمتك.. وفتحت لي ألف باب للأمل.. فأغلقتها واحدًا واحدًا.. لا في وجه أحد، ولكن في وجهي.. وجلست أبكي وراء الباب سوء الحظ والمنقلب.. وفتحت لي أبواب الجنة فانكفأت على أبواب النار أنشد رحمتك التي كانت قريبة ووجدتها بعيدة.. وكان الباب أقرب والكفر أدنى.. وبدلًا من طلب رحمتك ونعمتك.. طلبت منك أن تساعدني عليك، والكفر بك.. فوجدتني أقرب إلى العذاب والهوان والضياع.. بلغ غروري مداه عندما ركعت وسجدت أطلب منك أن تساعدني عليك أن تحشرني في زمرة الشياطين الكافرين.

لولا رحمتك ورضاك وجناتك الوارفة.. وغفرانك اللانهائي لمن يستحق ولمن لا يستحق..

يا رب لا تساعدني إذا طلبت إليك ألا تفعل.. يا رب لا تصدقني إذا أمسكت يدي وضممتها إلى صدري حتى لا تمتد إليها يداك تفتح عيني وأذني وتشرح لي صدري وتيسر لي أمري فأكون ذرة في فيض نورك.. فاللهم ساعدني على نفسي، لا عليك.. وارحمني من عذابي قبل عذابك.. إنك سميع مجيب الدعوات!!

وحياتك

لا فرق!

فوجئت بوفاة العالم الباحث المتفاني د. عبد الوهاب المسيري.. ولم أعرف الرجل.. ولم أره إلا مرة واحدة.. ولست متأكدًا إن كان هو الذي قدم لي نفسه أو أنا.. أظن أنا.. الرجل هادئ صامت شاحب مأخوذ منا.. لم يقل كلمة واحدة.. وقد شكاه كثير من الصحفيين والكتاب اليهود في مقابلاتنا هنا في القاهرة، أو في تل أبيب.. وطبيعي أن يفعلوا ذلك، فالدكتور المسيري صاحب رأي ورؤية.. ثم هو عالم جليل.. وطبيعي ألا يعجبوا به وهو يخوض نظيفًا ضد الخرافات والأكاذيب والمؤامرات في 25 قرنًا.. ولم يشأ المسيري أن يؤلف موسوعة عن اليهود والصهيونية تفسيرًا للكلمات أو الأسماء – مثل كل المعاجم – وإنما اختار الأصعب.. جعلها أبحاثًا ومقالات واضحة بديعة.

وقد تفرغ د. المسيري، وانتبذ من أهله مكانًا قصيًا.. فأنت لا تراه في أي مكان ولا تسمعه.. فقد ارتضى الوحدة والصمت.

ويقال إنه لم يتوقع أن يمشي في جنازته أحد.. فليس قعيدًا لأحد.. ونفرض يا سيدي أن الشعب الصيني سار في جنازته طابورًا حتى نهاية القرن.. وإيه يعني؟ ماذا أحدث وماذا أضاف؟ أنت تراب تدب على تراب.. كما قال شاعرنا المعري:

ما أظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد

أنت تعبت وتعذبت.. وهذا هو شذوذ المفكرين: أن يجدوا في العذاب لذة.. واللذة عذابًا.. وكلنا كما قال شوقي:

إذا ما نفقـت ومــات الحمـار   أبينـك فـرق وبيـن الحمـار؟

والله لا فرق.. غلطان أنت يا أستاذ؟.. لا.. عبيط أنت يا عالم؟ نعم.. ولست وحدك.. وإنما أنت حبة في سلسلة طويلة قبلك ومن بعدك.. فلا تحزن يا سيدي.. فكلنا ذلك العبيط الذي توهم وانتفخ وعاش كما عاش أبو العلاء رهين المحبسين: القلم والألم!!

قـــاع
المجتمـــع..

أديبة يهودية مصرية اسمها (ليست لنيادو) كتبت قصة حياتها بالإنجليزية في مصر وخروجها مع عشرة آلاف أسرة أخرى إلى الدنيا الواسعة. يستأنفون الحياة الخشنة بعد أن تركوا ما كان لديهم من مال وأبهة. قصة حياتها اسمها (الرجل ذو البدلة «الشاركسكين» البيضاء) – أبوها.

ولي أصدقاء من هذه الأسرة وعائلات يهودية أخرى: هراري وحسون ومنصور، القصة رقيقة ناعمة موجعة للقلب.. وهي ككل قصص الاقتلاع من الوطن والطرد إلى أوطان أخرى. والمؤلفة لا اتهمت ولا شتمت ولا كرهت ولا أدانت أحدًا. وإنما ارتضت قدرها وقدر أبناء دينها في كل الدنيا. وفي هذه الرواية أو قصة حياتها صفحات تبكيك. مع أنك لا تعرف أحدًا منها. وقد فازت بجوائز أدبية عالمية.

والمؤلفة مصرية، لذلك قد قرأت واستوعبت كثيرًا من الأعمال الأدبية المصرية. مثلًا قرأت رواية د. علاء الأسواني (عمارة يعقوبيان) وهي تحفة أدبية ومن علامات الأدب السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

ففي هذه الرواية وضع علاء الأسواني قاع المجتمع المصري فوق السطوح.. لقد ارتفع بالشارع إلى مستوى السطوح وانحط بالسطوح

إلى مستوى الصرف الصحي. قال ووصف وحلل وأبدع وأوجع. تقول «ليست»: إن علاء الأسواني صور واقع مصر بعد خروج فاروق والأوربيين وقدم لنا مصر الغارقة في الفقر والفساد..

وقالت أيضًا: لولا رواية (قصر الشوق) لنجيب محفوظ ما فهمت حياة والدها. ودوخته في كل مكان.. ولولا نجيب محفوظ ما فهمت أعماق المجتمع المصري وطبيعة الشخصية المصرية. ولم يكن نجيب محفوظ قاسيًا على بني وطنه، وإنما كان ودودًا حانيًا عليهم، وهي أيضًا..

الصمت والعجز..

كتب الأستاذ لبيب السباعي في الأهرام مقالًا حزينًا هو حفل تأبين لا لوزارة التعليم ولكن للتعليم كله في مصر حاضرها وماضيها، فعلى مستقبلها السلام، وحيث لا تعليم فلا علم، وحيث لا علم فلا نور، وحيث يسود الظلام يسود الظلم أيضًا!

وما من رئيس وزارة جديدة في أوروبا، أو رئيس جديد في أمريكا إلا ويتحدث في موضوعين: نقص الإبداع وإصلاح التعليم.

وإذا كان هذا هو حال الدول التي سبقتنا وبلغت الكواكب والنجوم وتحاول أن تعيد لنا كيف خلق الله الكون، ولكي تعرف ذلك احتاجت إلى جزء من مليون من الثانية!

في هذا الجزء تتصادم الذرات بسرعة الضوء وترتفع الحرارة من الصفر المطلق – أي 273 مئوية تحت الصفر إلى ثلاثة آلاف مليون مئوية، أي مائة ألف مرة حرارة جوف الشمس، ومن تسريع التصادم نعرف (الانفجار الكبير) الذي أمر الله بأن يكون فكان!

وتكلفت هذه الثانية ثلاثة بلايين دولار، وبمجهود سبعة آلاف من العلماء، ومع ذلك يشكون ويبكون على نقص العباقرة والمبدعين!

وأشار الأستاذ لبيب السباعي إلى أننا لم نسكت، فالذي فعله الوزير د. فتحي سرور نعيده ونضيف إليه، والذي قام به د. بهاء الدين نعيده ونزيده، ويتحول اللت إلى عجن ونسمي ذلك تطورًا وإنما هو تدهور، فليس غريبًا أن تكون المقالات بكائيات ونمد أيدينا إلى أيدينا نعزي أنفسنا في عزيز لدينا: هو الطالب الذي هو.. أمل مصر ومستقبلها!

حيـــاة ومـــوت: غامـــض!

أعرف أشرف مروان ولا أعرفه.. أعرف القليل منه وعنه.. أما ما عدا ذلك فلا أعـرف عنه شيئًا.. ولكن القليل الـذي عرفته أرضاني وأعجبني.. وأذكـر أنني ذهبت إليه في قصر عابدين لحل مشكلة صحفية.. فحلها في دقيقة.. ذهبت إليه لرفع ظلم عن أحد الزملاء فرفع الظلم.

حدث ذلك بما له من نفوذ عند الرئيس السادات.. لم يكن نفوذًا فقط.. إنما كانت هناك ثقة كاملة به.

قابلته في لندن.. سألني إن كنت في حاجة إلى مساعدة.. شكرته.. وكان يعني ما يقول.. أما الذي أنا في حاجة إليه فلا يحتاج إلى مساعدة.. فأنا أبحث عن دائـرة معارف طبية.. نفدت كلها.. لكنه استطاع أن يعثر عليها في مخازن إحدى دور النشر!

سألني إن كان في نيتي أن أؤلف كتابًا عن العلاقات المصرية – الإسرائيلية.. ثم اقترح عددًا من الأسماء لا بد من الحديث معهم.. فهم أصدقاء لمصر.. أو هم دعـاة السلام.. وبعضهم قد التقى الرئيس السادات.. وكان هو حريصًا على الجلوس إليهم.

وفـي يوم كنا في الإسماعيلية وسألني عن مقالي في مجلة أكتوبر.. فقلت له إن الرئيس زعلان من السعودية.. وسوف أعبر عن

ذلك برفق.. وعند منتصف الليل اتصل بي وسألني بالضبط ما الذي كتبته؟ فقلت: الخطوط العريضة لمقال الغضب.. وحكيت للرئيس، فإذا بالرئيس يغضب غضبًا شديدًا وقال: لم يكن في لندن كما قال لك.. لقد كان في الرياض!

وقال الرئيس كلامًا كثيرًا..

وكان الرئيس السادات معجبًا بذكاء أشرف مروان.. وكان يقول: خسارة أن أشرف ليس متفرغًا لخدمة مصر.. إنه يرى أنه أكبر من كل الذين عمل معهم.

لقد كانت حياته غامضة.. وموته أكثر غموضًا!

لا بحث علميًّا عندنا!

حضرت ندوة أو اجتماعًا قوميًا – قيل إنه قومي – ونظرت إلى الحاضرين فلم أعرف لماذا هو قومي؟ ومن هؤلاء؟ وكان من بين الحاضرين الجراح العالمي مجدي يعقوب. كان في طريقه إلى جنوب إفريقيا. ورأى من واجبه أن يتوقف ليشارك. وجاء ولم يشارك. شارك فقط بالحضور. ولا سألناه ولا احتفلنا به.

ولا بد أنه تساءل ما المعنى؟ ما الهدف من استضافته جسمًا ورسمًا وكتمنا أنفاسه فلم يقل شيئًا؟ فكأن الاجتماع هو مجرد حشد لأناس. فلا قالوا. ولا سمعوا. ولا عرفنا ولا فهمنا. وظهرت الصحف تحمل مقررات ومشروعات قيل إنها مدروسة. أين ذهبت كل هذه الأصوات؟ صارت صدى!

وعندما أعلنت جامعة شانغهاي عن الدول المائتين المتفوقة علميًّا.. طبعًا لم يكن لنا نصيب. وهذا طبيعي. بل إن أساتذة في الجامعات المصرية رأوا أن ما أعلنته الصين صحيح. فلا علاقة لنا بالبحث العلمي. لا دور ولا مشاركة. ولا عندنا ميزانية، بينما اختارت الصين ثلاث جامعات من إسرائيل (ستة ملايين نسمة).. وقال علماء مصريون من مصر ومن أمريكا وأوروبا واقترحوا وشرحوا وتطوع علماء مصريون في الخارج بحلول وأبدوا استعدادًا مؤكدًا لأن يأخذوا

بأيدينا في التعليم والعلوم وجاءوا وعادوا وأغلقنا وراءهم الأبواب والنوافذ!

بل إن عددًا من العلماء المصريين من أساتذة الجامعات تقدموا بحلول. ولكن لأنهم مصريون ولأنهم من مصر لم يأخذ أحد برأيهم. واستشعر كبار المسئولين أنهم ينافسونهم على مراكزهم ولذلك سدوا الأبواب والنوافد في وجوههم ووراءهم، فكأنهم لا قالوا ولا نحن سمعنا. هل أذكر أسماءهم؟ لاداعي. ولا أهمية!

لا نعرف
العلم الرسمي!

لا بأس من أن يعود طابور الصباح في المدارس. وأن يلتف الطلبة حول العلم الذي أكثرنا لا يعرف شكله ولا ترتيب ألوانه وإن كانت له نجوم أو بلا نجوم أو كم عددها.. وما الفرق بينه وبين أعلام سوريا والعراق واليمن؟

ثم النشيد الوطني الذي لا يعرفه الكثيرون الآن. ولي حادثة مشهورة وكان ذلك من قديم الزمان، فلم يكن هناك نشيد واحد متفق عليه.. وكنت صغيرًا وحضرت مهرجانًا للشباب في فيينا. وسألوني، كما سألوا غيري أن أغني النشيد الوطني. ولم أكن أعرفه. ووجدت حلًّا. غنيت لأم كلثوم: هلت ليالي القمر.. غنيتها كأنها نشيد حماسي.. ونزلت من المنصة إلى مكاني بين صفوف الشباب. ولم أكن أتصور أن بين الحاضرين مصريين وعربًا قد تساقطوا من الضحك وتواريت أنا من الخجل..

فحتى لا يخجل أحد من نفسه أو من جهله سوف يعود النشيد الوطني..

وكل ما أرجوه ألا يتحول هذا النشيد الذي سوف يردده التلامذة مزعجًا لكل الناس حول المدرسة حيث تتعالى الطبول والمزامير وصوصوة التلاميذ الصغار. ولكن هذا الإزعاج أهون كثيرًا من أن نجهل نشيدنا ونرفع رءوسنا مع أعلامنا!

قال لي الرئيس حسني مبارك إنه لاحظ في إحدى المرات أن العلم فوق مبنى محافظة الإسماعيلية لم يكن هو العلم الرسمي لمصر – حتى الحكومة لا تعرفه!

والله يا ريس أكثرنا لا يعرف إن كان العلم الرسمي هو الذي عليه صقر قريش أو نسر صلاح الدين أو حورس مصر للطيران!

عاهـة مصريـة!

لا نعرف إلى من نتوجه لإصلاح فوضى أسماء الشوارع والميادين والحواري والأزقـة والمحلات التجارية، من المسئول عن الأخطاء الإملائية والنحوية في اللغة العربية وفي اللغات الأخرى؟ ولا بد أن ندهش من حرص أصحاب المحلات والشركات على اختيار أسماء أوربية، وعدم حرصهم على أن يتأكدوا من شكلها الصحيح، حتى في المناطق الأثرية التي يتوجه إليها الأجانب. فالأسماء مضحكة والعبارات هزلية. والسبب جهل السادة أصحاب الدكاكين والتراجمة.

حتى الذين اختاروا كلمات (عربية) فالكلمات خطأ أيضًا – كأنها مقلب!

نستطيع أن نقول دون خطأ إننا نحن المصريين لا نحسن النطق بأية لغة – فالإنجليز احتلونا سبعين عامًا. ولم تصبح اللغة الإنجليزية هي اللغة الثانية، كما أن الفرنسية هي الثانية والأولى في لبنان وسوريا والمغرب والجزائر. حاول أنت أن تبحث عن هذا العجز المصري لاستيعاب اللغات أو انعدام أية لغة أخرى على اللسان المصري.

بل أكثر من ذلك أننا لا نحسن النطق باللغة العربية لا قراءة ولا كتابة اللغة العربية ولك أن تتساءل في حزن: ما هي إذن اللغة

التي نحسن الكلام بها؟ كثيرًا ما نسمع وقاحة بعض الشباب يعلنون في التليفزيون أنهم لا يعرفون اللغة العربية.. ولكنها ليست غلطة هؤلاء الشبان وإنما غلطة الذين علموهم في البيت وفي المدرسة!

بل لا يزال الكثير من المتحدثين الضيوف لا يحسنون النطق بالعربية ولا الكلام ولا يزال اسم (إن) وخبر (كان) ممنوعين من النصب والرفع!

ما المعنى؟ إنها - إذن - عاهة مصرية ألا نحسن النطق بأية لغة بما فيها العربية!

سألوها عن جنازتها..

شيء عجيب! سألوا السيدة مرجريت تاتشر وابنها وابنتها الصحفية: كيف تحب أن تكون جنازتها. السيدة لم تجب بعد – هل تحب أن تكون رسمية؟ أو تكون جنازة كبيرة فخمة؟ وأين تحب أن تدفن؟ ومن الذين يقفون في الصف الأول في الكاتدرائية؟ ومن الذي يجب أن يلقي كلمة التأبين؟

ولا نعرف ماذا قالت ولكن ابنها وابنتها قالا وأطالا. ولكن رأيها هو أن تكون جنازة رسمية.. أما الفرق بين الجنازة الرسمية والجنازة الكبرى.. أن الرسمية على نفقة الدولة والجنازة الكبرى على نفقتها هي. هذا قرار المرأة الحديدية التي حكمت بريطانيا وكانت ناجحة وقوية، ولكن تكوينها الحديدي قد ذاب وبكت عندما قرروا إسقاطها!

وبالأمس طلبت المراسم الملكية إلى زوج الملكة أن يختار كيف تكون جنازته. سألوه ولم يسألوا الملكة، فقرر أن تكون ملكية فهو أحد ضباط البحرية، ويريدها أن تكون عسكرية وأن يمشي وراءه زملاؤه القدامى، وأن المدفع الذي حمل كفن الملكة فيكتوريا هو الذي يحمل كفنه ونعشه.

ثم إنه اختار طريق الجنازة واختار نوع الخيول أيضًا، والمعزوفات الموسيقية، ووقع على ذلك ولم يجد أحد حرجًا في أن

يسأله وهو لا يزال حيًا. ولا هو وجد حرجًا، فهي أمور طبيعية جدًا! أن يعيش وأن يموت!

ولم يأخذني أحد مأخذ الجد عندما أوصيتهم أن يضعوني بين كتبي وأن يحرقونا معًا - فلا استفدت منها ولا أفدت بها أحدًا ولا فهمت ما كنت أريد، ولا أفهمت أحدًا ما يريد.. وهكذا لا جنازة ولا دفن ولا عزاء!

إنهـا مثـل الأمهـات!

ما المعنى؟ المعنى أنها فرنسية وأنه فرنسي. وأن هذه هي فرنسا أم الحرية حقًّا وصدقًا، فقد نشرت كل صحف الدنيا أن السيدة كارلا ساركوزي قد كان لها خمسة عشر عشيقًا.

ولا تعليق على ذلك من أحد لا في فرنسا ولا في أي بلد آخر.. في فرنسا لا تعليق احترامًا لحرية كل إنسان، فهي لم تفعل أكثر مما تفعله أية سيدة لو استطاعت.. ولم تعلق أية صحف أخرى في بلد آخر احترامًا للحرية الفرنسية؛ فهم أحرار في بلادهم!

ونشرت صحف الدنيا أيضًا صورة للسيدة كارلا ساركوزي بالمايوه.. جميلة ولا شك.. من أولها لآخرها وإن كان لا أحد يعرف لها أول من آخر.. وقد وقف زوجها بالمايوه وقد وضع يده على بطنها. وتساءلت الصحف إن كانت حاملًا.. أما هي (40 سنة) فتتمنى ذلك.. وليس عندها إلا ولد صغير من علاقة سابقة. أما هو (53 سنة) فعنده أولاد من زيجات سابقة. ولكنها نفت أن تكون حاملًا. وإنما هي معدتها التي يبدو أنها قد كبرت. وخبراء الجمال يرون أن جمالها يتفق تمامًا مع ما جاء في الكتب!

وأما أم الرئيس ساركوزي فترى أنه يجب أن يكون لديه مزيد من الأولاد.. فحرام ألا يرى جماله وذكاءه إلا في عدد قليل

من المواطنين. وترى أن لو أنجبت له كارلا أولادًا فسوف يجتمع فيهم ذكاء الأب وذكاء الأم والجمال الفرنسي والأنوثة الإيطالية..

ولا يجد الفرنسيون في تعليقات الأم شيئًا غريبًا؛ فهي أم مثل كل أم.. وأم الرئيس مثل خادم الرئيس، تحب له النجاح في الرياسة وفي البيت والرفاهية للشعب والسعادة لأولاده. وفي ذلك سعادة لها أيضًا!

كان يقصد المستشفيات!

أن تقول: آه ليلًا في فراش أبيض في غرفة بيضاء وفي ليلة سوداء، وأن تسمع صدى الآخر ألف مرة، لا بد أنك إنسان غلبان؛ لأنك مريض ولأنك وحدك. أي أنك وحدك مع المرض وحده. فأين الأطباء والممرضات؟ جاءوا وذهبوا.

ولست المريض الوحيد الذي يقول: آه.. ففي أي مستشفى كورس هائل يقول: آه يا ليل ويا نهار ودنيا ويا صحة.. ويا فلوسي.. وقد اعتاد الأطباء والممرضات على هذه الأصوات وعلى هذه الوجوه، وعلى هذا القرف الذي أصبح في لون البشرة لا يفارق وجوه المرضى وأصواتهم.

بأن تقول آه ثم تستدير إلى الحائط، ولكن ترى أن الحائط بعيد.. فأنت لا تقوى على أن تنهض من سرير معتمدًا على السرير والجدران في غياب الممرضات، وأملك هو أن تضرب دماغك في الحائط. كلما استطعت إلى ذلك سبيلًا.. يأسًا من كل أمل في الشفاء. ومن أن ترى ابتسامة على وجه أحد ولو كاذبة.

ثم يطلبون إليك أن تشد حيلك.. وأين هذا الحيل وأين هذه القدرة على الشد والمد؟ ويطلبون إليك ألا تفقد الأمل. الأمل في ماذا؟ في كل شيء.. وهل من المعقول أن يكون عندك أمل في كل شيء.. ثم أن يتحقق لك ذلك؟

إن الشاعر الإيطالي دانتي عندما كتب على باب جهنم هذه العبارة: أيها الداخلون اتركوا وراءكم أي أمل في النجاة.. لم يكن يقصد جهنم فقط، وإنما المستشفيات أيضًا!

فـــــزورة أمريكيـــة!

هذه فزورة هدية من الولايات المتحدة الأمريكية لكل القنوات العربية بمناسبة شهر رمضان المبارك.. الفزورة هي السيدة سارة بولين محافظ أصغر ولاية أمريكية (60 ألف نسمة)... كانت ملكة جمال وهي نقابية وزوجها أيضًا. ولم تسافر خارج أمريكا. وعلى صدرها نيشان معناه أن لها ابنًا يحارب. وهي ضد الإجهاض. فقد رفضت أن تجهض نفسها رغم أن الجنين مرضه لا علاج له... وابنتها (17 سنة) حامل في خمسة شهور من شاب يهودي لن تتزوجه رفضت إجهاضها. وقالت إنها صغيرة. غلطانة ولكن الغلطة في برامج التعليم التي لا تعلم الصغار خطورة العلاقات الجنسية.

وهذه السيدة ليست لها خبرة سياسية. ولكن لها خبرة في إدارة الأعمال والمشاكل النقابية وقد استطاعت أن تتصدى لمشاكل أكبر شركات البترول الأمريكية.

وقد رشحها الحزب ليأخذ أصوات المتعاطفين مع هيلاري كلينتون، الجمهوريون يقولون: إن اختيارها قرار عبقري... وقال آخرون: إنها مقامرة من المرشح ماكين وهو رجل مقامر.

والسيدة بولين لم يعرفها أحد. ولا حتى عرفوا كيف ينطقون اسمها. والآن هي أشهر امرأة مجهولة في العالم. وقد تكون سببًا في

نجاح الحزب الجمهوري لأنها كنز إعلامي من الدرجة الأولى: فهي أم عندها خمسة من الأولاد، وهل يتسع وقتها لإدارة دولة؟! ويرون أن هذا ممكن فأي رئيس لأية دولة ليس طبيبًا ومهندسًا ومحاميًا وعالمًا وكاتبًا. وإنما يحسن اختيار كل هؤلاء. والقرار النهائي له... فهي لا تختلف عن أي رئيس في أي دولة وفي أي عصر!

هذه هي الفزورة، فهل تختارها نائبًا للرئيس الأمريكي؟!

عواجيــز الفـــرح!

أنا لست صائمًا.. والدين أعطاني رخصة: مريض وعلى سفر.. وأمضي اليوم بلا طعام ولا شراب كأنني صائم، فإذا شربت أو أكلت، فهو الدواء وإذا نمت فلكي أقطع النهار إلى الليل والليل إلى النهار.. إنها حياة أقسى من الصيام، وإن لم تكن كذلك.

وهل ترى الفوازير؟ قلت: لا.. ولا أعرف ما هي ولا ضرورة لها.. إنها تقليعة مصرية استولت على معظم القنوات العربية.

وهي منافسة بين الفنانين والموسيقيين والمؤلفين والراقصات والمطربين لتسلية الصائمين، ولكن ما الذي فعله الصائمون حتى نسليهم... لا شيء، إذن ما هذه الضجة الإعلامية الإعلانية والفنية التجارية؟

لا جواب عن هذا السؤال من ستين سبعين عامًا.. وسوف نمضي حتى نهاية القرن ولكن بصور أخرى.

ولكثرة هذه الأعمال الفنية وغير الفنية وشوشرتها الصوتية والضوئية، فمن الصعب أن يجلس لها أي واحد – حتى لو تفرغ لذلك.

ولكن لا بأس فهي مناسبات فنية – أي للمنافسات الفنية والتجارية لإنعاش المشاهد، سواء كان صائمًا أو مفطرًا.. إنها تتكلف الملايين والمليارات.. والكل يكسب من وراء ذلك..

وليس من المفروض ولا من المعقول أن نجلس إليها ونتفرغ تمامًا.. وكلنا نفكر ونستنكر المسلسلات، ومع ذلك نجلس مسحورين مبهورين أمامها.. وهذا انتصار للفن على عواجيز الفرح والقيل والقال!

بـــل
صلـــوات ملاييـــن!

تيجي نصلي؟

لا مانع..

ماذا تطلب من الله؟

هذا سر بيني وبينه..

ليس سرًّا.. فسوف تطلب الصحة والعافية والستر..

سوف أطلبها لزوجتي.. وهي تطلب نفس الشيء لي..

وأنت ماذا تطلب من الله؟

أطلب منه ألا يستجيب لدعائك لأنك أصبحت في صحة جيدة.

وكذلك زوجتك..

وهل يضايقك أن نستعيد الصحة وأن نحتفظ بها وقتًا أطول..

أو طول الوقت؟

نعم يضايقني لأن أحدًا لا يدعو لي بأي شيء..

....

ولم نذهب للصلاة.. فقد ضقت به وضاق بي.. وأحسست كأنه بكلامه هذا قد نقض وضوئي.. وأضاع القِبلة من عيني ومع الطريق إلى المسجد تكلمنا في موضوعات أخرى أكثر سخافة..

انتقلنا إلى السياسة. والسياسة تقفز في كل مناسبة وبلا مناسبة. وكان الموضوع هو: ما هؤلاء الأغنياء الذين هم فوق القانون.. الذين هم أقوى من العدل.. وقادرون على إفساد حياة الناس والقضاء عليهم بفلوسهم؟ والقانون أعمى وأخرس وأعرج.. وحمار – قالها زمان أحد المحافظين المصريين..

تيجي نصلي وندعو لمصر؟

لا.. مصر ليست في حاجة إلى صلاة اثنين.. وإنما صلوات ملايين.. أقول لك كلمة تفسر كل ما يحدث في مصر.

أقول لك: حيث لا يوجد قانون فالعلاقة الشخصية أقوى من القانون!

لا تـزال
روسيـا قويـة!

في حديث مع الرئيس شمعون بيريز في بيته منذ سنوات وقد نشرته في الأهـرام قال لي: كلها عشر سنوات وسوف ترى روسيا تستعيد عافيتها وتتربع على عرش الكرة الأرضية، ولن تنفرد أمريكا بالسيطرة على العالم.

وكان الاتحاد السوفيتي قد تفكك – ولكنه لم يتحلل. لأن روسيا دولة عظمى لها تاريخ في العلوم والفنون والآداب والموسيقى وصناعة السلاح والتفوق في علوم الفضاء. فهي أول من أطلق (أسبوتيك) يدور حول الأرض ويقول: بيب.. بيب، وأول من أطلق كلبًا ثم رجلًا ثم امرأة، وأول من طلب من رجل وامرأة أن يتزاوجا في الفضاء. وقد أنجبا فتاة مشوهة.. ولا يزال الروس يساعدون الأمريكان في رحلاتهم إلى محطتهم المدارية.. وآخر الإحصائيات تقول إن لدى روسيا أربعين ألفًا من علماء الذرة!

ولما ذهبت إلى روسيا مفتونًا بما فعله الرئيس جورباتشوف وأثنيت على الثورة التي أحدثها أسعده ذلك. وقالوا لنا في روسيا إنهم سوف يستعيدون قوتهم وبدأوا بالثورة على جورباتشوف، وجاء يلتسين ومن بعده بوتين أقوى رجل في العالم. وأعلن أنه لا يحب الحرب الباردة ولكنه لا يخاف منها – أي من أمريكا.

ولم تعد أمريكا هي الفتى الأول على مسرح السياسة، فهناك أوروبا المتحدة وهناك الصين. وما فعلته الصين في الدورة الأوليمبية قد بهر الدنيا بما أنجزته ومن النظام ومن التفوق في كثير من الرياضيات والذهب الذي حصدوه!

أما روسيا فهي دولة غنية بالموارد تحت الأرض، بالمعادن والبترول والغاز الذي يشع الدفء والنور في أوروبا – وهو مصدر قوتها وضعف الدول الأوروبية!

مبــادئ
إضافيـــة!

أخيرًا. أنت طبعًا لا تذكر مبادئ ثورة يوليو الستة، فقد تجاوزناها بعد أن عانينا وتعذبنا بها ومنها، ولكن استطعنا أن نضيف لها ثلاثة مبادئ أخرى أبسط وأرق وألطف وأكثر وبالًا على مصر اليوم وغدًا!

المبدأ الأول: أن كل غني لص. أي لتكون غنيًا يجب أن تكون لصًا. ولا توجد طريقة أخرى. وأنت اليوم لم تعد في حاجة إلى من يقنعك بهذه الحقيقة!

والمبدأ الثاني: أن كل ناجح غشاش. فلكي تنجح لا بد أن تغش وأن تزور وأن تتبجح. وأنت لست في حاجة إلى أن أمسك يدك وأقتلع أصابعك و«أدَبّها» في عين ألوف اللصوص. ولأن النجاح هو ربهم الأعلى، فمن أجله يهون كل شيء.. أنت وشرفك ومالك وعيالك، وأنت تبيع ضميرك – إن كان لك – بأرخص أوراق الامتحانات والأسئلة وصناديق الانتخابات والباقي أنت تعرفه!

والمبدأ الثالث، وهو مصري النشأة فرعوني التاريخ، يقول: حيث لا يوجد قانون فالعلاقة الشخصية هي القانون. يعني من حقك أن تقول لكل واحد: أنت عارف أنا مين.. ابن مين؟ أخو مين؟ لأن هذا هو القانون!

والشاعر القديم العبيط كان يقول:

لا تقل أصلي وفصلي أبدًا ... إنما أصل الفتى ما قد حصل

أي أنك تساوي كل ما تفعله ونصف ما تحلم به وربع ما تقدر عليه.

وما دام هذا هو حالنا وسوف يكون مآلنا فبالله عليك ما الذي يمكن أن نفعله لكي ننقذ أنفسنا وبلدنا من براثن أنفسنا، وخيبة أملنا وتهجيص مسئولينا. بينما الأمم حولنا تتزاحم في أوتوستراد المستقبل ونحن نتهاوى في حواري السياسة وأزقة الاقتصاد وغياهب التربية والتعليم وندخل بالقدم اليمنى ونشرب بول الرؤساء؟!

تعب الكلام
من الكلام!

آخر ما كتبه الشاعر الرومانسي نزار قباني على فراش الموت:

لم يبقَ عندي ما أقول
لم يبقَ عندي ما أقول
تعب الكلام من الكلام
ومات في أحداق أعيننا النخيل
شفتاي من خشب
ووجهك مرهق
والنهد ما عادت تدق له الطبول!

إي والله تعب الكلام من الكلام من قضايانا في السياسة والاقتصاد والتربية والتعليم والأخلاق والدين.. ولم يعد المسكين هو الكاتب والمفكر والخطيب والسياسي وإنما المساكين هم القراء الذين داخوا بين الذين يقولون ولا يسكتون ويفتون فيما يعرفون وما لا يعرفون.. فليس بيننا إلا خطيب وطبيب وحكيم وفصيح ومصلح ومفسد.. مصلح هو المفسد أيضًا.. وضاع من أقدامنا الطريق وتوضأنا لنصلي فضاعت القِبلة أيضًا.. بل كل من يفتي اتخذ له قِبلة.. والقِبلة لها شكل الدولار والإسترليني واليورو والريال..

وأبطالنا خونة ورموزنا عورة.. فلم يعد لدينا ما نحترمه ومن نحترمه، لقد صفينا حسابنا مع التاريخ فلم يعد لنا تاريخ وإنما جغرافيا: أرض تحتلها إسرائيل وتحاول أن تشد البساط من تحتها عامًا بعد عام ووزيرًا بعد رئيس وزارة وينتظر انتخابات إسرائيل، وانتخابات أمريكا، وانتخابات فلسطين.. بل أكثر من فلسطين.. فبدلًا من أن نسترد أرضنا فقدنا أرضنا وبدلًا من جبهة واحدة صرنا جبهات واتفقنا على أن نختلف وتفرقنا لكي نحارب أنفسنا. إنها حرب بلا هزيمة وبلا نصر وبلا إخلاص ولا صدق ولا شرف. لقد تعب الكلام من كثرة ومن قلة الكلام أيضًا!

لا حل
هذا القرن!

نكذب على إخواننا الفلسطينيين إذا قلنا لهم إن هناك في الأفق حلًا قريبًا. ولكن نصدق من؟ نصدق إسرائيل أو أمريكا أو الآفاق العربية. والحل، ما هو؟ إن إسرائيل لم تقدم حلًا واحدًا. ولا خريطة واحدة ولا طريقًا واحدًا. والذي نسميه (قريبًا) لا يعرف أحد مداه. قريبًا هذا العام.. قريبًا العام القادم أو السنوات العشر القادمة أو القرن القادم. لا أحد يعرف، فإسرائيل تعرف أن فلسطين لم تعد واحدة، وسوف تصبح ثلاثًا وأربعًا. وتعطي فلسطين لإسرائيل وأمريكا وغيرهما فرصة انتظار أن يصبح الأربعة اثنين والاثنان واحدًا. أي أن فلسطين قد بدأت كما بدأت الشعوب اليهودية. كانت قبائل وشراذم ولذلك احتاجت إلى عشرات الأنبياء تحاربهم ويحاربونهم. ولكن استطاعت إسرائيل بقوتها الدينية وغريزة البقاء أن تتآلف رغم كل الخلافات.. واعتادت على ذلك، ولكن بعد مئات السنين رغم الحرص الشديد على ألا يتمزقوا.. وأمام الشعب الفلسطيني عشرات السنين أو مئات السنين ليتخذ الموقف الإسرائيلي من أجل البقاء..

أخيرًا قابلت عددًا من المفكرين الإسرائيليين هنا في القاهرة. وطبيعي أن يكون الحوار صريحًا. والحوار الصريح يقول: إنه لا حل. وإن فلسطين هي التي اختارت (اللا – حل) والأزمة.

يعني إيه؟ يعني لن تجد فلسطين حلًا من أي نوع لدى حكومة إسرائيل الجديدة وإنما أشكال وألوان من الوعود والابتسام والأحضان والقبلات أيضًا. أما أمريكا فمهما غيرت رؤساءها فهم جميعًا معلوماتهم عن الشرق الأوسط من الدرجة الثانية أو الثالثة..

وإن عرفوا فلمدة لحظات وتخطفهم مشاكل الكرة الأرضية وغلافها الجوي وجليد كوكب المريخ وطبقة الأوزون وأسعار البترول والاستعداد للانتخابات القادمة!

أصلها فصيح..

في كلامنا العادي نقول: (آل) انت نجحت؟ وأصلها: هل أنت نجحت؟ ونقول: (منين) اشتريت هذا الكتاب؟ وأصلها: من أين.. ونقول: (بس) أي كفى. وهي كلمة فارسية.

ونقول: (وبعدين) أي «بعد» مرتين..

ونقول: (تاتا) خط العتبة للطفل الصغير. وهي كلمة فصيحة. فنقول: تأتأ الطفل أي مشى خطوة خطوة..

ونقول: (حرامي). وهي كلمة فصيحة لأن الحرامي هو الذي يرتكب الحرام.

ونقول فلان (يدكن) بمعنى يخفي الأشياء، وهي فصيحة. ففلان يدكن ملابسه أي يضعها بعضها فوق بعض.

ونقول: فلان رجل (دون).. أي خسيس أو منحط.. وفي الفصحى نقول: دان دونًا أي صار حقيرًا..

ونقول فلان (رصرص) من شدة البرد.. والكلمة فصيحة. لأننا نقول فلان رصرص في مكانه أي لم يعد قادرًا على الحركة..

ونقول فلان (زايط).. أي مبسوط وسعيد. وفي الفصحى: زاط يزيط زياطًا أي صاح يتكلم بصوت مرتفع.

ونصف من عنده أولاد كثيرون. فنقول عنده (زربة) أولاد. وفي الفصحى نقول (سربة) وهي سرب من الطيور. أي طيور كثيرة..

ونقول فلان (محنتف) أي متأنق في ملابسه ومظهره. وهي كلمة فصيحة. فتحنتف معناها أنه ارتدى ملابس أنيقة وتعطر.

ونقول في العامية: اكتب لي (علوان) فلان، نقصد عنوانه.

والعلوان كلمة صحيحة فصيحة. فنقول: عَلْون الكتاب علوانًا وعلونة أي كتب عنوانه.

ونقول (لايص).. وهي فصيحة لأننا نقول: لاص الشيء يلوص لوصًا وليصًا أي: ارتبك واضطرب في حركته.

أن تصنع بطلا..

بطل الأبطال الأمريكان في كل أنواع السباحة والذي جمع وحده ثماني ميداليات من ذهب. لم يبلغ هذه الدرجة الرفيعة من الكفاءة واللياقة بالصدفة أو بدعاء الوالدين، وإنما – وهو الذي يقول – بالتدريب يوميًّا ست ساعات. لا إجازات. لا شيء يشغله بعد ذلك. ليس يومًا بعد يوم وإنما سنة بعد سنة. وهو يعرف بالضبط ما يجب أن يأكل ويشرب، وإذا أراد أن يأكل شيئًا من نفسه، فإنه يحسبها بالكالوري، ويضرب ويطرح حتى لا يتجاوز النسبة الصحيحة.

وقد سمعت ومعي الملايين من لاعب مصري أنه تدرب عشرة أيام قبل السفر إلى بكين– بس؟نعم بس! بعد عشرة أيام جاء يحصد الذهب والفضة والبرونز؟ فلا فاز بالميدالية الخشبية أو الورقية!

في مذكرات بطلة العالم الرومانية نادية كومانتشي أنها تمنت أن تفوز بالميدالية الذهبية. وفازت ولكن من أجل شيء آخر: أن تأكل (آيس كريم) ولو مرة واحدة في عمرها.

وبعد فوزها سمح لها المدرب بأن تأكل (آيس كريم) ولكي يحترق الكالوري الذي أضيف إلى جسمها بسبب الآيس كريم كان لا بد أن تمشي بالخطوة السريعة عشرة كيلو مترات!

وبعد أن قطعت هذا المشوار الشاق كان لا بد أن تستحم وأن تؤدي بعض الحركات الرياضية للذراعين والساقين وأن تشرب كمية

من الماء. وأن تتمدد بعدها.. كل ذلك قبل أن ترى الآيس كريم – تصور!

فالبطولة: صناعة.. أن تصنع بطلًا، يشبه أن تصنع سيارة أو طيارة، لها أجزاء وقواعد وشروط، ثم إنها سمعة لعبة وفن وشرف شعب!

حديث بعدنا..

لو صدر اليوم كتاب عن الدورة الأوليمبية والدروس المستفادة فلن يشتريه أحد.. لا في أوربا.. ولا أمريكا.. لماذا؟ لأنه من الصعب الحكم عليها بعد نهايتها بهذا الوقت القصير. إن أحدًا لن يأخذ هذا الكتاب مأخذ الجد في كل الألعاب: مزاياها.. وعيوبها.. وأخطاؤها.. يحتاج إلى وقت في التحليل.. وإلى وقت في المراجعة.. وإلى وقت في معرفة آراء الكثيرين.. فالمسألة خطيرة.. وليس هناك شيء يدعو إلى الاستعجال في الحكم.. وسوف تعقد ندوات وجلسات حول كل ما دار في هذه الدورة.. جلسات للإداريين واللاعبين والمحكمين والمعلقين والمنافسين وأجهزة قياس الرأي.. وكذلك أجهزة المخابرات والأمن والصناعة والتجارة والمواصلات.. لأن دولة عظمى قدمت نفسها بكل ما لديها من قدرات ومواهب.. وفي فلسفتها أن تكون الأفضل.. وأنها استعدت لهذا اليوم.. وهذا ما فعلته الصين.

قال أمير الشعراء في الحب: نحن في الحب حديث بعدنا.

وكذلك نحن في الدورة الأوليمبية والمنافسات الدولية: حديث طويل بعدنا!

ولم يكن أحد المدربين الإنجليز خشنًا أو قليل الأدب أو قليل الذوق عندما رفض التعليق على إحدى المباريات.. وكل ما قاله: إنهم أخذوا

وقتًا طويلًا لكي يتدربوا من أجل الفوز.. وأنا أحتاج إلى وقت أيضًا لكي أعلق على هذا الإنجاز العظيم!

إننا كسبنا بسرعة.. لكن كان استعدادنا بطيئًا طويلًا شاقًّا بالعرق والدموع.

وعندما طلبوا إلى اللاعب الحليوة دافيد بيكهام أن يعلق على المباراة النهائية في كرة القدم قال: وأنا أيضًا أحتاج إلى وقت!

القــراءة بالصـــداع..

انتهى الصيف والإجازات بسرعة. وكما هي العادة في كل الدنيا فالصحف والإذاعة والتليفزيون يسألون الناس: ماذا تقرأ في الصيف؟ ويرشحون الكتب، ثم يطلبون إلى كبار الكتاب أن يختاروا.. أو أن يقولوا للناس ما سوف يقرأون ولماذا؟

أي أنه من المفروض أن الناس سوف يقرأون رواية أو كتابًا أو مرجعًا في الأدب والفن والعلوم. ثم يحاولون إغراء القراء إلى اقتناء بعض هذه الكتب الموجودة في المكتبات. كثيرون أعرفهم يقرأون ويشجعون أولادهم على ذلك..

وكثيرًا ما أخذت معي حقائب امتلأت بالكتب. أقلب فيها من أولها لآخرها ومن آخرها لأولها. وقد أظل أفعل ذلك طوال الإجازة. وقد أختار كتابًا مسجلًا أستمع إليه ليلًا ونهارًا حتى يطير النوم من عيني.

وشيء عجيب أن النوم تطول أجنحته فلا أكاد أتمدد حتى يطير النوم لأنني إذا تمددت فسوف أظل بالساعات. ولأن النوم لا يسمع صوت الورق ولا أصوات المؤلفين ولذلك يطير ولا يعود ثم ينيب عنه الأرق والصداع ووجع البطن وآلام الظهر والتواء المصران الغليظ.

وقد تفزع من ذكر هذه الكلمات – ولكن بعيدًا عنك – فإن العشرة الطويلة لها سوف تنسيك الخوف منها. ولا بد أن أختار: النوم

أو القراءة بالصداع والقراءة بالمغص والقراءة بالأرق.. لقد عشت ولم أتردد في هذا الاختيار، فكان لي ما أردت. وهو أن أتساقط من الإعياء بين كتاب وكتاب.

وطال العمر وذهب ولم أعرف أن هناك أشكالًا أخرى من الحياة والمتعة، فأنا من أكلة الورق وشاربي الحبر. ومن هذا الخليط الرديء نحاول أن نجعل لحياتنا معنًى. ولحياة الناس أيضًا!

وندمت
أنني كتبت!

تجربة قاسية جدًّا.. أن تكتب عن عمل أدبي لشاب.. وأقسى من ذلك أن يكون هذا هو باكورة حياته الأدبية.. فإن امتدحته كان ذلك كثيرًا عليه.. وقد يسيء فهمه.. أي يرى أنه بالفعل كما قلت: إنه ممتاز وإنه وإنه.. وإساءة الفهم هي أنه ينسى أنني أجامله، وهذه المجاملة بقصد التشجيع.

وإن انتقدته ولفت نظره نحو الأسلوب وترتيب أفكاره والنتائج التي يقفز إليها أو يفتعلها، كان ذلك قاسيًا عليه وقد يسيء فهمه أيضًا.. فيرى أنه سيئ وأنه لو كان كاتبًا جيدًا، ما قلت أنا عنه شيئًا من ذلك!

أذكر أن كاتبًا شابًا أصدر كتابًا، والكتاب مجموعة مقالات بعضها كأنها قصص.. ولكي تكون قصصًا قصيرة يجب استبعاد بعض العبارات في مقدمتها والجمل التي تجيء في النهاية.

هذا ما قلت!!

وغضب الشاب وبكى.. ولم أعرف ما الذي أستطيع أن أقوله.. أو ما الذي كان يجب أن أقوله.

ومرة كتبت عن مجموعة قصص قصيرة لفتاة.. وكانت هذه بداية أعمالها الأدبية.. ووجدتني فجأة مسئولًا عن مرضها ومحاولتها

الانتحار.. كلمني أبوها وأخوها وخطيبها.. وندمت على أنني كتبت.. وندمت أنني تصديت لهذه المهمة الشاقة جدًّا أن تواجه شابًّا حساسًا برأيك فيه.

ولذلك كان محمد عبد الوهاب أعقل.. فهو لا يجرب فنه مع مطرب مبتدئ.. إنه ينتظره حتى يظهر في أغنية أو أغنيتين لملحن غيره.. ثم يعطيه لحنًا – أي أن له رأيًا.. وهذا الرأي هو أنه من الممكن أن يغني له.. لا أن يلعنه ويجعل ذنبه في رقبة الناقد الذي أراد أن يهمس في أذنه بكلمة الحق!!

وأنــا اخـتــرت
القـــراءة

والله العظيم غلطان وندمان وتعبان وقرفان. لماذا؟ لأنني وأنه وأننا اخترنا صناعة الكتابة. فهل كان في الإمكان احتراف حرفة أخرى؟ نحن الآن نقول: كان من الممكن. ولكن انتهى كل شيء ولا مجال للاختيار. اخترنا الكتابة أو اختارتنا الكتابة. واللي كان كان.

ولا أظن أنني رفضت المهن الأخرى. فأنا لم أجربها. ولنفرض أنني أقارن بين صناعة القلم وفن كرة القدم. فالقدم أكسب وأربح وأقصر عمرًا. وموهبة اللاعب تظهر في سن مبكرة.. فإذا ظهرت في الوقت المناسب والمكان المناسب وأمام الأشخاص المناسبين القادرين على تلميع هذه الموهبة، انفتح الطريق إلى فوق. ولكن لا شيء من ذلك قد حدث لي، فعندما لعبت كرة القدم كان في الريف وفي مدرسة ريفية أمام مدرس الأرياف الذي لا قيمة لرأيه وحتى لو كان له قيمة فإنه لا يستطيع أن يدفع رأيه إلى أبعد من باب المدرسة. فحتى لو كنت موهبة كروية، فكما ظهرت سوف تختفي وبنفس السرعة.

فلا لوم على أحد أنني لم أكن لاعبًا.. ثم أنني لم أكن موهبة رياضية في أي وقت. إذن لا لوم على أحد.

حتى عندما حاولت أن أنتقل إلى فن الموسيقى، وهو أرقى وأعظم لم تكن الفرقة الموسيقية في مدرستنا إلا ضاربًا للرق والطبلة

ونافخًا في مزمار ولاعبًا على العود.. وفي الاستعراضات المدرسية يظهر هؤلاء في ذيل الطابور، لا أحد يراهم والذي يراهم لا يسمعهم.

فليس أمام التلميذ إلا أن يلعب أو أن يقرأ.. وأنا اخترت القراءة الطويلة. وأعطتني القراءة ما أستحق. والذي أستحقه هو أن أمضي في القراءة لمن هم أقدر وأحسن، أملًا في أن أقترب منهم لأكون مثلهم.. وهذا ما فعلت.

الهزيمة ليست شرفًا!

سمعت اثنين من المصريين.. واحد يقول: أن نلعب مع الأرجنتين.. وأن تغلبنا الأرجنتين هذا شرف!

ليس شرفًا أن يغلبك أي فريق.. فالهزيمة هي الهزيمة.

فما رأيك؟ أنا أرى أن الهزيمة هي الهزيمة.. سواء كنت ألعب ضد الزمالك أو ضد الأرجنتين.. الذي يرى أن هزيمة من الأرجنتين أو البرازيل أو تونس شرف معناه أنه قد نزل الملعب وفي نيته أن يحوز هذا الشرف.. أي أن ينهزم! أي يلعب ضد نفسه!

مع أن ألف باء أية رياضة أن تلعب لتكسب.. وأنت ومدى استعدادك ولياقتك وقدرتك!

وقد حدث في الحرب العالمية الثانية شيء مماثل.. شيء نموذجي في الرياضة وفي التربية الوطنية.. فقد جاء القائد الإنجليزي «أوخنلك» إلى العلمين.. وقد لاحظ أن القوات البريطانية سعيدة بأنها تحارب روميل.. وترى أيضًا أن الشرف في أن تحاربه وأن ينتصر عليها.. فقال عبارته المشهورة في منشور دوري، قال: لا تتروملوا.. أي لا تقعوا في غرام روميل.. تتمنون له النصر.. وتنسون أن النصر عليكم ليس نصرًا.. وإنما هو هزيمة.. نصر له وهزيمة لكم.. وشرف له وعار عليكم! وإعجابنا بالمنافس أو بالعدو يجب أن يكون له حدود..

فالإعجاب بروميل شيء مهم، لكنه شيء خطير.. لأنـه يجب ألا نتمنى له النصر علينا.. مهما كانت عظمته العسكرية!

ويـوم انتصر محمد على كلاي على كل الأبطال كان انتصارًا عظيمًا للموهبة والبطل.. وليس صحيحًا أنه انتصار للإسلام على المسيحية كما قال البطل الطيب محمد علي.. ربما كان لله دخل في استقامته وعفته.. لكنه انتصار رياضي فريد في نوعه!

الأغانـــي الكثيـــرة!

تابعت ساعات طويلة إذاعتنا المصرية الضخمة وبأسمائها المتعددة في كل المجالات. ومن المؤكد أن (البرنامج العام) مفخرة لمصر، ففيه مجهود هائل لتغطية كل ما يخطر على ولا يخطر على البال من قضايا سياسية واجتماعية واقتصادية وأدبية وعلمية. وبقية الإذاعات تجيء بعده بمسافات. بعض هذه البرامج قد اتخذت لنفسها شخصية أحببناها مثل: إذاعـة الشرق الأوسط وإذاعـة الأغانـي والبرنامج الموسيقي والإذاعة الثقافيـة التي نهتدي إليها بصعوبـة فـلا نعـرف أيـن هـي – وإنمـا أنـت ويختـك. حتـى هـذا البرنامـج أو نِصْـف البرنامـج فيـه جهـود علميــة أعجبتنــي. وسمعت علمــاء ومفكرين.

ولكن لا يغيظني إلا كثرة الأغاني عمال على بطال – وبعضها لا مناسبة ولا ضرورة لها. ثم إنها تقطع عليك تفكيرك وتحيرك إن كان المطروح عليك هو الأغنية أو اللحن وليس الموضوع العلمي. وعلاجها سهل.

أما برنامج (أخبار الإذاعة) فقد أعجبني وإن كان قصيرًا خاطفًا مخطوفًا. وأرى أن هذا البرنامج بما فيه من أداء سريع وتعليق أسرع مؤهل تمامًا لأن يكون مصدرنا المفضل لأخبار الدنيا كلها، ففي هذا

البرنامج مذيعة يعجبني أداؤها ولا أرى لها نظيرًا، ولذلك فهي أحق من غيرها في التليفزيون. إنها من طراز المذيعة القديمة بديعة رفاعي ورئيسة التليفزيون زينب سويدان: أداء جاد محترم.. إنها أماني كمال...

ولا أدعي الإلمام بكل البرامج. ولكن هذا بعض ما رأيت وهذا نصيبي وشغلي أيضًا.

والإذاعة المصرية تحتاج إلى مراجعة وإلى تصفية وإلى ضمها بعضها إلى بعض، فلا معنى لبرنامج علمي وبرنامج ثقافي فلماذا لا يكون واحدًا؟ بل إنني وجدت في الإذاعة الثقافية برامج علمية طبية متخصصة إلى جانب مختارات من الشعر متواضعة.

ويجب ألا نخجل من وقف كل البرامج المكررة المملة القائمة على المجاملات، فأنا أحب أمين بسيوني شخصًا وصوتًا وأداء، ولكن أرى أنه زودها شويتين. فالكتب التي يقدمها والتي زلزلت العالم، لا أعرف أي عالم وأي أناس هؤلاء. ومن الذي بعد منتصف الليل يستوعب هذه الأسماء الغريبة التي تتساقط من شفتيه، ثم إنها أذيعت مئات المرات، ويبدو أنها تجيء عادة عندما يكون الناس قد ناموا.. فالذين كتبوها ماتوا والذين ألفوها شبعوا موتًا، وكان يجب أن يفسحوا المجال لكتب جديدة زلزلت العالم كله قولًا وفعلًا!

يبقى التكرار الممل للأغاني والألحان المميزة، وتبقى عيوب في المذيعين أنفسهم فليسوا على مسافة واحدة من الميكروفون، فهذا يصرخ وهذا يزعق لأن عندهم إحساسًا بأن أحدًا لا يسمعهم ولكن من الممكن أن يسمعهم الناس. وأنا واحد منهم، فأنا إذاعي 80٪ والباقي

تليفزيون. وإن كنت قارئًا مائة في المائة. إن هذا الجهاز الهائل يحتاج إلى مراجعة وتصويب وهزة عنيفة، فهو لا يزال أقوى الأسلحة الشعبية – طبعًا في حاجة إلى ميزانية أكبر. ويستحق ذلك لأنه الجامعة المفتوحة لكل المعارف الإنسانية ولمصر وما جرى لها وما جرى عليها.. ثم أين هي وأين نحن من هذه الدنيا؟!

قبـــول عـــذري

جاريت الأستاذ جمال زايدة في غضبته على د. محمود زقزوق وزير الأوقاف ود. الطيب رئيس جامعة الأزهر؛ كيف يدبر لهما لقاء في سفارتنا في باريس مع حاخام اليهود ولا يكون حوار، مع أن هذا هدف المهمة في باريس؟! ثم إن ديننا يدعو إلى الحوار.

والرسول عليه الصلاة والسلام حاور وفاوض وتزوج اثنتين من اليهود صفية وريحانة التي بقيت على دينها ثم أسلمت.

وقد ضرب لنا أنور السادات مثلًا رفيعًا في السياسة، فقد اتخذ مبدأ بسيطًا ارتضاه رئيس وزراء إسرائيل بيجين، وهو:

كل شيء قابل للتفاوض. يعني نجلس ونتفاوض. وقد فاوض السادات واختلف وغضب وأمر بجمع حقائبه والعودة. لولا أن تعلق بها الرئيس كارتر ومستشاره برزنسكي واستكملوا الحوار وعادت لنا أرضنا - وهو ما لم يقدر عليه حماة فلسطين ودعاتها وخائنوها!

ثم إن الرئيس مبارك يلقى رئيس وزراء إسرائيل والوزراء. ورجال أعمالنا يبيعون ويشترون ويساومون.. إنها ليست قصة حب. إنها بيع وشراء: قدر شعب ومصير أمة!

ووقعت أنا في غلطة، فقد قال لي بلدياتي وصديقي د. محمود زقزوق إنه لم يذهب إلى باريس من 14 سنة وإنه لم يكن ضمن الوفد الذي رتبه وأنفق عليه، ولو كان لدارت حوارات مع الحاخام، فقد سبق أن اشترك الاثنان منذ عشر سنوات في ندوة في السوربون، ثم التقيا بعد ذلك، وإنه على استعداد للحوار مع ممثلي أي دين!

فأرجو قبول اعتذاري!

طاهـــر
أبــو زيـــــد

بلدياتي الإذاعي الكبير طاهر أبو زيد أنت لا تعرفه، ولكن تستطيع أن تعرفه مع عظيم الاحترام، بعد منتصف الليل في أسبوعياته في البرنامج العام، فقد كان طاهر أبو زيد نجم نجوم الإذاعة وأخفها دمًا وأشجعها أيضًا، فهو الذي اكتشف وكشف لنا نجومًا تلمع بعيدًا ولم يرها أحد سواه في الفن والأدب والثقافة والحرف المختلفة في برنامجه الشهير (جرب حظك). والاسم خفيف ولكنه كان يقتحم به المشاكل والعقد ويدق أبواب الخطر ورءوس المسئولين.

وانشغلنا، وكل سار في سبيل..

وفجأة، وأسعدني ذلك ومنذ سنوات، وجدت الإذاعي الكبير بما أوتي من صحة متواضعة، قد اختط لنفسه سبيلًا جديدًا لقضية نبيلة: التمسك باللغة العربية، فقد رآها تنهار على ألسنة أبنائها، حتى لم تعد لهم ألسنة عربية وإنما أعجمية. فهاله الأمر، وضرب لنا مثلًا وشجع الآخرين على ذلك، وقدم بنفسه الصورة الجميلة لهذه اللغة التي نزل بها القرآن الكريم وتابع سقطاتها على ألسنتنا وحرص على أن يقدم نماذجها الجميلة بأصوات جميلة..

إن العلم الذي يرفعه في يده الواهنة، وبعقله المتألق، قد أسعدنا وطمأننا على اللغة وعليه، أطال الله في عمره وجعل أسلوبه الرفيع أسلوبنا أيضًا.

وهكذا فليتنافس المتنافسون!

د. مصطفى خليل

مات رجل شجاع.. مات أحد أعلام الهندسة السياسية، أو السياسة الهندسية.. أي صاحب الفكر الواضح والمنطق القوي.. مات رجل مخلص ووطني صميم.

وقد رأيت د. مصطفى خليل في مواقف عديدة، رأيته وقد اختلف مع الرئيس السادات في قصة بيع صفقة بترول.. وأصر الرئيس على موقفه، وأصر مصطفى خليل أيضًا، وكان السادات يقول له: يا مصطفى أنا اديت كلمة. اديت كلمة يا مصطفى.

وكان مصطفى خليل يقول: يا سيادة الرئيس ممكن أن نجد حلًا، ممكن الرجوع.. حتى لا نخسر مبلغًا كبيرًا. أرجوك يا ريس، أنا أستطيع أن أجد حلًا...

ولكن السادات تضايق من مصطفى خليل، ولم يغير مصطفى رأيه، وانفض اجتماع الرئيس مع الوزير الإسرائيلي عيزرا فايتسمان.

أما مصطفى خليل فلم يكن في وداعه، وعاد الرئيس السادات مهمومًا، وقال لي: مصطفى معه حق، وأنا غلطان.. مصطفى معه حق.

ووجد الرئيس حلًا، وكانت سعادة مصطفى خليل هائلة.. ليلتها قال لي مصطفى خليل: من النادر أن تجد رئيسًا يتراجع عن رأيه لأنه غلطان!

ولما تحدث مصطفى خليل لكل وسائل الإعلام العالمية والعربية والمصرية، كان يردد عبارة واحدة: إن عملية السلام ومبادرة السادات من أولها لآخرها هي أنور السادات، ولولاه ما كان سلام.

وقال مصطفى خليل في التليفزيون الإسرائيلي: إن زعماء إسرائيل أنفسهم يعجبون بأنور السادات برغم أنهم خصومه. لقد احترموا فيه شجاعته وصدقه. ولم تكن المفاوضات سهلة ولا السلام سهلًا...

رحم الله مصطفى خليل، فقد كان نموذجًا في وضوح الرؤية وشجاعة الرأي!

فضيحة
يا أساتذة!

فضيحة يا دكاترة.. يا أساتذة كيف تواجهون أطفالكم؟ كيف تتباهون بصدور مجلة عن الطب البيطري وعليها هذه الغلطة الشنيعة؟ ليست فضيحة لكم وإنما للبلد كله.. فكل هؤلاء الأساتذة الكبار لا يعرفون أن حذف النون في الأسماء غير حذف النون في الأفعال.. فإذا قلنا مثلًا: الصيادون.. ثم قلنا صيادو الأسماك.. حذفنا النون.. لأن «الصيادين» مضاف إلى كلمة أخرى.. وأما في الأفعال فنحذف النون ونضع بدلًا منها الألف.. فنقول: لقد صادوا السمك ولم يصيدوا الكلاب! وليس هذا اكتشافًا وإنما قاعدة بسيطة صغيرة.. فإذا وقع فيها الكبار فهي خطيئة وفضيحة لكل الطب والجامعات، فقد أصدرت الجمعية المصرية لتاريخ الطب البيطري العدد التاسع من مجلتها.. أما الفضيحة فهي عنوان المجلة «صائدو(ا) التاريخ».. قام بإعداد هذا العدد أ.د. محمد عبد الناصر على ود. رأفت عبدالمنعم حسنين.

ولا بد أن أحدًا منهم.. وهم عشرون أستاذًا أو ثلاثون.. قد اقترح هذا الاسم وناقشوه ثم كتبوه وصوروا وبعثوا به إلى المطبعة.. وتم طبعه.. ولم يتبين أحد هذه الغلطة المخجلة.. وقد يقال إنهم لا يعرفون اللغة العربية.. وإنهم لا يقرأون ولا يكتبون إلا بالإنجليزية.. أو إنهم

تركوا هذا الاسم لأي واحد.. وهو الذي كتب وهو الذي طبع ونشر وتباهى بصدور هذا العدد.. وإنه هو وحده المسئول!

ولكن يبدو أن البيطريين اعتادوا على أن تكون حيواناتهم لها ذيل.. وهذه الألف هي ذيل صائدي التاريخ!

والله كان في نيتي أن أقرأ هذه المجلة وما فيها من موضوعات مفيدة.. ولكن جاءت (الألف) وطالت وأخفت المجلة عن عيني.. وليتها تختفي عن عيون كل الناس!

أصوات مضطربة!

أستمع لإذاعة (القاهرة الكبرى) كثيرًا، وتوقفت عند برنامج عن الأعشاب الطبية، أقدم وسائل العلاج في كل الحضارات، والكلام كالاجتهادات والخرافات كثير جدًّا، وهناك موسوعات مصرية للتدليل على أهمية العلاج بالأعشاب، ولكن البرنامج كان خاطفًا قصيرًا، حتى الطبيبة التي استشهدوا بها قالت كلامًا غير مفهوم وانتهى البرنامج دون أن تضيف شيئًا إلى أحد، وكان من الممكن أن يكون أفضل لو طال دقائق أخرى.

وأنتهز هذه الفرصة وأطلب إلى القائمين على هذا البرنامج، أنه من أهم وأخطر برامج الإذاعة لأنه يتحدث عن القاهرة الكبرى (20 مليونًا)، فيها الرئيس والحكومة والبرلمان والأوبرا والمسارح وكل شركات السياحة وكبرى الفنادق وأسوأ أنواع المواصلات والمرور وكل العيوب التي أدت إلى تخلف مصر.

تصور أنت عشرين مليون عصبي مجنون يحكمون 60 مليونًا من الفلاحين والعمال أصحاب الأعصاب الهادئة الذين ينتظرون الحكمة من القاهرة.

وأرى من الضروري إعادة البرمجة، وتدريب المذيعين على الوقوف على مسافات معقولة من الميكروفون، فمعظم الأصوات مضطربة ومجلجلة.

ولا بد من تدريب هذه الأصوات والمداخلات فليست إذاعة سرية.

إنها قوية ومن الممكن أن تكون أفضل، ويجب استبعاد كل البرامج المكررة لبرامج أخرى وكذلك الألحان المميزة، وأن تكون جادة – لا هي شرق أوسط ولا هي إذاعة الأغاني ولا هي إذاعة القرآن الكريم.. وذلك يحتاج إلى جلسات طويلة، والأمر مهم ويستحق أي جهود لتحتفظ القاهرة الكبرى بأكبر عدد من الأصوات أصحاب المشاكل والمظلومين.. ثم الارتباط بها لأنها تستحق ذلك وأكثر!

والمفتـــي

محتـــرم..

وفي برنامج (هنا القاهرة) أتوا بشيخ وقسيس. أما القسيس فيعجبني كلامه. إنه رجل يمشي على الحبل ويعرف أنه أقلية في البرنامج وفي البلد، ولذلك كان كلامه بالحساب. أما الشيخ فهو رجل (رغاي) يعلم أنه صاحب البرنامج ويقول ويعيد.. ثم يورد آيات من القرآن الكريم. على عيني وعلى رأسي، ولكن لا يشرح هذه الآيات فليست واضحة لغيره من الناس، فماذا يقال في البرنامج؟

البرنامج له بطانة من المطيباتية، لا دور لهم، ولا ضرورة، ولا معنى، ويقولون كلامًا سخيفًا مملًا مكررًا ينتهي عادة بنصيحة للأطفال قبل النوم: يا أولاد يا حلوين يا مقطقطين لازم تحبوا بعض.. إنت يا حمادة تقوم تبوس أخوك جورج وتوتة توتة فرغت الحدوتة.. عبث؟! طبعًا إضاعة وقت واستخفاف بعقول الناس طبعًا.

لا هذه البرامج ولا ألف واحد آخر ولا مؤتمر مدريد قادر على أن يحل الخلافات لا بين (الإسلام والمسيحية واليهودية) ولا بين المذاهب الأربعة: الشيعة والسنة والكاثوليك والبروتستانت.

المعجزة بسيطة جدًا، وهي الحل الوحيد الذي لا غيره: التسامح الديني.. لكم دينكم ولي دين.. وبس!

وكفانا هزلًا.. فكل صاحب برنامج قد أقام عشًا هادئًا لواحد يفتي على مدى الساعة. يفتي في كل شيء! في أي قضية! ولماذا؟ ومن أعطاه هذا الحق؟ ثم ما الذي أصاب الإسلام والمسلمين في مصر.. أصابنا الحزن والتخريف ممن؟ من هؤلاء الذين يتبرعون بالفتوى، فهم الداء وليسوا الدواء!

وبرنامج المفتي د. علي جمعة في التليفزيون محترم هو وكلامه.. وكفى!

شكـــوى
ملـك البصـــل..

د. إبراهيم كامل ملك البصل ذهب إلى القضاء يشكوني بتهمة السب والقذف في الذات الملكية، وأنا مستعد أن أتنازل عن كل الألقاب التي يمكن أن توضع قبل اسمي وأضع مكانها ملك البصل أو ولي عهد البصل والثوم، فماذا يوضع قبل اسمي: الأستاذ الكبير.. أو الأديب أو الفيلسوف أو الدكتور رغم أن الدكتوراه التي عندي فخرية ولا يصح أن يقال إنني دكتور..؟ ولكنها كلها فداء لمملكة البصل التي تعود بالملايين على صاحبها.. وقد قابلت د. إبراهيم كامل، وقلت له: ماذا تفعل حتى لا أقول عنك يا ملك البصل؟ قال: أدفع عمري.. وضحكنا ولكنه هو الذي اضطرني إلى أن أصفه بالأونيونير على أساس أن أونيون باللغات الأوروبية معناها البصل.. فأونيونير يعني بصليونير!

ولكنه رأى في ذلك إدانة لذاته الملكية، وقد طلب مني عدد من المحامين أن يترافعوا عني، فقلت إن القضية يتولاها د. صبري العسكري، فقالوا: أوه.. هذا أستاذنا!

والخلاف بيننا أن لديه مصنعًا للبصل في شبرامنت أفسد علينا حياتنا بالدخان الذي يخرج من المصنع وبالصرف الصحي الذي يساعد على إفساد الأرض والماء، وقد نبهته أكثر من مرة ووعد بأنه سوف ينقله إلى الفيوم وأقسم على ذلك..

وجاء يطلب مني أن يشتري بيتي وأن أذهب إلى مكان آخر؟! وهل يشتري أيضًا ألف بيت في هذه المنطقة؟!

وجاءته خطابات تحذير واتهام من وزارة البيئة، وزيرة ومن بعدها وزير، ووعد وأخلف ولا يزال (يمشي ملكًا) كما تقول أم كلثوم.

قال الشاعر القديم: يرضى القتيل وليس يرضى القاتل.

فجلالته لم يرض أن يكون ملكًا للبصل والثوم ولكننا نرضى!

حكايـــة البصليونيـــر

والله فرحت عندما تلقيت خطابًا من الدكتور ماجد جورج وزير البيئة، والخطاب يدل على الروح الجادة، فقد درس الوزير أثر مصنع البصل في شبرامنت.. بصل د. إبراهيم كامل الأونيونير أو البصليونير.. أو ملك البصل.. أو كامل البصل.. وأرسل الوزير رجاله فوجدوا العذاب الذي يلقاه مئات الآلاف من المواطنين الذين أغرقهم د. كامل في العفونة.. فالذين لم تدركهم مياه الصرف الصحي في القنوات والمصارف تلفحهم رائحة البصل في أنوفهم وملابسهم وفي عيونهم حتى تحولت المنطقة إلى حائط المبكى.. أحد جدران الهيكل الذي أقامه الدكتور كامل على رقاب العباد ورغم أنف الجميع..

والناس يتساءلون: إن كان هناك قانون آخر غير الذي يعرفونه وهو قانون إبراهيم كامل الذي هو فوق أي قانون آخر.. والدليل على ذلك أن ما طلبته وزارة البيئة منه لم ينفذ منه أي شيء.. لا الصرف غير الصحي ولا الهواء الفاسد تحول إلى منطقة أخرى.. أو ابتلعه المصنع. لا شيء قد حدث. ولذلك ينظر أهل شبرامنت والقرى المجاورة إلى الدمايطة بإعجاب عظيم.. يتمنون أن يستعيروا أسلوبهم في الرفض والاحتجاج. صحيح أنهم قد تأخروا، ولكن الشكوى قديمة وسبق أن قدموها. وقدمتها إلى وزيرة البيئة السابقة، ولكن إعلانات وعملاء د. إبراهيم كامل قاوموا صرخات الناس.

وانتصر د. كامل بقانونه الخاص على كل القوانين.. ويتباهى بأنه قادر على كل شيء.. وأن أحدًا لا يستطيع معه أي شيء.. وأخشى أن تكون هذه العنطزة صحيحة.

وليكن موعدنا 5 يونيو – يوم البيئة العالمي!

حجج

ملك البصل

مبروك.. نجحت وزارة البيئة في معركة البصل.. وكنا نظن - قبل ذلك - أن وزارة البيئة وزير بلا وزارة.. وأنها اسم لا جسم.. وأنها وزارة النوايا الحسنة.. ولكن بعد موقفها من طبقة الأوزون فوق أستراليا ومقررات أوساكا وفيلم آل جور الذي حصل به على نوبل للسلام.. والمطبوعات الأنيقة.. فلا بد بعد كل ذلك أن نعترف بأنها وزارة جادة ووزيرها جاد وقادر على القضاء على كل ما يفسد الجو ويتعذب به الناس.. مئات الألوف.

ودكتور إبراهيم (كامل البصل) عنده حجة وجيهة مثل حجة تجار المخدرات.. فهو يرى أنه مستعد أن يقفل مصنع البصل في شبرامنت.. ولكن أين يذهب العمال؟ تمامًا كتجار المخدرات مستعدون أن يوقفوا هذه التجارة، ولكن أين يذهب رجال البوليس الذين يعيشون على مطاردتهم وكذلك المحامون والقضاة والأطباء، فهم من أجل هؤلاء جميعًا لا يستطيعون أن يتوقفوا عن تهريب وبيع المخدرات..؟ وكذلك الأونيونير إبراهيم كامل ملك البصل.. فقلبه الرقيق يتمزق إذا أقفل المصنع أو نقله إلى الفيوم.. صحيح أنه ليس في حاجة إلى ملايين البصل.. فعنده ملايين أخرى لها مصادر معروفة وغير معروفة.

وملك البصل يشبه المجرم الذي قتل والديه مع سبق الإصرار والترصد، ووقف أمام القاضي يطلب الرحمة لأنه أصبح يتيمًا!!

ألف مبروك علينا وعلى مصر كلها.. فقد أضاف وزير البيئة محمية جديدة هي مصانع البصل لصاحبها إبراهيم كامل.. أما المصنع ففوق أنفاس شبرامنت.. أما أبو خليل ففوق القانون في دولة سيادة القانون!

ومرحبًا بوزارة البيئة.. وزارة من لا وزارة له!

شكــر
علــى النكتــة..

لي صديق له نفس شكواك من البصل، وسألني الرأي فقلت له: إذا لم تستطع أن تغير هذا الموقف فتأقلم، فالكائنات التي تأقلمت عاشت وسادت، والتي لم تتأقلم اندثرت، سألني: كيف؟ قلت له: أقنع نفسك بأن صاحب مصنع البصل يريدك أن تعيش في شم النسيم الذي تسوده رائحة البصل، فهو يقدم لك علاجًا تكميليًّا يسمونه العلاج بالشمشمة لأن رائحة البصل تجعلك (فايق) على طول، وفي الطب الشعبي من يغمى عليه يشممونه البصل!

د. هنري أمين عوض

الله يضحكك يا دكتور فأنت تريدنا أن نتأقلم مع الزبالة والصرف الصحي، وأن نقبل كل شيء على ما هو عليه، فلا نهش ولا ننش.. ومن ضربك على خدك الأيسر فأدر له الأيمن وقفاك أيضًا.

وأن نتعايش مع المرض فلا داعي للعلاج، ومع اللصوص فلا داعي للعقاب وللتخلف العملي والعلمي ولا داعي للشعور بالأزمة، وأن ننظر حولنا فنجد الناس نيامًا ونستسلم ونسترخي وننام، لأنه لا مبرر للصحوة أو اليقظة أو النهضة.

وأسلم لنا من وجع الدماغ أن نقبل كل شيء على ما هو عليه.. وأن نعيد الدوسة إلى حياتنا.. فقد كانت الدوسة أن ينام الناس على الأرض

الواحد إلى جوار الآخر.. ويجيء الخليفة بخيوله (يدوس) الناس، هذا يكسر دماغه وهذا يفتح بطنه، ويرى الناس في ذلك شرفًا وتكريمًا لهم، شكرًا للعالم الكبير د. هنري عوض على هذه النكتة الخشنة!

نقطـــة
بيضـــاء ســـوداء!

نقطة بيضاء في السماء. يعني إيه؟ يعني عندما يجد أحد رجال الفلك أمام عدسته نقطة بيضاء بعيدة بملايين الكيلومترات تخترق الفضاء البعيد، فإنه يظل يرقبها أيامًا. وهي تتألق وتبهر وتختفي ثم تعود. فما هذه؟ إنها جسم سماوي جاء من حيث لا نعرف، وسوف يذهب إلى حيث لا ندري. ونرصدها ونعرف حجمها وسرعتها. إن كانت حجرًا أو غازًا أو على رأس ما لا نهاية له من النيازك. ونخبر غيرنا من العلماء ليعرفوا ويرصدوا هم أيضًا، ويؤكدوا حقيقة هذا الاكتشاف. مع أنها ليست إلا واحدة من مليون مليون مليون حجر تنطلق في مسارات بعيدة طويلة بين الأرض والشمس والكواكب الأخرى. فما الفائدة؟!

إننا نرصدها لنعرف إن كان طريقها إلى الأرض. أي إن كان هناك احتمال أن تصطدم بالأرض أو تمر بالقرب منها، فإذا حدث فآثارهما مهلكة للحياة.

ونحن الآن نتذكر ما حدث في سيبيريا من مائة عام بالتمام. ذلك الحادث الفلكي الفريد في تاريخنا الحديث، حادث تونجسكو، فقد اصطدم جسم بصحاري سيبيريا وأحرق وأهلك ثمانين مليون شجرة. وأشعل النار فأضاءت أوروبا أيامًا. حتى إن الناس في لندن كانوا

يقرأون الصحف ليلًا في ضوء هذا الانفجار الذي بلغ ما تحدثه ألف قنبلة ذرية. والغريب أن هذا النيزك الذي اصطدم بالأرض لم يترك بها تجويفًا. كأنه اقترب واحترق وتناثر نارًا وشرارًا.

ولحسن حظ البشرية أن حادث تونجسكو لم يقع على عاصمة مأهولة. فهدف الفلكيين أن يعرفوا إن كانت هذه النقطة سوف تتحول إلى كارثة حمراء أو سوداء أملًا منهم، لا في رد القضاء وإنما اللطف فيه!

يركب فيلًا
ومعه القرآن!

الفرنسيون لا يزهقون من الكتابة عن مصر الفرعونية ولا عن نابليون. ففي كل عام كتب جديدة. ولا بد أن أي مثقف مصري قد قرأ كتابًا أو اثنين عن الحملة الفرنسية على مصر. أنا قرأت خمسة كتب وقلبت في عشرين. وربما كان أمتع الكتب ما صدر منذ أيام للأستاذ الإيرلندي بول استراتين في 500 صفحة من منشورات جوناثان كيب. الكتاب عنوانه: نابليون في مصر – أعظم الأمجاد.

كان نابليون عمره 28 عامًا عندما غزا مصر سنة 1798 ووراءه أكبر قوة محمولة بحرًا في التاريخ: 335 سفينة وعليها 133 من كبار العلماء في كل العلوم والفنون. وهي أول مرة تغزو دولة أوروبية الشرق الأوسط. وقد جاء علماء نابليون ومن آمالهم تعليم المصريين ونقلهم إلى العصر الحديث، فكانت المفاجأة أنهم اكتشفوا حضارة عريقة لا يعرفونها ثم إنهم اكتشفوا حجر رشيد الذي فك طلاسم اللغة الهيروغليفية بفضل العالم الشاب العبقري شامبليون.

وكان نابليون يخطط، لا إلى الاستيلاء على مصر فقط وإنما يمشي في خطى مثله الأعلى الإسكندر الأكبر. وأن يركب نابليون فيلًا ويضع على رأسه عمامة – هو يقول – وأن يحمل في يده نسخة من قرآن جديد (؟!).

ولكن جاء الأسطول الإنجليزي وأحرق أسطول نابليون وأحلامه العظمى. وهذه الهزيمة وانسحابه من موسكو تاركًا الجيش وراءه. وهزيمته في ووترلو لم تستطع أن تطفئ عبقريته وقراراته الخطيرة،فهو الذي توج نفسه إمبراطورًا وهو الذي أصدر قانون نابليون وانتصاراته العسكرية الباهرة.. وما أحدثه من أثر عميق في مصر ودفعها إلى مواكب التنوير التاريخية. الغريب أن نابليون كنز يتجدد كل عام – عجبي!

كل شيء غلط!

تلقيت من المهندس المصري محمد علام الذي يعمل بالسعودية، صورًا أخجلته، وتخجلنا في مصر كل يوم، فقد أرسل له صديقه السوري عددًا من اللافتات والعناوين، وبها أخطاء إملائية في العربية وفي اللغات الأخرى.

بعض هذه اللافتات تحمل كلمات بذيئة بالإنجليزية. مع أن المقصود شيء آخر.. حتى الأدوية والأسماء الأجنبية والعربية أغلبها خطأ!

ولافتة لمدرسة في المعادي اسمها مدرسة القناة بالمعادي.. وبالإنجليزية سقط منها حرف فأصبحت ANAL، وهذه الكلمة معناها الشرج!

ولافتة في أحد المستشفيات: ممنوع استخدام الموبايل.. وبدلًا من الباء الخفيفة استخدموا الباء الثقيلة!

ولافتة تقول: أنت في أحضان التاريخ، ولكن بالإنجليزية أنت في فيلات التاريخ ولافتة بالإنجليزية عليها ترجمة عربية تقول: وظيفتنا إسعادك دعنا نوّد (ي) ذلك.. أما العبارة الإنجليزية فمعناها واجبنا أن نتمتع بك..

وتاكسي مكتوب عليه كلمة تاكسي بالإنجليزية.. خطأ فادح..

والأسماء الفرعونية للشوارع لا علاقة لها باللغة الإنجليزية، وإعلان عن فطائر البتسا مكتوب بالعربية هكذا: بستا؟!

ولافتة ضخمة مكتوب عليها بالعربية والإنجليزية: مصر أرض الحضارة. ومربوط تحتها حمار. صاحب الحمار لا يقصد ذلك. وإنما وجد عمودًا من الحديد ومظلة فترك حماره، وصاحب الحمار لا يختلف كثيرًا عنه!

وغير ذلك كثير جدًا في التليفزيون وفي الإعلانات: فضيحة يومية!

فأقسمت على المصحف!

رأيت برنامجًا عن (سامية جمال) من تقديم الفنان سمير صبري وشاركه الناقد الفني ثروت فهمي. أعجبني البرنامج، فقد تناول حياة الفنانة الهاربة من الصعيد إلى مصر، وكيف تدرجت حتى انتقلت إلى راقصة مصر الأولى بديعة مصابني.

وأهم الأحداث في حياتها أنها قابلت فريد الأطرش وظهرت في أفلامه، وأنها سافرت إلى أمريكا وعادت، وأنها كانت على صلة بالملك فاروق، وأنا الذي أطلقت عليها اسم (راقصة مصر الرسمية).

وكانت لي صديقة فرنسية تبعث بأخبارها من باريس، وكنت أنشر أخبارها والملك بإمضاء (سيلفانا ماريللي) في مجلة روز اليوسف، وقد راجعتني هي في كثير مما نقلته عن الصحف الفرنسية، وذهبت إليها وسألتها هذا السؤال السخيف: هل كانت لك علاقة جنسية بالملك فاروق؟ فمدت يدها إلى تحت المخدة وأخرجت المصحف وقالت: وحق كلام ربنا لم يحدث، وإن كنت تمنيت ذلك مثل ملايين النساء!

وأعجبني في البرنامج أن أسلوب التناول والعرض كان ودودًا. ليس فيه تجريح ولا إهانة ولا شماتة، وإنما كان في غاية الاحترام وحسن التقدير وموضوعية الأداء، وبقدر سعادتي بهذا البرنامج كانت

تعاستي على برامج أخرى أعددتها لطه حسين والعقاد وعزيز أباظة وعبد الرحمن الرافعي وحسين فوزي والشيخ مصطفى إسماعيل وصديقي الراهب الكاثوليكي فردي الذي كان يقرأ البخت عن طريق كرة كريستال، ويوم ذهب إليه نجيب محفوظ بعد أن كاد يلقي بنفسه في النيل، سأله فردي: إنت يا مجنونة كنت عاوزة تموتي نفسك، امشي اطلعي برة.. إنت ستكوني أعظم واحد في مصر.. امشي برة!

وكان نجيب محفوظ وقتها طالبًا في قسم الفلسفة في آداب القاهرة.. كل هذه التسجيلات الفريدة مسحوها!

أنتم كويسين كده!

قالوا في النكت الاقتصادية إن وزير اقتصاد هتلر واسمه هيلمار شاخت (1917 – 1970) ذهب إلى لبنان ويقال إلى مصر لإصلاح السياسة المالية والاقتصادية. وقالوا إن الرجل قرأ وسمع وقيل له وفكر، ثم عاد يقول: أنتم لستم في حاجة إلى أي إصلاح اقتصادي.. أنتم كده كويسين جدًّا!

يعني أنه حاول أن يفهم فلم يستطع. ومع ذلك فكل شيء يتحرك والناس يأكلون ويشربون ويفكرون ويجتمعون وينعقدون لحل مشاكلهم ولم يجدوا أعظم من شاخت. ولم يجد شاخت أغبى ولا أسخف منهم!

وربما كان الرجل الوحيد الذي استفاد من عبقرية شاخت هو محمد مصدق رئيس وزراء إيران؛ فقد اتخذه مستشارًا له.

وبعدها قرر شاخت أن يعمل لحسابه هو فأنشأ بنكًا!

وما يقال عن شاخت في الاقتصاد يجب أن يقال عن ساحر آخر للسياسة في العالم العربي. ولو جاء شاخت ولو جاء نوح عليه السلام، فلن يجدا حلًّا ولا طريقًا ولا خريطة لكل الطرق في السياسة والاقتصاد والدين. فالشرق الأوسط في حالة لا توصف بأنها فوضى. فهناك نوعان من الفوضى: الفوضى الأمريكية التي هي الفوضى

المنظمة والفوضى العربية التي هي أقوى من كل نظام. واتفرج يا سلام على العراق ولبنان وفلسطين والسودان والصومال. وغدًا في أماكن أخرى من عالمنا العربي.

إن الذي فعله العرب بأنفسهم أكبر وأخطر مما فعلته إسرائيل. إن إسرائيل لم تفعل في فلسطين وشعبها وماضيها ومستقبلها – إن كان لها مستقبل – أسوأ مما عمله الشعب الفلسطيني في نفسه. هناك شعوب وأشعب وشعاب ومذاهب.. ومجانين يدعون العقل، وعقلاء استراحوا إلى الجنون. وقطاع وكلمات متقاطعة. والأيدي تشير إلى الخونة والخونة هم الذين يشيرون إلى غيرهم.. مين قتل مين.. ومين وشى بمين.. وعندما سأل الرئيس السادات السيدة جولدا مائير: عن (دولة) فلسطين، قالت: ليس في حياتي.. فقال السادات: في حياة الذين يجيئون من بعدك.. فقالت: فخامة الرئيس ولن تقوم دولة لهم ولا يوم القيامة!

ويبدو أنها نبوءة!

إنهم على أقدامهم فقط!

سمعت عربيًا شهيرًا كان في مصر وعاد يقول لنا:

رأيت الشعب المصري ماشيًا على قدميه يزاحم بعضه بعضًا في كل الشوارع والميادين. وهذا الزحام لم يترك لأحد وقتًا لكي ينظف الشوارع ويغسل الميادين ويقيم الأرصفة.. وإذا كان هذا العدد الهائل يمشي طول النهار فمن الذي يصنع الخبز والماء النقي والدواء والتعليم؟

وتساءل الرجل بمنتهى حسن النية: إن كانت هناك مظاهرة احتجاج على شيء ما!

فقالوا: لا مظاهرة. وإنما هم المصريون يمشون على أقدامهم. فقد ضاقت عليهم السيارات والقطارات والمقاهي والمطاعم والمدارس.

ثم قال إن مصر اليوم تشبه، في مظاهر الحزن على الوجوه والكآبة في البيوت والملابس القديمة، تشبه سكان أوروبا الشرقية عندما كانت شيوعية. عندما كانت أكثر الشعوب حقدًا على الغرب وعلى أمريكا. وكانت آمالهم فقط هي اليوم الذي تنهار فيه الرأسمالية الغربية. وفي انتظار هذا اليوم، كانت الشعوب الشيوعية تمشي في جنازة طويلة في انتظار الميت الذي بشر به كارل ماركس. ومات

كارل ماركس ولم تمت الرأسمالية الغربية. بل ماتت الشيوعية في روسيا وفي أوروبا الشرقية... أما الذي نراه في مصر فلا هو مظاهرة ولا هي جنازة.

ولا أحد في انتظار من سوف يموت.. وإنما هو المشي في أثناء النوم، فالشعب المصري لا هو نائم ولا هو يقظان.. ولا هو في وعي ولا هو مسطول. والفرق بيننا وبين الدول الشيوعية السابقة هو الأمل، فقد كان عندهم أمل في فجر تنهار فيه الرأسمالية!

لابـــد مـــن
الوعـــي المائـــي..

سألت في مطاعم وفنادق باريس: لماذا تقدمون كوب الماء إلى منتصفه؟ قالوا: لكي نملأه مرة أخرى.. أي نخدمك مرتين!

وقيل أيضًا إنه (الوعي المائي) أي الاقتصاد في استهلاك الماء، وهذا ما فعلته إمارة ليخشتين، فقد دربت التلاميذ على شرب نصف الكوب.

وليس عندنا في مصر من ذلك شيء.. فالماء الكثير يفيض ويتبدد.. والحنفيات مفتوحة على الآخر ليلًا ونهارًا والسيفونات.. والفلاح ينام بعد أن أطلق الماء على أرضه ومن أرضه إلى المصارف.. إهدار للماء لأنه كثير، ولكن الماء لن يبقى كثيرًا، بل لم يعد كثيرًا، ولذلك يجب أن يكون هناك وعي مائي، تبصيرًا للناس بالماء الذي نلقي به في المصارف والبلاعات بلا سبب معقول.

وقد جاءني من صديقي د. محمود أبو زيد وزير الموارد المائية والري أنه لا بد من إيجاد وعي مائي، وذلك عن طريق الإذاعة والتليفزيون والمساجد والمدارس، لأنه مشروع مصر كلها، وهي قضية كل الوزارات.

وقال د. أبو زيد إنه استحدث وظيفة جديدة اسمها (مشرف توعية مائية) وعمله الأساسي بين المزارعين في القرى نشر الوعي ومتابعة

سلوكيات المزارعين، وقال: إن الوزارة تقيم احتفالًا سنويًا ليوم المياه العالمي، تحتفل بالمتميزين من الباحثين والعاملين بالوزارة، وتوزيع جوائز قيمتها خمسون ألف جنيه.

ولا يخفي د. أبوزيد رأسه في الرمال، وإنما يعترف بأنها مهمة صعبة جدًا، لأنها قضية متعددة ومعقدة الملفات، فالحفاظ على المياه مسئولية تشاركية تضامنية، ولا تقدر عليها جهة واحدة.

وهذه دعوة عامة لكل واحد في بيته ومدرسته ومؤسسته.. والله تعالى يقول ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾.. ونحن نريد أن نعيش وأن ندع غيرنا يعيش!

إلا..
هـــؤلاء!

عزيزي وصديقي أنس الفقي وزير الإعلام: لا شك أنك أحدثت تطويرًا شاملًا في برامج التليفزيون ونشرة الأخبار، والبرامج أصبحت من الدرجة الأولى في الأداء والإعداد والحوار والتحقيقات.. كما أن هناك برامج أخرى كثيرة جادة ومحترمة..

ولكن هناك برامج منوعات تديرها شوية بنات مفاعيص.. لعب عيال.. تجعلك تحس أنها برامج مدرسية. كثير من صاحبات البرامج لم يتدربن لا على الكلام ولا على النطق ولا على إدارة الحوار.. يجب ألا ننسى أنه تليفزيون الدولة وليس إحدى الشركات السياحية ولا إحدى دور الترفيه.. لذلك يجب مراجعة هذه الوجوه وهذه الأصوات ومضمون هذه البرامج.

ولا أتمنى أن يشارك التليفزيون في فوضى الإفتاء.. ففي بعض البرامج يوجد مفتي ملاكي. من الذي عينه للإفتاء؟ من الذي أجلسه على هذا الكرسي ليقول ويحكم ويتحكم؟ إن الدين ليس لهوًا ولعبًا وليس على هوى أصحاب البرامج، يجب أن تتدخل يا سيادة الوزير وأن توقف هذه الفوضى في البلبلة باسم الدين.. وليس ما ينقصنا في حياتنا أن يجيء من يمسك الميزان ويحلل ويحرم في غيبة القانون والدين..

إننا في حاجة إلى أن نتماسك وأن نقوى وأن نعتدل، لا أن يجيء من بيننا من يمزقنا ويفرقنا ويجعلنا أضحوكة بين الأمم.. ثم إن هناك تكرارًا بين كثير من البرامج، وهناك برامج لها اسم من تأليف الحشاشين.. لا هي عربية ولا هي عامية وإنما (تطجين)، وما المعنى وما الرسالة إلى المستمعين الذين أفسد ذوقهم ولغتهم ما تجود به الأفلام المسخرة من كلمات عامية وعبارات منحطة؟!

أصلها فصيح!

وهذه مجموعة من كلمات فصيحة الأصل..

نقول: المسرح أي المرعى.. أي المكان الذي تسرح فيه الماشية..

نقول: مسلوَع أي الطريق المشقوق نصفين.. وهو مسلوَع أي كأنه نصف إنسان.. نحيف هزيل..

ونقول: السفرة وهي الطعام الذي يحطه المسافر..

ونقول: المرحاض أي مكان الغسل أو الاغتسال.. رحض الشيء أي غسله..

ونقول: السطل بمعنى الدلو.. الجردل.. وهي كلمة فصيحة..

ونقول: فلان يردن لأصله.. أي يرتد إلى أصله.. أي يكون مثل أجداده.. والفعل يردن بضم الدال أي آخر كم القميص..

ونقول: زعبولة.. والفعل زعبل اللحم أي قام بتقطيعه.. فالزعبولة أي الذي ملابسه ممزقة..

وزنخ: أي تغيرت رائحته..

ونقول: رنخ أي تكاسل وتهافت..

ونقول: زلط أي مشى بسرعة.. وزلط الطعام أي التهمه بسرعة..

وفي ريف الدقهلية يوجد نوع من الفطير اسمه الكردوش.. والكلمة فصيحة.. وهي قطعة اللحم الكبيرة.. ويقال الكردوشة أيضًا..

ونقول: رجل لخمة بضم اللام أي بليد..

وفي التعبيرات الطبية نقول: بلاسيبو.. وهي كلمة لاتينية بمعنى الدواء البديل.. وعند العرب كانوا يستخدمون كيسًا من القش على شكل جمل صغير تراه الناقة فتدر لبنها.. ويسمونه البو.. فالبو هو البلاسيبو..

أم كلثوم معناها ذات الوجه الممتلئ لحمًا..

ونقول خطرف في الكلام.. والخطرفة هي المشي بسرعة..

ويقول الأستاذ حسن أغا: إن كلمة باشا أصلها فارسية: باديشاه.. أي المعين بأمر الشاه..

ونقول: السنارة لصيد السمك.. والصحيح الصنارة!

الصين:
أكبر دولة صناعية..

في العيد الذهبي لجمعية الصداقة المصرية الصينية التي يرأسها د. يوسف والي من 25 عامًا تحدث عن دورها في تقوية الروابط بين البلدين. وعن التطور الهائل في الصين. وتحدث السفير الصيني بالعربية الفصحى عن العلاقات بيننا والتي تزداد قوة عامًا بعد عام. ولا أظن أحدًا في حاجة إلى أن يذهب إلى بلاد الصين لكي يعرف معنى المعجزة الصينية.. يكفي جدًّا أن يرى منتجات الصين في الأسواق وعلى الأرصفة.. بل على أكتاف الصينيين الذين يجيئون إليك في بيتك يبيعون بالتقسيط.. وهم فعلًا يصنعون ويبدعون من فانوس رمضان حتى سفن الفضاء.

والشعب الصيني الذي كان مئات ملايين الفلاحين أصبح مئات ملايين العمال. والثورة الجبارة هي كيف يتحول الفلاح حامل الفأس إلى عامل أمام الكمبيوتر. ولكي يكون الفلاح عاملًا لا بد من تعليمه وتدريبه وتنويره، وليس هذا بالأمر السهل..

ففي الصين ألف مليون عامل.. وكانت الصين أكبر مجمع زراعي استهلاكي، أصبحت أكبر دولة صناعية إبداعية. ولن تكون أمريكا وحدها بعد اليوم هي القوة الوحيدة القادرة القاهرة. فالصين تتعملق وكذلك روسيا وأوروبا الموحدة.

وفي هذا الاحتفال سمعت من الذين ذهبوا إلى الصين وعادوا بأروع الذكريات.. كيف قامت الصين وارتفعت تنطح السحاب وتدور حول الأرض في طريقها إلى الكواكب.. وكيف استطاعت الصين أن تملأ الأيدي العاملة بالإنتاج المنافس لكل ما تصنعه أوروبا وأمريكا واليابان وكوريا..

فإذا أردنا – نحن الفلاحين – أن نختار – مثلًا أعلى فأمامنا الصين.

لم تفصح الصين كثيرًا عن استعدادها للدورة الأوليمبية يوم 8 شهر 8 سنة 8 ولكن العالم كله يتوقع إنجازات رائعة. فكل شيء يتم في صمت وبعيدًا عن العيون والكاميرات..

وأذكر أنني كنت في كوريا الجنوبية قبل دورتها الأوليمبية بأيام رأيت البروفات الرائعة لكل شيء. كيف ضبطوا إيقاعهم وحركتهم بصورة مذهلة. وكانت دورة سول من أروع ما عرف الإنسان في الدقة والجمال والإبهار.

وكيف دربوهم على الكلام والسلام. وكيف علموهم الابتسام والاحترام.. وبالغوا في ذلك. فليست الدورة الأوليمبية هي استعراض للرياضة والروح الرياضية، وإنما هي استعراض لعلوم الإدارة وفن المعاملة.. والشارع والبيت والمستقبل.

وقد اتسع وقتي لكي أتسلى أيضًا، أريد أن أعرف أكثر، فقابلت عددًا من الفتيان والفتيات، وسألت عن أشياء صغيرة، فانفتحت الكتب والقواميس تدلني على المعنى الذي أريد. سألت: أين أجد كذا وكذا؟ فانفتحت الكتب وقيل لي: اذهب وسوف تجد. والسعر كذا.. ولكن هناك أرخص ويكفي أن تقدم جواز السفر. وقد تكون سعيد الحظ فتحصل عليه مجانًا. وقد حدث..

وفي أثناء البروفات النهائية. حدث شيء ليس في الحسبان. توقفت إحدى السيارات مما أدى إلى تعطيل السير والمسار بضع دقائق. وكانت مأساة! فقد أعيد ترتيب السيارات وتغيير السائقين مع أن العطل لم يستغرق إلا دقيقة أو دقيقة وعشرين ثانية!

والأمريكان واليابانيون – وهم المنافسون للصين – يقولون: سوف نرى العجب!

أحمــد
عمــر هاشــم

أحب أن أستمع إلى د. أحمد عمر هاشم.. فقد آتاه الله الكثير من الفصاحة والبلاغة والبيان.. وهذه القدرة الفذة على الخطابة واجتذاب الناس.. فإذا خطب في الناس أخذهم من أنفسهم واستولى على وجدانهم بشعره ونثره وحسن اختياره لآيات الله وأحاديث الرسول.

وقد استمعت إليه يخطب الجمعة من مسجد الإمام عبد الحليم محمود.. أما فضيلة العالم الجليل عبد الحليم محمود، فهو إمام وصاحب رأي.. ويرى مريدوه أن له كرامات.. وله مجاهدات واجتهادات.. ويشع النور الذي وهبه الله في كل ما تعرض له من تفسيرات وسوانح.. وهو لم يفتعل الدفاع عن الإسلام.. وإنما هو على رأس جيش من المؤمنين بعظمة الله وحكمة رسوله.. ومؤلفات الإمام عبد الحليم شاهد على ذلك.. وقد مررت بها وتوقفت عند كثير من صفحاتها.

ولا أدعي العلم بكل ما يعلم.. ولكن الكثير الذي تعلمناه من الفلسفة قد يسر لي ذلك.. فعندنا لغة مشتركة.. هو تعلم في الغرب أيضًا كيف يدافع عن الشرق بلغة الغرب.. وهذا بالضبط ما ينقصنا.. فنحن نحدث الغرب بلغة الشرق، فتتسع الهوة بيننا.. ولكن

في الغرب من يتحدث إلى الغرب بلغته مثل الرئيس عزت بوجفتش والسفير الألماني مراد هوفمان.. فكلاهما نموذج فريد للمسلم الأوروبي القادر على أن يشرح الإسلام بلغة يفهمها الأوروبيون ونحن أيضًا.

أما خطبة د. أحمد عمر هاشم.. فهي شعر فياض ونثر جياش.. ورسالة بأن الإمام عبد الحليم لا يزال إمامًا ولا يزال يضيء حاضر الإسلام ومستقبله.

ولم نهاجم
رئيس سوريا!

اشهدوا يا ناس على ظلم الناس.. سوريا تتفاوض مع إسرائيل سرًّا!! والرئيس الأسد يطلب من أمريكا أن ترعى هذه المفاوضات.. لأنه من غير أمريكا فلا مفاوضات ولا سلام!

ولم يقل الرئيس مبارك إن سوريا خائنة ولا باعت القضية وهربت الأموال.. ولم يقل أحد قاطعوا سوريا.. ولا أحد كتب أو همس بحرف واحد من حروف هذه الكلمات التي كانت مثل اللب والترمس تقزقزها كل وسائل الإعلام العربية ضد السادات: الخائن.. العميل.. الذي أضاع القضية.. والذي لم يستشر أحدًا. وإنما ذهب وحده لإسرائيل، وقبل أن يذهب قال إن تسعين في المائة من أوراق اللعبة في يد أمريكا.

وكانت أمريكا طرفًا ولولاها ما انحلت مشكلة واحدة.. والآن يعيد التاريخ نفسه.. ونحن نشجع ونبارك.. ولا نشجب ونلعن ولا نتهم بشار الأسد بالخيانة والعمالة.. بل ندعو له بالتوفيق.. ونرجو أن يتسع وقته ليفكر فيما قاله المرحوم والده.. وما قاله صدام حسين!! ولا نطلب إليه والشعب السوري أن يعتذروا لمصر.

ولا داعي لأن نسأل الرئيس الأسد عن الأشاوس والمغاوير وعن الذين «يقوصون» أي إسرائيلي أو أي أمريكي أو أي واحد يفتح فمه ويقول: مصر أو السادات.. فشعب مصر جبان والسادات خائن!

وفي كل الصحف المصرية والقنوات لم يهاجم أحد سوريا ولا رئيسها.. ولا قال إنهم لا يستحون ولا يخجلون مما قالوه عن مصر ورئيسها وسياستها.

وأنا أدعو لسوريا بالتوفيق.. وأهنئ السوريين على أنهم فقدوا الذاكرة ونسوا ما قالوا، وعلى أنهم أعادوا اكتشاف الحقيقة البسيطة التي اهتدى إليها السادات، وكانت المفتاح الذهبي الصغير جدًا الذي فتح كل أبواب الأمل في الحل والسلام، وهو: كل شيء قابل للتفاوض.. فلنجلس معًا في تركيا أو في قطر.. المهم أن نتفاوض.

وكذلك يفعلون..

اختـــاروا الهدهــــد!

هذا خبر: إسرائيل بعد استفتاء شعبي مدني وعسكري اختارت لها طائرًا وطنيًا هو الهدهد.. وهذا الطائر رأت التوراة أنه طائر نجس لأنه يأكل الديدان لذلك حرمت أكله.. انتهى الخبر.

نفرض أننا نريد أن ننشر الخبر وأن نعلق عليه.. فكيف؟ نحن عادة نستل السكاكين والخناجر للهجوم على إسرائيل بتسخيف هذه الفكرة.. ولا نرى في عملية الاختيار هذه أي شكل من أشكال حرية التعبير أو الديمقراطية.. فقد اختار الشعب الهدهد.. الذي ورد ذكره في القرآن الكريم.. فقد طلب منه النبي سليمان أن يأتي له بأخبار بلقيس ملكة سبأ.. والآيات القرآنية نموذج رفيع للبلاغة والإيجاز وسرعة الأداء.. ففي سورة النمل قال الهدهد لسليمان: ﴿**أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ**..﴾

لكننا عادة لا نفسر الخبر.. وإذا فسرناه فلكي نجد مناسبة للعن إسرائيل وما تفعله في فلسطين والتآمر على العرب والإسلام.. ولا نتساءل إن كان لنا أيضًا طائر قومي.. هل هو صقر قريش؟ هل نسر صلاح الدين؟ هل هو حورس مصر للطيران؟ وما المعنى؟ وهل هذا الطائر كان نتيجة استفتاء شعبي أو أنه قرار من فوق؟ وما الفارق بين الصقر والنسر وحورس والهدهد؟

ومثل هذه المواقف هي المسئولة عن سوء فهم كل ما بيننا وبين خصومنا وأعدائنا.. فنحن لا نرى لهم أية ميزة.. ولا نحسب لهم أي حساب.. فلدينا رصيد هائل من الكراهية وبس.. فلا عرفنا ولا نظرنا بموضوعية إلى ما بيننا أو ما يجب أن يكون بيننا!

تكفـــي المحاولـة!

محافظ القاهرة الوزير وزير عنده طموح.. ويريد أن يرى القاهرة مدينة الألف مئذنة مدينة المليون زهرة ووردة وشجرة في الشارع.. وفي النوافذ.. وفوق الأسطح.. تمامًا ككل العواصم الأوروبية.. ولابد أن الذين سافروا إلى أوروبا – أمستردام مثلًا – قد أذهلهم جنون الناس بالنظافة والنظام وحب الحياة.. حياتهم والحيوانات والنباتات.. وفي أمستردام كل شيء يتحول بقدرة قادر إلى زهرة. والزهور تملأ الأرض.. وعطرها يملأ السماء. وبرغم كثرة الزهور في كل مكان فإنها تتعلق من النوافذ والبلكونات.. وكل مناسبة عندهم يعبرون عنها بالزهور والورود.

وقد التفت محافظ القاهرة إلى ما نعرف جميعًا – مع الأسف – وهو أن الأسطح مزبلة.. وكذلك البلكونات.. فكل ما نريد أن نهمله نكدسه في البلكونة أو فوق الأسطح.. ولا بد أننا نندهش لحالنا.. فإذا كانت هذه الزبالة لا ضرورة لها.. فلماذا نحتفظ بها؟ لماذا لا نتخلص منها.. كأننا نريدها ولا نريدها؟ نحتفظ بها إلى أن نقرر التخلص منها.. ثم لا نحسم هذا الموقف.. وما نفعله بالزبالة نفعله بأشياء أخرى كثيرًا نحرص عليها لأننا لم نقرر بعد التخلص منها!

ولا بد أن الملايين منا قد لاحظوا في أسفارهم الأوروبية أن أسطح البيوت نظيفة.. وأن بعضها يزدان بالزهور والورود.. ومن الغريب أنك لا تجد مقعدًا لأحد يجلس بين الزهور.. فهي جميلة لأنها يجب أن نراها كذلك.. فالجمال للجمال.. فكأنهم يرسمون لوحات حية فوق الأسطح.. وهناك مسابقات بين الأسطح أيها أجمل وأيها أبدع.. ويرصدون الجوائز.. كما يرصدونها للوحات الفن والتماثيل والموسيقى والأعمال الأدبية.

وإذا لم يستطع الوزير وزير أن يحقق كل أحلامه.. يكفيه أنه حاول وأنه يصر على ذلك!

كله
جاء من فوق!

بلغت الرحلات الفضائية عامها الخمسين.. وقد كان الروس سباقين إلى الدوران حول الأرض عندما أطلقوا كرة فضية صغيرة.. كأنها إحدى قصص الخيال العلمي.. وصارت حقيقة علمية.. وبعدها أطلق الروس أول كلبة وأول رجل.. ثم أول امرأة.. ولحق بهم الأمريكان وتفوقوا عليهم.. وأكملوا اليوم خمسين عامًا على رحلاتهم حول الأرض وحول القمر وحول المريخ.. وأطلقوا معامل فضائية ومراصد مدارية.. ورصدوا أعماق الكون.. وفي منتصف القرن الماضي أعلن الرئيس كيندي أن أمريكا سوف تطلق رجلًا إلى القمر وتعود به سالمًا.. وقد حدث.. فذهب أرمسترونج وهبط على القمر، وقال عبارته التاريخية: هذه خطوة قصيرة لإنسان.. خطوة طويلة للإنسانية!

وقبل نهاية هذا القرن سوف يعيش الإنسان على القمر.. ويقفز من القمر إلى المريخ ويذهب ويعود سالمًا.. ومنذ أسابيع هبط سالمًا على سطح المريخ معمل يدرس قشرة المريخ ويبحث تحت السطح عن الجليد.. وكيف يكون.. وما دام الماء كان موجودًا في المريخ فلا بد أنه كانت هناك حياة.. ومن الحقائق العلمية أن كل حياة ظهرت على الأرض قد جاءت من فوق.. من الكواكب الأخرى ومن المريخ.

وقد سجلت هيئة الفضاء الأمريكية في فيلم ست ساعات تاريخها الرائع عن مغامراتها في الفضاء: نجاحها وفشلها.. وإصرارها على ذلك.. وقد اتخذت لها شعارًا يقول: سوف نمضي.. أو سوف نكمل المشوار.. أو نحن ملتزمون باكتشاف الكون.

والدقائق التي رأيتها من هذا الفيلم الوثائقي باهرة!

حكايــة أم أميـــن..

في برنامج ممتع للموسيقار محمد سلطان الذي اسمه (سلطنة)، وكانت حلقة عن عبد الحليم حافظ، جاء في البرنامج أن أحد أسباب الخلافات الكبيرة بينهما حكاية (أم أمين) – وهي حكايتي أنا التي نقلتها عن عبد الحليم حافظ عندما كان طريح الفراش في باريس. كان شاحبًا ذاهبًا مأخوذًا منا. مسكين عبد الحليم عاش محرومًا من العيشة. يغني للحب ولم يعد يعنى بالحب ولا يلمسه ويبكي على اللي راح وعبد الحليم كله راح. لا أنسى يوم أصدر الرئيس عبد الناصر قرارًا بفصلي، أن خرجت من باب أخبار اليوم في أذني أغنية راح. وهي من تأليف الشاعر الغنائي البديع محمد حمزة. هذه الأغنية وأغنية (سواح) التي سوحتني ودوختني وأغنية (موعود) التي أوجعت قلبي على حليم فقد حضرت بروفاتها ورأيت ميلاد الأغنية ووفاة عبد الحليم محمولًا على نعش الكلام ملفوفًا بأكفان النغم، قال لي: تيجي تسمعها؟ قلت: طبعًا. وجلست أتوقع بين لحظة وأخرى أن يسقط عبد الحليم على المسرح. والبقاء لله!

وعاش قليلًا. فالفنان يموت والفن لا يموت.

وقال عبد الحليم في باريس: إن قارئ كف (...) قال لي إن التي عملت عملًا هي واحدة اسمها أم أمين. فطلب أخته علية في مصر

وقـال لـهـا: ارمـي المراتب والمخدات أو احرقيها فقد وضعت بين ثنـايـاهـا كل الشرور.

وفي يوم، كنت وقتها رئيس تحرير (آخر ساعة) جاءني الموسيقار محمد الموجي ومعه سيدة وقال: وهذه يا سيدي أم أمين – زوجتي!

ولم أشا أن أكتب أن العراف قد اختاره الموسيقار بليغ حمدي وهو حاخام يهودي – يرحمهم الله!

وليس
عندنا ذوق!

هل يمكن أن يقال إن الشعب المصري: شعب يغني.. يغني على ليلاه.. ويغني على حاله.. فإذا فرح غنى.. وإذا حزن غنى؟ يمكن.

فالشعوب الأخرى لها تعريفات مختلفة.. هذا شعب عامل.. هذا شعب مفكر.. هذا شعب مخترع.. وهذا ينقصه أن يكون شعبًا.. أما نحن فعندنا كل شيء.. ولا نحتاج لأي شيء أو لأي أحد!!

ولكثرة الأغاني عندنا أقمنا لها إذاعتين.. واحدة بالعربية.. والثانية بلغات أخرى.. ومع ذلك فلا نزال نحشر الأغنية في كل شيء مهما كان جادًّا حزينًا.. فضيحة لنا جميعًا.

مثلًا في برنامج عن الامتحانات وسرقة وبيع الامتحانات واشتراك عدد من كبار المسئولين في تهريب وتسريب وبيع الأسئلة وخراب بيوت مئات الألوف العاجزين عن شراء الأسئلة.. كل سنة.. وكيف أن الدولة بكل مؤسساتها قد اتجهت إلى مصدر الفضيحة.. وانتقل النائب العام بجلالة قدره يرى ويقرر ويحاسب.. إنها مأساة حقيقية.. ويوم حزين في تاريخ الأخلاق.. والدين.. والقيم.. والمسئولية.. والضبط.. والربط.. وكان من المتوقع من البرنامج أن يتحفظ.. وأن ينضبط.. وأن يقف معه حدادًا.. وفجأة نسمع شادية وفاتن حمامة: ونجحنا اهو في المدرسة.. ألو ألو إحنا هنا.. أين تقع في الخرطة أوروبا؟ على شمال كوبري القبة!

يعني إيه؟ يعني طظ في البلد من أولها لآخرها.. ولا تربية.. ولا تعليم.. ولا قانون.. ولا أخلاق.. كل كلمة من الأغنية هي لسان يخرج للدولة.. والشعب تزفه فرقة غنائية موسيقية.. وأصبحنا نكتة تضحك لها وفيها فاتن وشادية.. ودقي يا مزيكا.. والنبي ما معنى هذه الأغنية أو هذه النكتة في مأتم.. في مقتل!

المنجـــل والمطرقـــة

النكتة هي سلاح الضعيف ضد القوي.... سلاح الأقلية ضد الأغلبية.. النكتة عبارة عن مقذوف أطلقه مجهول، وتنتشر النكتة ولا نعرف مصدرها، وتنتقل من عصر إلى عصر لنفس الأسباب، فالنكت التي أطلقت على هتلر وستالين وموسوليني هي نفسها التي ظهرت في اللغات الأخرى ضد الطغاة...

وقد قرأت أخيرًا دراسة عن النكت التي أطلقها الروس ضد ستالين، ورأي أصحاب الدراسة أنه يمكن معرفة تاريخ روسيا عن طريق النكت.. ومن أشهر الذين أطلقوا النكت في مصر عبد الحميد رضوان وزير الثقافة، وكامل الشناوي ومأمون الشناوي وحفني باشا محمود، وقد شاركت أنا أيضًا. وندمت على أنني فعلت ذلك فقد عوقبت مرارًا، وكنت أشترك مع الصديق عبد الحميد رضوان في إكمال النكت التي لم يفلح في إكمالها، وتنطلق النكت، وبعد شهر أو شهرين تعود إلينا من دول الخليج!

واقترفت الكثير من النكت، ومن المؤلم أن الذي نقول له النكت يرويها منسوبة إلينا، ولا يقول إنه سمعها وإنه لا يعرف من الذي قالها، وقد وضعتني بعض النكت في مآزق شنيعة.

وندمت، ولكن لم أعرف تفسير ذلك – كأن في داخلي قوة مدمرة لي... ولكنها لا تنال من الشخص الذي نسخر منه. إنها تخربش صورته فقط...

ومن النكت الروسية أن سيدة رأت الجمل لأول مرة فقالت: انظر ماذا فعل ستالين بالحصان!

ونكتة تقول: الدقيق قد ارتفع سعره لأنهم يدخلونه في صناعة الخبز! ونكتة تقول إن البوليس أمسك أحد المتمردين فسألوه: من أمك؟ قال: روسيا. ومن هو أبوك؟ قال: ستالين... وما هي أمنيتك؟ أن أكون يتيمًا! .. هذه الدراسة اسمها: المنجل والمطرقة – تاريخ الشيوعية كما ترويها النكت... وكما دلت النكت على الدكتاتورية الروسية، فإنها دليل إلى أعماق كل النظم الشمولية!

لا نريـــد
أن نكـون وحدنـا!

أخيرًا هبطت مركبة فضائية اسمها فينكس أو العنقاء على سطح المريخ سالمة، وأول مرة عند قطبه الشمالي بعد 71 مليون ميل من يوم 4 أغسطس فبلغت جو المريخ يوم 25 مارس سنة 2008 بسرعة 12 ألف ميل في الساعة. وراحت تهبط بسرعة 900 ميل فارتفعت درجة حرارتها إلى 1425 درجة مئوية. وعندما هبطت كانت درجة حرارتها 73 تحت الصفر. ووزنها 900 رطل وتكلفت 212 مليون دولار.

وكان الهبوط ناعمًا فقد انفتحت مظلات واقية حتى استقر المعمل الفضائي، وبعد دقائق خرجت منه هوائيات وأجنحة لالتقاط أشعة الشمس.. ثم تتوالى الرسائل الصوتية من الأرض. وتستغرق 15 دقيقة، ووسط فرقعة زجاجات الشمبانيا في محطات المتابعة الأرضية تعانق العلماء؛ فقد نجحت الرحلة، وسوف تخرج منها أذرع تحفر القطب الشمالي للكوكب الأحمر بحثًا عن الجليد على مسافة قريبة من السطح، وبعد التقاط ذرات من رمال المريخ وتحليلها وإرسال الصور إلى الأرض يشرع العلماء حول العالم بتحليل هذه المعطيات النادرة، والهدف: نريد أن نعرف إن كانت في المريخ مياه، فحيث توجد المياه توجد الحياة. القرآن يقول: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**..﴾ والعلماء يبحثون عن الحياة. أي شكل من أشكال الحياة.

ويبحثون أيضًا إن كانت حياة عاقلة قبل ذلك، وأن ما تخيله الأدباء والعلماء صار حقيقة أو كان حقيقة.

فنحن نشعر بالوحشة في هذا الكون ونريد أن نجد غيرنا من الكائنات العاقلة، فمصيرنا إلى الكواكب الأخرى، أولها المريخ، ولا نزال في أول الطريق الطويل، من يدري ربما بعد مائة عام نعيش فوق المريخ!

أصلهـا فصيـــح!

لا بد أن تندهش كيف أن كلمات فصيحة اختفت عشرات أو مئات السنين، ثم ظهرت فجأة كأنها أحد النيازك التي دارت في الفضاء طويلًا ثم اقتربت من الأرض، لماذا؟ كيف؟!

ولغرابة هـذه الكلمات فإننا نتخيل أنها شاذة من اختراعنا ونكتشف أنها كلمات فصيحة، وقد ظهرت على ألسنة العوام، أو على ألسنة الشباب ثم ظهرت في الأفلام والأغاني...

مثلًا نقول: المزة بضم الميم أي البنت الحلوة... ونقول المزز – أي البنات الجميلات، والذي لا تعرفه أن هذه الكلمة عربية فصيحة.

ففي القاموس: أن المز بفتح الميم أي أحسن الأشياء وأفضلها.

ونقول: مز ومزز ومزازة، والخمر أيضًا هي المز أو الشراب اللذيذ، ونقول: مزيت فلانًا على فلان... أي جعلته أفضل.

أو فضلته على فلان. ونقول: مز يمز مزًّا أي يمتص الشراب والمزمزة والبزبزة أي تحريك الشراب في الفم، ونقول مزمزوه أي حركوه في أفواههم.

ونقول: الهبر أي قطع اللحم، ونقول هبرت أي أخذت قطعة كبيرة.

وتجيء هـذه الكلمات في اللهجة العامية، وتبدو كأنها من اختراعنا، والحقيقة أنها عربية فصيحة...

ونقول: هبش يهبش وهو هباش، وهم هباشة، ونقصد أنهم يخطفون الأشياء، والكلمة فصيحة ومعناها في الأصل السعي وراء الرزق، فهو يهبش أي يعمل من أجل أن يعيش... وليس الغرض من هذه الكلمة تحقير أحد أو تحقير العمل نفسه!

وهناك كلمات اتخذت الشكل العربي، وهي كثيرة جدًا، ففي الصعيد يقولون: البلينة يعني الفرخة.. وهي إيطالية الأصل: ففي الإيطالية: جالينا يعني الدجاجة، والديك جالو.. وغير ذلك كثير!

إنهم أحرار!

أنت ذئب، إذن فأنت فرنسي.

والفرنسيون ينشغلون جدًّا بحياة المرشح للرئاسة، فإذا اختاروا رئيسًا انصرفوا عن حياته الشخصية، فهو حر كما أنهم أحرار.

وقد صدر أخيرًا كتاب بعنوان (ساركوزي والنساء) وله ثلاث زوجات: الأولى أم الأولاد من جزيرة كورسيكا. أحبته عندما كانت طالبة. وتزوجت وأنجبت. وفجأة ظهرت لها صديقة، فهذه الصديقة عرفت كل عيوب الزوج ومزاياه ونقط الضعف بينهما. وكما هو متوقع تفرغت للرجل وصبرت عليه وفازت به في النهاية. وتقول الزوجة الأولى إنها تغفر لساركوزي كل أخطائه، ولكنها لا تغفر لصديقتها التي خدعتها وسرقت سعادتها..

والزوجة الثانية كانت تعيش على هواها وتلعب بذيلها. لأنه يلعب بذيله، وصارحته وصارحها. وهجرت البيت إلى أحضان عشيق أمريكي، وعاشت معه وتركت ساركوزي وحده مع عشرات النساء. وطلب إليها أن تكون زوجة محترمة على الأقل حتى تنتهي الانتخابات. وانتهت بفوزه، ورفضت أن تقوم بدور السيدة الأولى ورفضت القيود والحفلات، وتم الطلاق. ثم هاجمت الزوجة الأولى وقالت إنه لا يعرف الحب، وإنما يحب الفلوس وعنده قدرة فذة على

شم الذهب. وزوجته الثالثة غنية أبوها غني وزوج أمها غني. وكانت تعمل عارضة أزياء ومطربة، وعرفت الكثيرين وأنجبت ولدًا حمله ساركوزي على كتفيه في مدينة الأقصر.

ولما سئلت الزوجة الإيطالية الثالثة كارلا بروني قالت: لا يهمني ماذا فعل زوجي، ولا يهمه ماذا فعلت!

ملــوك الأزيــاء:
طغـــاة!

أعـرف تمامًا ما قدمه ملك الأناقة والمبدع، الذي حكم المرأة خمسين عامًا في العالم كله: إيف سان لوران، فقد كنت محرر الأزياء في كل المجلات التي رأست تحريرها: الجيل وهـي وآخر ساعة وأكتوبر ومايو وغيرها. ووجدت في ذلك متعة لأن أحشر نفسي بين المرأة وفساتينها.

كما أنني شاهدت عددًا كبيرًا من عروض الأزيــاء في باريس وروما وآخر معرض للأزياء رأيته كان في الإمارات، وانتهزت فرصة كأس العالم التي شاركت فيها مصر في جزيرة سردينيا، وتفرجت على أحدث عروض الأزياء، وكتبت..

ومن أيام توفي أحد ملوك الأزياء الجريئة إيف سان لوران (71 عامًا)... وهو الذي أدخل المرأة في البنطلون، ولن تخرج منه، تمامًا كما قدمت مصممة الأزياء البريطانية ماري كوانت الفستان الذي ارتدته خمسين عامًا.. الفستان الميني والميكرو...

ولم تتنازل المرأة عن هذه الموضة. فقد زحف الذيل على الركبة – وهي موضة كوكو شانيل، ثم ارتفع خط الذيل إلى أعلى وأعلى، ولن تعدل عنه المرأة مهما تقدمت بها السن.

وفي الصلاة على سان لوران ارتدت جميع النساء البنطلون حبًّا للفقيد. وفي الليل أيضًا، ولكن الموضة، لأنها موضة سوف تتغير.

والموضة تتفق مع قلق المرأة ومزاجها المتقلب، والمرأة تحب التغيير إلا في الحب.

واستطاع ملوك الموضة ترويض المرأة ورسموا لها خطًا ثابتًا، هو التغيير المستمر، فهي حريصة على سياسة لاتتغير هي: التغيير، أن ترتدي الطويل عندما كانت هنا أزمة قماش، وترتدي القصير عندما يتوافر القماش، ما المنطق؟

لا منطق، إنها دكتاتورية ملوك الأزياء، إذا أمروا أطاعت كل النساء في الدنيا!

تعـــدد الزوجـــات المسيحيـــة..

من أهم مشاكلنا مع الغرب الذي نريده أن يعرف عنا ثم يعرفنا، أننا نريده أن يتعلم لغتنا لا أن نتعلم لغته. وأوضح الأمثلة على ذلك أننا نبعث إلى الغرب وإلى إفريقيا وإلى آسيا من لا يعرف اللغة والعادات وأسلوب التفكير. مثلًا أن نقول إن الإسلام يسمح بتعدد الزوجات ولكن المسيحية لا تعترف إلا بزوجة واحدة. ولا طلاق إلا عند البروتستانت.

.. ولذلك لجأت بعض المذاهب المسيحية إلى قبول تعدد الزوجات والطلاق. ثم إن المبشرين بغير الإسلام: أطباء ومهندسون وليسوا مشايخ ولا يفهمون لا في النحو ولا الصرف ولا الشريعة.. يعني أن الذين يتحدثون إلى الأوروبيين، حتى لو كانوا يعرفون لغتهم، يجب أن يتعلموا أساليبهم في التفكير والإقناع.. وأقرب نموذجين رفيعين لذلك: الزعيم عزت بوجوفتش والسفير الألماني مراد هوفمان.. فكلاهما شرح الإسلام بأسلوب أوروبي..

وطبيعي أن يكون وزير الأوقاف د. محمود حمدي زقزوق الذي تعلم في ألمانيا وعاش حياة ألمانية. ويفقه في الدين أن يكون الأقدر على شرح الإسلام والإقناع به. وهذا ما فعله د. زقزوق عندما نشر أبحاثًا علمية في الدوريات الأوروبية وبلغات أوروبية وشرقية. وقد

ظهرت في كتاب له عنوانه (الإسلام وقضايا الحوار). وجاء في تقديم الكتاب: أنه يتصدى للمحاولات التي جرت بعد أحداث سبتمبر 2001 لإلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام.

وقد بلغ من اقتدار المترجم د. مصطفى ماهر أنك لا تشعر بأن الكتاب كان بالألمانية ثم صار عربيًا. وأنا هنا أشير إلى الكتاب الذي تناول قضايا مهمة وبأسلوب غربي وأدعوك إلى قراءته وسوف تعجب بالمؤلف والمترجم معًا!

أسمـــاء الشـــوارع..

كنت قد كتبت عن الأسماء الهزلية لشوارع الجيزة، واخترت مساحة كيلومتر مربع حولي. فجاءني هذا الخطاب من د. عبد العظيم وزير محافظ القاهرة:

طالعت باهتمام مقالكم الذي ناديتم فيه بضرورة كتابة اسم الشارع مع التعريف باسم صاحب الاسم. فقمت بتشكيل لجنة مع جهاز التوثيق الحضاري لدراسة أسماء الشوارع وتوثيقها وتغيير المكرر منها، والتي لا تحمل معنى، وتصميم لوحات رخامية تحت اسم الشارع للتعريف بمن هي الشخصية والتي تَسَمَّى الشارع باسمها والعقارات التي أقامت بها شخصية تاريخية في المجالات السياسية أو الفكرية أو الأدبية أو الشعرية أو العلمية. وسوف تشمل اللوحة اسم الشخصية ومجال ريادته وتاريخ ميلاده وتاريخ وفاته. أما بالنسبة للمواقع فسوف تكون هكذا: قصر البارون إمبان شيده رجل الأعمال البلجيكي إدوارد إمبان، بدأ تشييده سنة 1906 وتم الانتهاء منه سنة 1911، ومن تصميم المعماري الفرنسي ألكسندر مارسيل.

برجاء الإحاطة.. مع خالص الشكر والتقدير

محافـظ القاهـرة

دكتور/ عبد العظيم وزير شكرًا جزيلًا. وأنا أعلم أنك تحتاج إلى وقت طويل لكي تغير وتبدل وتكتب وتشرح. وسوف يتطوع كثير من الناس بإرسال أسماء شوارعهم الهزلية..

ولا بد أن أبناء المحافظات الأخرى لديهم ما يضحكهم وما يحزنهم من أسماء غريبة فرضها مجهولون مهملون أو حشاشون.

وفي آخر مرة كنت في باريس أسعدني أن أجد عشرين شارعًا تحمل أسماء مصرية.. بل إن أشهر أحياء الموضة والتجارة بالجملة اسمه: أبو قير..

والكلام لك يا جارة في كل المحافظات!

لأنه

إخباري بحت!

من البرنامج العام يذاع برنامج اسمه (هنا القاهرة).

واسم البرنامج يتردد أكثر من خمسين مرة؟! والبرنامج أخبار والتعليق عليها ممن يملكون المعلومات والقرار. لا بأس. ولا يصح أن يحشر المذيع نفسه فيتمنى الصحة والعافية للسيد المحافظ أو للسيد الوزير. فليس هذا خبرًا ولا صحافة ولا إذاعة. وإنما عبث! وفي برامج كثيرة.

ويجب ألا يكون للمستمعين مداخلات. فهذا شأن برامج أخرى.

وإنما يجب أن يظل هذا البرنامج إخباريًا فقط.

ثم إنه يجب أن يوفد البرنامج من يذهب إلى مواطن الأخبار مثلًا:

إن الديدان زحفت من إحدى القرى على البيوت وأصابت عددًا من الأطفال – كما قالت وكالات الأنباء. ولكن البرنامج اكتفى برأي السيد المحافظ. ولم يقل أحد إن المحافظ هو مصدر الديدان، فلا معنى لأن يقلل من شأنها. وإنما الواجب هو أن يقول كيف حدث ولماذا وحتى لا تعود الديدان ماذا يفعل الخبراء.. ولايهمني أن تكون هناك أخبار أخرى في البرنامج. فهذا الحدث يكفي لمناقشة كل الآفات الزراعية.. ثم لماذا هذه القرية بالذات؟ وهل هذه أول مرة؟ ولماذا؟ هل ستكون آخر مرة ولماذا؟ ولكن أن يجيء المحافظ ويؤكد للمستمعين أن

كل شيء تحت السيطرة. كأن القرية هاجمها اللصوص وقد تم القبض عليهم.

ونفاجأ بأن كل المشتغلين في البرنامج قد شاركوا بالكلام أو بالضحك أو بالدعاء لمصر أن تنجو من هذه الآفات الزراعية.

وفي هذه اللحظة نشعر أن البرنامج قد انتقل إلى (القرافة) وأنهم في انتظار من يوزع عليهم الفطير والبلح ترحمًا على الفقيد الذي لا نعرفه!

مرة أخرى أعود إلى برنامج (هنا القاهرة) التي تتكرر خمسين أو ستين مرة، وفي ذلك إضاعة للوقت وتشتيت للمستمع الذي ينتظر ويريد أن يعرف.

وفي البرنامج مداخلات طويلة من المستمعين، وليس هذا مكانها. وإنما هناك برامج أخرى معنية في الدرجة الأولى بالحوار مع المستمعين.. ولكن عيبنا أننا نريد أن نضع كل شيء في كل شيء. ولا صبر لنا على التخصص.

فهذا البرنامج إخباري بحت، أو يجب أن يكون كذلك إذا أردناه محترمًا، ثم إن مداخلات المستمعين لا علاقة لها بالبرنامج وإنما هي قضاياهم وهمومهم التي تجعلك تخشى أنهم أخطأوا الطريق إلى البرامج الحوارية.. أو برامج الخدمات. والعيب في الذين يعدون ويشرفون على البرنامج الإخباري.

أغرب من ذلك أن الذي يعد أو يخرج البرنامج لا يكاد يسمع كلمة حتى يدخل بأغنية تبدأ بهذه الكلمة. وتطول الأغنية.. وننسى البرنامج وموضوعه والمداخلة. فكأن الأصل هو الأغنية والكلام

حولها، وليت أغنية واحدة وانما اثنتان وثلاث، فلا قدرة للقائمين على البرنامج أن يكونوا جادين نصف ساعة أو دقائق. ولذلك تجيء الأغنية لتسد الفراغ وتوفر عليهم البحث عن أخبار هامة كثيرة تستحق الاهتمام والتعليق.. ومن الممكن عمل مسابقة موضوعها: هل الأغنية هي التي كانت سببًا في المشكلة أو أن المشكلة هي التي أدت إلى حشر الأغنية!

ومع الأسف هناك برامج عديدة جادة يخلطونها بالفكاهة!

وأسوأ ما في برنامج (هنا القاهرة) أنه هو أيضًا قد سار وراء الموضة. والموضة أن يكون لكل برنامج واحد يفتي في كل القضايا. واختاروا الشيخ أحمد. والشيخ أحمد يفتي في القضايا النفسية والفكرية والفلسفية وكل شيء – ومن حقك أن تسأل من هذا الشيخ أحمد فرويد الذي أوتي كل هذا العلم في كل شيء. وأن ما يقوله هو القول الفصل. لقد اختاروه وعينوه وفرضوه واستمعوا له. وعلى المشاهدين أن ينفذوا وصاياه!

ولكنها (تقليعة).. أن يكون لدى كل برنامج إذاعي أو تليفزيوني (مفتي ملاكي) جاهز وبسرعة يفصل في كل القضايا ومن كل نوع. في هذه الحلقة راح الشيخ أحمد فرويد يناقش القلب والعقل ويتحول من علم النفس إلى العلوم الإنسانية والأخلاقية والتربوية والسياسية.

والعجيب أنه يجد من يذيع له. إنني لا أتهم الشيخ فرويد فهو حر يصول ويفتي بما يشاء وعما يعرف وعما لا يعرف. ولكن أسأل هؤلاء الذين فتحوا له الميكروفون وأطلقوه على الناس – دون حساب

أو مؤاخذة من أحد وكأن البرنامج العام (إذاعة مدرسية) وليس لسان حال الدولة المصرية!

ولكي تتحقق الوحدة الوطنية وضعوا إلى جوار الشيخ أحمد القس أبرام. ولكن أبرام كان أكثر حرصًا، فقد تكلم كمعلم وكأب. ولذلك يجد من يستمع إليه. فالقس يتحدث بلا ادعاء ولا نفخة كدابة!

طاهـــر
أبــو زيـــــد!

لا يزال طاهر أبو زيد ممتعًا.. ففي برنامجه (أسبوعيات طاهر أبو زيد) يحكي ويروي، ويناقش ويحاور بطريقة سقراطية، فلا يكاد يسمع تعبيرًا غريبًا حتى يسأل الضيف: وماذا تقصد.. وكان أستاذنا العظيم سقراط لا يكاد أحد تلامذته أن يقول له: صباح الخير حتى يستوقفه ويسأل: وما هو الخير؟ وما الفرق بينه وبين الشر؟ وهل الخير شخصي؟ وهل هو عام؟... وكذلك يفعل طاهر أبو زيد، وقد تحدث عن الكتب والروايات التي كونت وجداننا وجعلتنا نلهث وراء الأدب الأوروبي – في شبابنا، وذكر أن روايات الجيب كانت البداية..

وأنا أيضًا تعلمت من روايات الجيب التي كان يقوم بتعريبها الأستاذ عمر عبد العزيز أمين، وقد سبقه إلى ذلك الأستاذ الكبير أحمد الصاوي محمد، فهو الذي حببنا في الأدب الفرنسي، وغرس فينا أسماء الأدباء الفرنسيين والأماكن الشهيرة مثل الأوبرا ومقهى دلابين ومقهى الفوكيه والمقاهي التي كان يتردد عليها الفلاسفة الوجوديون.

وكذلك فعل الأستاذ حلمي مراد في مجلة «كتابي»؛ فهو أيضًا قدم ولخص كثيرًا من الأدب الغربي، ولسبب ما اختفت هذه الروايات والملخصات، وكذلك مجلة «المختار».. وقد رأست تحريرها بعض الوقت..

وكان حـوارًا ممتعًا عن الترجمة والتعريب... والترجمة هـي أن يتولى أحد الأدبـاء ترجمة الرواية... والتعريب أن يقوم بصياغتها شخص آخر بأسلوب أجمل، كذلك فعل المنفلوطي في رواية «بول وفرجينيا» وأحمد حسن الزيات في (آلام الفتى فرتر) والشاعر حافظ إبراهيم في (البؤساء) وقد أعاد د. عبد الرحمن بدوي ترجمة (آلام الفتى فرتر) وأعاد د. محمد عوض محمد ترجمة (فاوست)..

ولا يزال طاهر أبو زيد مثيرًا ومشاغبًا وممتعًا أيضًا!

هـــذه الأغانـــي المزعجـــة!

يجب أن نحذف الأغاني والإعلانات من (البرنامج العام) للإذاعة، لكي تكون محترمة وتستحق أن تكون القناة الرسمية للدولة، فإذا أراد أحد أن يعرف كيف نفكر ونقرر فأمامه هذا البرنامج العام الذي يجب أن نزوده بأحسن من يقرأ النشرة، ومن يكتبها، ومن يتولى تحليلها من الخبراء من مصر ومن غيرها.

وهي تستأهل كل مجهود أو مال، ولذلك يتطلع إليها المصريون في الخارج الذين يتلهفون على مواقف بلادهم من قضايانا وقضاياهم، وإذا كنا في حاجة إلى نموذج رفيع، ومثل أعلى فهيئة الإذاعة البريطانية، فهي أحسن قناة إخبارية في العالم، وهي جادة وموضوعية تمامًا ومستقلة عن حكومتها وأحيانًا تنتقدها وبعنف، وتظل عظيمة الاحترام أيضًا، ولا تزال الـ بي. بي. سي هي المصدر لكل أصحاب الخبرات في الإذاعة المسموعة والمرئية في العالم، ويكفي أن تنظر إلى القنوات الجديدة، ومن الذي يدرب، ومن الذي يعلم – إنهم خبراء الإذاعة البريطانية المحترمة...

ولكي تزداد هذه القناة احترامًا واستقلالًا، فإنها لا تنشر الإعلانات أيًا كانت، وفي استطاعتها أن تكسب الملايين، وأن تخسر الملايين – ملايين المستمعين، ولذلك استبعدت الإعلان وسلطان

الإعلان، وهذا ما يجب أن نفعله في البرنامج العام – إذا أردنا أن نؤكد حريتنا واستقلالنا ولا صوت يعلو على صوت المتحدثين إلا صوت الحق، وليس سلطان الإعلان... أما الأغاني في (البرنامج العام) فهي أسخف ما فيه، وأكثر الأصوات تطفلًا واقتحامًا، لماذا؟

الجواب: فلوس.. ولا اعتراض على أن تحشر الأغاني وأصحابها في كل البرامج الأخرى، ولكن كل ما تمنيت ولا يكتر على الله: برنامج واحد محترم!

الفهـــرس

مؤلفات الكاتب الكبير

الأستـــاذ

أنيـــس منصـــور

(أ) ترجمة ذاتية:

1 – في صالون العقاد.. كانت لنا أيام.

2 – عاشوا في حياتي.

3 – إلا قليلاً.

4 – طلع البدر علينا.

5 – البقية في حياتي.

6 – نحن أولاد الغجر.

7 – من نفسي.

8 – حتى أنت يا أنا.

9 – أضواء وضوضاء.

10– كل شيء نسبي.

11– لأول مرة.

12– شارع التنهدات.

(ب) دراسات سياسية:

13– الحائط والدموع.

14– وجع في قلب إسرائيل.

15– الصابرا (الجيل الجديد في إسرائيل).

16– عبد الناصر – المفترى عليه والمفتري علينا.

17– في السياسة (3 أجزاء).

18– الدين والديناميت.

19– لا حرب في أكتوبر ولا سلام.

20– السيدة الأولى.

21– التاريخ أنياب وأظافر.

22– الخالدون مائة – أعظمهم محمد (ﷺ).

23– على رقاب العباد.

24– ديانات أخرى.

25– وكانت الصحة هي الثمن.

26– الغرباء.

27– الخبز والقبلات.

(جـ) قصص:

28– عزيزي فلان.

29– هي وغيرها.

30– بقايا كل شيء.

31– يا من كنت حبيبي.

32– قلوب صغيرة.

33– هذه الصغيرة (وقصص أخرى).

34– إلا فاطمة.

(د) مسرحيات مترجمة:

** للأديب السويسري فريدريش ديرنمات:

35– رومولوس العظيم.

36– زيارة السيدة العجوز.

37- زواج السيد مسيسبي.

38- الشهاب.

39- هي وعشاقها.

** للأديب السويسري ماكس فريش:

40- أمير الأراضي البور.

41- مشعلو النيران.

** للأديب الفرنسي جان جيرودو:

42- من أجل سواد عينيها.

** للأديب الأمريكي آرثر ميللر:

43- بعد السقوط.

** للأديب الأمريكي تنسي وليامز:

44- فوق الكهف.

** للأديب الأمريكي يوجين أونيل:

45- الإمبراطور جونس.

** للأديب الفرنسي يوجين يونسكو:

46- تعب كلها الحياة.

** للأديب الفرنسي أداموف:

47- الباب والشباك.

** للأديب الإسباني أرابال:

48- ملح على جرح.

(هـ) دراسات نفسية:

49- الحنان أقوى.

50- من أول نظرة.

51- طريق العذاب.

52- ألوان من الحب.

53- شباب.. شباب.

54- مذكرات شاب غاضب.

55- مذكرات شابة غاضبة.

56- جسمك لا يكذب.

57- الذين هاجروا.

58- غرباء في كل عصر.

59- أظافرها الطويلة.

60- هموم هذا الزمان.

61- زمن الهموم الكبيرة.

62- الحب الذي بيننا.

63- عذاب كل يوم.

64- كيمياء الفضيحة.

65- كل معاني الحب.

(و) دراسات علمية:

66- الذين هبطوا من السماء.

67- الذين عادوا إلى السماء.

68- القوى الخفية.

69- أرواح وأشباح.

70- لعنة الفراعنة.

(ز) نقد أدبي:

71- يسقط الحائط الرابع.

72- وداعًا أيها الملل.

73- كرسي على الشمال.

74- ساعات بلا عقارب.

75- مع الآخرين.

76- شيء من الفكر.

77- لو كنت أيوب.

78- يعيش.. يعيش.

79- الوجودية.

80- طريق العذاب.

81- وحدي.. مع الآخرين.

82- ما لا تعلمون.

83- لحظات مسروقة.

84- كتَاب عن كتب.

85- أنتم الناس أيها الشعراء.

86- أيها الموت.. لحظة من فضلك.

87- أوراق على شجر.

88- في تلك السنة.

89- دراسات في الأدب الأمريكي.

90- دراسات في الأدب الألماني.

91- دراسات في الأدب الإيطالي.

92- فلاسفة وجوديون.

93- فلاسفة العدم.

(ح) رحلات:

94- حول العالم في 200 يوم.

95- بلاد الله خلق الله.

96- غريب في بلاد غريبة.

97- اليمن ذلك المجهول.

98- أنت في اليابان وبلاد أخرى.

99- أطيب تحياتي من موسكو.

100- أعجب الرحلات في التاريخ.

101- ماذا يريد الشباب؟

102- الرصاص لا يقتل العصافير.

(ط) مسرحيات كوميدية:

103- مدرسة الحب.

104- حلمك يا شيخ علام.

105- مين قتل مين؟

106- جمعية كل واشكر.

107- الأحياء المجاورة.

108- سلطان زمانه.

109- العبقري.

110- كلام لك يا جارة.

111- فوق الركبة.

(ي) المسلسلات التليفزيونية:

112- حقنة بينج.

113- اتنين.. اتنين.

114- عريس فاطمة.

115- من الذي لا يحب فاطمة؟

116- غاضبون وغاضبات.

117- هي وغيرها.

118- هي وعشاقها.

119- العبقري.

120- القلب أبدًا يدق.

121- يعود الماضي يعود.

(ك) كتب (مقالات):

122- ثم ضاع الطريق.
123- النجوم تولد وتموت.
124- هناك أمل.
125- أحب وأكره.
126- الحيوانات ألطف كثيرًا.
127- مصباح لكل إنسان.
128- أتمنى لك.
129- لعل الموت ينسانا.
130- اقرأ أي شيء.
131- ولكني أتأمل.
132- حتى تعرف نفسك.
133- الحب والفلوس والموت.. وأنا.
134- نحن كذلك!!
135- اللهم إني سائح.
136- كائنات فوق.
137- تعال نفكر معًا.
138- آه لو رأيت!
139- النار على الحدود: لعبة كل العصور.
140- انتهى زمن الفرص الضائعة!
141- هناك فرق.
142- الرئيس قـــال لـــي.. وقلت أيضًا - الجزءان الأول والثاني.
143- يا نور النبي.
144- وأنت ما رأيك؟
145- حضارة الإوز والبقر.
146- حلمنا الجميل.
147- ضاع الجيل ضاع.
148- قالوا (الجزءان الأول والثاني).
149- وآخرتها.
150- من أول السطر.
151- أظافرها الطويلة.
152- القلب لا يمتلئ بالذهب.
153- تكلم حتى أراك.
154- الذي خرج ولم يعد.
155- ليلة في بطن الحوت.
156- والله زمان يا حب.
157- أجيال من بعدنا.
158- قلبك يوجعني.
159- شمعة في كل طريق.
160- أكثر من رأي.
161- معذبون في كل أرض.
162- تعالوا نفكر.
163- معنى الكلام.
164- اللعب غريزة منظمة.
165- في انتظار المعجزة!
166- وأنا اخترت القراءة.
167- من أجل عينيها.
168- يوم بيوم.
169- إنها الأشياء الصغيرة.
170- القلب أبدًا يدق.

171- الذين هبطوا من السماء.

172- الذين عادوا إلى السماء.

(ل) الترجمات القصصية:

173- رواية (الجائزة) للكاتب الأمريكي أرفنج والاس.

174- (المثقفون) للأديبة الوجودية سيمون دبوفوار.

175- (لو كنت مكاني) للأديب السويسري ماكس فريش.

176- (قصص مورافيا) للأديب الإيطالي ألبرتو مورافيا.

177- (الجلد) للأديب الإيطالي كورتسيو ملبارته.

178- (الجيل الصاخب) للأديب الأمريكي جينز برج.

(م) الترجمات الفلسفية:

179- الفلسفة الوجودية الألمانية - لإميل تسلر.

180- الفلسفة الوجودية الفرنسية - لجان جاك رسو.

181- معنى العدم عند هيدجر وسارتر - لجانيت أردمان.

182- مسرح العبث الفرنسي - لإتيان ماريبو.

183- الفيلسوف الروسي برديائف - لفيكتور لوزتسيف.

184- من كيركجورد إلى مارسيل - لأنطوان بابيف.

185- سيمون دبوفوار تلميذة رصينة - لفرنسواز روسلان.

186 - رسائلها إليه - لفرنسواز روسلان.

187- فاشلون لكن نبلاء - لجان ماري روار.

188- ما الميتافيزيقا؟ - لمارتن هيدجر.

189- الوجودية فلسفة إنسانية - لجان بول سارتر.

190- فلسفة حنا أرنت - تلميذة للفيلسوف الألماني مارتن هيدجر - لآدم برجشتاين.

191- كروتشه فيلسوف الحرية - لإيزابيلا دلورنتس.